www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

خلفيات مأساة الزهراء (س)

آية الله السيد جعفر مرتضى العاملي

المجلد ٢

بسم الله الرحمن الرحيم

خلفيات مأساه الزهراء

كاتب:

علامه سيد جعفر مرتضى عاملى

نشرت فى الطباعة:

آية الله السيد جعفر مرتضى العاملى

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
خلفیات مأساه الزهراء (المجلد ۲) ----- ۹
اشارة ----- ۹
مع الأنبیاء والرسل ----- ۹
انبیاء الله تعالی و رسله ----- ۹
بدایة ----- ۹
آدم و نوح ----- ۹
اشاره ----- ۹
وقفة قصیرة ----- ۱۰
تفسیر الآیات ----- ۱۰
وقفة قصیرة ----- ۱۴
وقفة قصیرة ----- ۱۶
آدم یتوب إلی الله ----- ۱۷
ولکن ما هی هذه الکلمات؟ ----- ۱۷
وقفة قصیرة ----- ۱۷
وقفة قصیرة ----- ۲۲
وقفة قصیرة ----- ۲۲
ابراهیم و لوط ----- ۲۳
اشاره ----- ۲۳
وقفة قصیرة ----- ۲۷
تفسیر الآیات ----- ۲۷
وقفة قصیرة ----- ۲۸
وقفة قصیرة ----- ۲۹

وقفة قصيرة ----- ۳۰
وقفة قصيرة ----- ۳۱
موسى وهارون ----- ۳۴
اشاره ----- ۳۴
وقفة قصيرة ----- ۳۵
تفسير الآيات ----- ۳۵
وقفة قصيرة ----- ۳۸
وقفة قصيرة ----- ۴۰
وقفة قصيرة ----- ۴۱
وقفة قصيرة ----- ۴۲
وقفة قصيرة ----- ۴۳
وقفة قصيرة ----- ۴۴
وقفة قصيرة ----- ۴۴
وقفة قصيرة ----- ۴۵
وقفة قصيرة ----- ۴۶
يعقوب و يوسف ----- ۴۸
اشاره ----- ۴۸
وقفة قصيرة ----- ۴۸
وقفة قصيرة ----- ۵۰
وقفة قصيرة ----- ۵۱
وقفة قصيرة ----- ۵۳
يونس ----- ۵۳
اشاره ----- ۵۳
وقفة قصيرة ----- ۵۴

تفسیر الآیات ----- ۵۴
وقفة قصیرة ----- ۵۷
وقفة قصیرة ----- ۵۸
داود و سلیمان و زکریا و یحیی و عیسی ----- ۵۹
اشاره ----- ۵۹
آیات حکم داود ----- ۶۰
وقفة قصیرة ----- ۶۰
عرض الآیات ----- ۶۲
وقفة قصیرة ----- ۶۳
وقفة قصیرة ----- ۶۳
وقفة قصیرة ----- ۶۴
وقفة قصیرة ----- ۶۶
وقفة قصیرة ----- ۶۶
النبی الأکرم محمد ----- ۶۶
ثقافة ومعارف نبینا الأعظم ----- ۶۶
اشاره ----- ۶۶
وقفة قصیرة ----- ۶۷
وقفة قصیرة ----- ۶۸
وقفة قصیرة ----- ۷۰
وقفة قصیرة ----- ۷۲
وقفة قصیرة ----- ۷۳
وقفة قصیرة ----- ۷۵
معجزات رسول الله المعراج و شق القمر ----- ۷۶
اشاره ----- ۷۶

وقفة قصيرة ----- ۷۷
وقفة قصيرة ----- ۸۰
اهانات لا تحتمل لرسول الله ----- ۸۱
بداية ----- ۸۱
وقفة قصيرة ----- ۸۲
وقفة قصيرة ----- ۸۳
وقفة قصيرة ----- ۸۶
وقفة قصيرة ----- ۸۸
وقفة قصيرة ----- ۹۰
وقفة قصيرة ----- ۹۰
وقفة قصيرة ----- ۹۱
وقفة قصيرة ----- ۹۲
پاورقی ----- ۹۳
تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية ----- ۹۶

خلفيات مأساه الزهراء (المجلد ۲)

اشارة

نويسنده : آية الله السيد جعفر مرتضى العاملى ناشر : آية الله السيد جعفر مرتضى العاملى موضوع : حضرت فاطمه زهرا (س)

مع الأنبياء والرسل

انبياء الله تعالى و رسله

بداية

قد ذكرنا فى المقصد السابق ما يتضح به الصورة العامة لدى البعض حول النبوة وحقيقتها وخصوصياتها، وهى تشكل القاعدة الفكرية والمنهج العقيدى لديه بالنسبة للخط العام الذى يحكم مسيرة الأنبياء (عليهم السلام) وحركتهم وأساليبهم فى التعاطى مع القضايا ومع الناس، وعلى هذا الأساس سيكون تفسيره لجميع ما نقل من تصرفات الأنبياء (عليهم السلام) ومواقفهم فى القضايا المختلفة ما يوحى مسبقاً بالنتيجة التى سيخرج بها عند تعرضه لأمثال هذه الأمور. ومن هنا فإن المقصد الثالث معقود لذكر جملة من كلمات البعض التى ذكرها فى سياق تفسير الآيات المرتبطة بقصص الأنبياء (عليهم السلام) بغرض اظهار ما فيها من خلل وزلل. فإلى ما يلى من مطالب وموارد..

آدم و نوح

اشاره

معصية آدم كمعصية إبليس. الفرق بين آدم وإبليس هو فى الإصرار والتوبة. آدم ينسى ربّه وينسى موقعه منه. آدم استسلم لأحلامه الخيالية وطموحاته الذاتية. آدم طيب وساذج: لا وعى لديه. آدم يعيش الضعف البشرى أمام الحرمان. آدم يمارس الرغبة المحرمة. الدورة التدريبية لآدم عليه السلام. إن جميع النقاط السابقة قد سجلها البعض فى كلماته المكتوبة، وليست مجرد استنتاجات أو افتراضات.. فتلك هى ملامح صورة آدم النبى المبعوث من قبل الله سبحانه باعتراف وتصريح ذلك البعض نفسه. فلنقرأ معا كلماته التالية، لنجد كل هذه المعانى تتحدث عنها الكلمات بصراحة ووضوح. إنه يقول.. ": وغفر لهما وتاب عليهما، ولكنه أمره بالخروج من الجنة، كما أمر إبليس بالخروج منها، لأنهما عصياه كما عصاه، وإن كان الفرق بينهما: أنه ظل مصرا على المعصية، ولم يتب، فلم يغفر له الله، بينما وقف آدم وزوجته فى موقف التوبة إلى الله، فغفر لهما [۱] . ويقول": فانطلقا إليها بكل شوق ولهفة، وأطبقت عليهما الغفلة عن مواقع أمر الله ونهيه، لأن الإنسان إذا استغرق فى مشاعره، وطموحاته الذاتية، واستسلم لأحلامه الخيالية، نسى ربّه، ونسى موقعه منه. "ويقول": كيف نسيا تحذير الله لهما؟ كيف أقبلا على ممارسة الرغبة المحرمة [۲؟] . ويقول عنه": كان يعيش الضعف البشرى أمام الحرمان [۳] . كان عاصيا ولم يكن مكلفا؟؟؟. ويقول": فالله أراد أن يدخل آدم فى دورة تدريبية، ولذلك لم يكن أمراً جدياً. ولكنه كان أمراً امتحانيا، اختباريا تجريبيا. وكان أمرا تدريبيا، تماما كما يتم تدريب العسكرى، ولذلك فالجنة لم تكن موضع تكليف وما يذكر لا يرتبط بالعصمة أبدا، نعم إن الأنبياء من البشر وهم يعيشون نقاط الضعف، ولكن نقاط الضعف التى لا تدفعهم إلى معصية الله، أما مسألة الجنة وقصة آدم فى الجنة فهذا خارج عن نطاق التكليف. لقد أراد الله أن يدخله فى دورة تدريبية حتى يستعد للصراع القادم عندما ينزل هو وإبليس إلى الأرض ليكون بعضهم لبعض عدوا حتى يتحرك فى مواجهة العداوة التاريخية"

[۴] . ويقول": الله أراد لآدم أن يمر فى دورة تدريبية فى مواجهة إبليس، لأن آدم طيب وساذج، ولم يدخل معترك الحياة [۵] .

وقفة قصيرة

تلك هى الصورة التى قدمها ذلك البعض عن النبى آدم عليه السلام فى بعض جوانب شخصيته، فهل ذلك كله يليق نسبته إلى نبى من أنبياء الله؟ بل هل يرضى أحد من الناس بأن ينسب إليه بعض من ذلك، كأن يقال عنه: إنه ساذج أو يمارس الرغبة المحرمة أو غير ذلك مما تقدم؟.. ونحن قبل أن ننتقل إلى الحديث عن موارد أخرى نسجل ما يلى: إن الموافق لأصول العقيدة أن يقال: إن معصية آدم ليست كمعصية إبليس، وان تصرف آدم عليه السلام لم يكن تمردا على إرادة الله سبحانه.. وهو المروى عن أئمة أهل البيت (ع). كما أن الفرق بين آدم (ع) وإبليس (لعنه الله) ليس هو فى التوبة وعدمها، وإنما هو فى خصوصيات ذاتية، وملكات وحوافز لا تدع مجالا لقياس أحدهما بالآخر.. كما أننا لا نوافق على التعبير بأن آدم (ع) قد نسى ربه سبحانه وتعالى، ونسى موقعه منه، فلم يكن آدم النبى لينسى ربّه، بل كان دائم الحضور معه، وفى غاية الإنقياد والإستسلام له.. كما هو حال الأنبياء والأولياء سلام الله عليهم.

تفسير الآيات

ونرى أن المناسب لأصول العقيدة هو تفسير الآيات التى تحكى قصة آدم على النحو التالى: ۱ ـ إن آدم عليه السلام حين نهاه الله سبحانه عن الأكل من الشجرة، قد عرف من خلال ذلك وجود مضرة من أكلها يصعب عليه تحملها، لكن إبليس قال له: إن هذا الضرر وإن كان صعبا، ولكن لو تحملت ذلك الضرر فثمة نفع عظيم ستحصل عليه وهو الخلود. وليس من حق آدم أن يكذّب أحدا لم تظهر له دلائل كذبه، فكان من الطبيعى أن يقبل آدم منه ما أخبره به، ورضى أن يتحمل هذه الصعوبة البالغة من أجل ذلك النفع، وكانت له الحرية فى أن يقرر ويختار هذا النفع فى مقابل ذلك الضرر، وتلك الصعوبة البالغة، أو لا يختار ذلك. وهذا كما لو أخبرك طبيب بأن جلوسك فى الشمس قد يتسبب لك بآلام حادة فى الرأس، ولكنه سيضفى أثرا جماليا على لون البشرة، أو يشفيك من مرض جلدى معين. أو كما لو أجريت لك عملية زرع شعر، أو عملية تجميلية، أو أعطاك الطبيب دواء مرا، للتخلص من وجع معين، فلم تطعه، أو ما إلى ذلك.. مما يتوقف على الألم والعناء الشديدين، فإن فعلت هذا الأمر تحصل على ذاك الامتياز، وإن أردت السلامة وعدم التعرض للأوجاع والمتاعب، فلن تحصل على شىء. ۲ ـ إنك حين تفعل ذلك الأمر لا تكون متمردا على إرادة الذى نهاك عن الفعل ليرشدك إلى مشقته، وليجنبك التعب والشقاء.. ولا تكون بذلك خارجا عن زى العبودية والانقياد، ولا مخلا بمولوية سيدك وآمرك. وهذا كما لو قال السيد لعبده أو الأب لولده: لا تركض حتى لا تتعب، ثم قال له رفيقه: أركض لتصبح أقوى، فإذا علم بالتعب، وعلم بالقوة، فإن اختياره العمل بقول رفيقه لا يعنى التمرد على إرادة أبيه. ۳ ـ فى هذه الصورة الأخيرة يصح أن يقال: عصيت أبى فتعبت وعرقت، ولو أنك لم تقبل بشرب الدواء المر، أو لم تبادر إلى إجراء عملية التجميل، فإنه يصح أن يقال: إنك عصيت أمر الطبيب. ۴ ـ وحين لا يتحقق ذلك الهدف الذى توخى الفاعل الحصول عليه، وهو الحصول على الخلد، أو الحصول على بعض المنافع، فمن الصحيح أن يقال: إنه عصى فغوى، أى لم يحقق مراده ولم يصل إلى هدفه، بل غوى عنه ومال. ۵ ـ أما سذاجة آدم فلا ـ ندرى كيف يكون هذا النبى ساذجا وبسيطا مع أن المفروض بأى مؤمن أن يكون كيسا فطنا، فهل هى سذاجة من أصل الخلقة؟! أم هى ناشئة عن نقص فى إيمان آدم؟! ولعل هذا البعض قد حسب أن عدم معرفة آدم (ع) بأمر خفى، لم يجد السبيل إلى معرفته، نوعٌ من السذاجة والبساطة..مع أن هناك فرقاً بين السذاجة التى تعنى التطلع إلى الأمور بنظرة حائرة بلهاء كما سيأتى فى كلام نفس هذا البعض عن إبراهيم (أبى الأنبياء) عليه السلام أو تعنى نوعا من القصور فى الوعى والفهم، كما يقول عن آدم (ع)، وصرح به فى خطبة ليلة الجمعة بتاريخ (۲۹ ـ ج۲ ـ ۱۴۱۸هـ) وبين عدم الإطلاع على الواقع لسبب أو لآخر. وكيف يكون آدم ساذجا

وقد خلقه الله تعالى بيديه وعلمه الأسماء كلها، وباهى به ملائكته، وأثبت لهم أنه أوسع علما ومعرفة منهم، وأمرهم أن يجعلوه قبلة فى سجودهم لله سبحانه، وذلك تكريما منه تعالى لآدم وتعظيما له؟ أم يعقل أن الله سبحانه ـ بالرغم من ذلك كله ـ لم يتقن خلق آدم، ولم يتدارك مواقع الخلل فيه، وهو الذى يقول: (تبارك الله أحسن الخالقين")؟! أن غيبة الإمام المهدى عليه السلام إنما هى ليكتسب خبرة قيادية. "۶ ـ أما الدورة التدريبية التى تحدث عنها بالنسبة لآدم، ولغيره من الأنبياء، فنحن نخشى أن يكون ثمة رغبة فى الحديث عن دورات مماثلة لعيسى، وللإمامين الجواد والهادى والإمام المهدى عليهم السلام!! حيث، إن تصديهم للمقامات الإلهية لم تسبقه دورة تدريبية فيها أوامر امتحانية وعسكرية. إلا أن يقال: إن إمامتهم لم تبدأ فى ذلك السن، وبقى مقام النبوة والإمامة شاغرا إلى أن انتهت دوراتهم التدريبية. ولعل ما يعزز هذا الاحتمال ما قالوه من: فلما أوردنا عليهم الإشكال قالوا": إن الشهيد الصدر هو الذى قال ذلك. "..فراجعنا كلام الشهيد الصدر، فوجدناه يقول": وعلى هذا الأساس نقطع النظر مؤقتا عن الخصائص التى نؤمن بتوفرها، فى هؤلاء الأئمة المعصومين ["..۱۱] أى: من أجل تقريب الفكرة لمن لا يعتقد بما نعتقده، كذا وكذا.. وهكذا يتضح: أن آيات القرآن لا تريد أن تنسب لآدم (ع)، ما ينسبه إليه البعض من هنات ونقائص. إستسلم آدم ولم يشعر أن استسلامه يمثل تمرداً على الله وعصياناً لإرادته. آدم يسقط إلى درك الخطيئة. آدم أصبح منبوذاً من الله. أراد الله تدريب آدم فى مواجهة حالات السقوط ليتنبه لأمثالها. أراد الله تدريب آدم ليعى كيف تتحرك الخطيئة فى نفسه فى المستقبل. آدم لا يحمل أية فكرة فطرية عن التوبة فتلقاها من الله. الأقرب أن الكلمات التى تلقاها آدم ليست هى أسماء الأئمة. الله يتحدث عن آدم فى كل مورد للإيحاء بالضعف الإنسانى. آدم يسقط أمام تجربة الإغراء فيتعرض للحرمان الأبدى. آدم و تجربة الإنحراف بتسويل إبليس. آدم لم يأخذ الموضوع مأخذ الجدية والإهتمام ولم يتعمق فى وعيه. آدم انحرف من موقع الغفلة وأجواء الحلم لا ـ من موقع الوعى. آدم لم يفكر جيداً. آدم استسلم للجو الخيالى المشبع بالأحاسيس الذاتية المتحركة مع الأحلام. آدم ابتعد عن خط الرشد. معصية آدم معصية تكليف (لا إرشاد). كان أمراً إرشادياً (لا تشريعيا). شعور آدم وحواء بالخزى والعار. آدم غير متوازن. يخصفان من ورق الجنة للتخلص من العار. إبليس أسقط آدم لئلا يبقى هو الساقط الوحيد فى عملية التمرد على الله. جريمة آدم تمثّلت له فى مستوى الكارثة. إبليس نجح فى إثارة الضعف فى شخصية آدم. آدم عاد إلى الله فى عملية توبة وتصحيح. آدم أساء إلى نفسه بانحرافه عن خط المسؤولية فى طاعة الله. إبليس أوصل آدم وحواء إلى مرحلة السقوط، بسبب الغرور الذى أوقعهما فيه. سقط آدم فى الامتحان، وأخفق فى التجربة. إبليس قاد آدم إلى الموقف المهين. خطيئة آدم أبعدته عن الله. آدم والشجرة المحرمة، والرغبة المحرمة. إبليس هبط بقيمة هذا المخلوق الذى كرمه الله. إنحراف آدم طارئ بسيط. آدم ثاب إلى رشده ودخل عالم الإستقامة من جديد. يقول البعض.. ": وتبدأ الآيات من جديد فى هذه السورة، لتضع الإنسان أمام بداية الخلق، ليعيش التصور الإسلامى عن تكريم الله للإنسان، وعن شخصية إبليس فى خصائصه الذاتية، وفى طريقته فى التفكير، وفى مخططاته من أجل إغواء الإنسان وإضلاله من خلال عقدة الكبرياء المتأصلة فيه.. ثم فى محاولاته الناجحة، فى البداية ـ فيما قام به من إثارة نقاط الضعف فى شخصية آدم ـ حتى أخرجه وزوجه من الجنة.. ثم.. فى عودة آدم إلى الله فى عملية إنابة وتوبة وانطلاقة تصحيح، وموقف قوة فى حركة الصراع مع إبليس وذلك من أجل أن يعيش الانسان الوعى لدوره المتحرك فى آفاق الصراع مع الشيطان فى كل مجالات حياته.. فكيف عالجت هذه الآيات القصة ["..۱۲۲] . ويقول أيضاً": وأراد الله أن يوحى إلى آدم بكرامته عليه، فيما يمهد له من سبل رضوانه ونعمه.. فقال له.. (اسكن أنت وزوجك الجنة) وخذا حريتكما فى التمتع بأثمارها فيما تختاران منها ممّا تستلذانه أو تشتهيانه.. (فكلا من حيث شئتما) لا يمنعكما منه مانع (ولا تقربا هذه الشجرة) فهى محرمة عليكما.. هذه هى إرادة الله التى انطلقت من موقع حكمته فى توجيهكما إلى أن تواجها المسؤولية من موقع الالتزام والإرادة، فى الامتناع عن بعض ما تشتهيانه من أجل إطاعة الله فيما يأمر به أو ينهى عنه فلا بد من تجربة أولى لحركة الإنسان فى عملية الإرادة.. فلتبدأ تجربتكما الأولى.. فى هذه الأجواء الفسيحة التى منحكما الله فيها كل شىء.. مما يجعل من النهى الصادر منه إليكما، تكليفا ميسرا لا صعوبة فيه ولا حرج.. فبإمكانكما السير فى نقطة البداية من أيسر طريق.. فلا تقربا هذه الشجرة (فتكونا من الظالمين) الذين يظلمون أنفسهم،

ويسيئون إليها بالانحراف عن خط المسؤولية فى طاعة الله.. ولم يكن لديهما أى حافزذاتى يدفعهما إلى المعصية، لأنهما لا يشعران بالحاجة إلى هذه الشجرة بالذات.. ما دامت الشجرة لا تمثل شيئا مميزا فى شكلها وثمرها.. فليست هناك أية مشكلة فى ذلك ["۱۳] .

ويقول أيضا": ولم يكن عندهما أية تجربة سابقة فى مخلوق يحلف بالله ويكذب، أو يؤكد النصيحة ويخون.. أو يغش، فصدقاه، وأقبلا على تلك الشجرة المحرمة يذوقان من ثمرتها ما شاءت لهما الرغبة أن يذوقا.. (فَدَلّاهُما بغرور) أى أنزلهما عن درجتهما الرفيعة فأوصلهما إلى مرحلة السقوط بسبب الغرور الذى أوقعهما فيه، فيما استعمله من أساليب الخداع (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوأتهما) وشعرا بالعرى.. الذى بدأ يبعث فى نفسيهما الشعور بالخزى والعار، فى إحساس جديد لم يكن لهما به عهد من قبل.. وقيل.. إنهما كانا يلبسان لباس أهل الجنة فسقط عنهما بسبب المعصية.. (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة..) ليستراها فى إحساس بالحاجة إلى ذلك، بطريقة غريزية من خلال شعورهما بالدور الخجول للعورة.. أو لأمر آخر يعلمه الله.. وسقطا فى الامتحان وأخفقا فى التجربة.. وبدأ هناك شعور خفى بالخيبة والمرارة.. فيما بدا لهما أنهما ارتكبا ما لا يجب أن يرتكباه.. وربما تذكرا نهى الله لهما عن الأكل من الشجرة.. وربما يكونان قد عاشا بعض الحيرة فيما يفعلانه فى موقفهما هذا.. فهذا أمر جديد لا يعرفان كيف يتصرفان فيه.. وهنا جاءهما النداء من الله مذكرا ومؤنباً (وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة..) فكيف خالفتما هذا النهى وعصيتمانى.. ما هى حجتكما فى ذلك؟.. هل هى وسوسة الشيطان..؟ وكيف لم تنتبها إلى وسوسته..؟ ألم أحذركما منه (وأقل لكما إن الشيطان لكما عدوّ مبين) يضمر لكما الحقد والعداوة والحسد.. منذ رفض السجود مع الملائكة وخالف أمر الله بذلك.. ووقف وقفة التحدى للإنسان ليغويه ويضره ويقوده إلى عذاب السعير.. وها أنتما تريان كيف قادكما إلى هذا الموقف المهين.. وتمثلت لهما الجريمة فى مستوى الكارثة.. كيف نسيا تحذير الله لهما.. كيف أقبلا على ممارسة الرغبة المحرمة وغفلا عن عداوة الشيطان لهما.. وكيف خالفا أمر الله الذى خلقهما وانعم عليهما.. وبدءا يعيشان الندم كأعمق ما يكون.. فى إحساس بالحسرة والمرارة والذعر.. ولكنهما لم يستسلما لهذه المشاعر السلبية طويلاً ولم يسقطا فى وهدة اليأس.. فلهما من الله أكثر من أمل ["۱۴] . ويقول مشيراً إلى إحساس آدم بالخزى والعار(": ينزع عنهما لباسهما) الذى يستر عورتيهما.. فيما ألقى الله عليهما من ألوان الستر (ليريهما سوآتهما) ليعيشا الإحساس بالخزى والعار ["۱۰] . ويقول أيضاً مشيراً إلى نفس الموضوع.. ": وجاءت هذه الآيات التى تبدأ النداءات بكلمة (يا بنى آدم) للإيحاء إليهم بالتجربة الحيّة التى عاشها آدم مع إبليس.. لئلا يكون التفكير فى المسألة فى المطلق.. بل يكون من موقع التاريخ الحى.. وقد استوحت الآيات قصة العرى الذى شعر به آدم بسبب معصيته، فى حالة من الإحساس بالخزى والعار.. لتوجه بنيه إلى النعمة التى أنعم الله بها عليهم، فيما خلق لهم من اللباس الذى يصنعونه من أصواف الأنعام وأوبارها وشعورها ["۱۱] . ويقول أيضاً.. ": كانت أول تجربة لهما فى الوجود.. وانسجما مع التجربة فى بساطة وعفوية.. وكان الشيطان لهما بالمرصاد. فقد عرف أن الفكر الذى يملكه الإنسان لا يقوى على مواجهة التحديات إلا من خلال التجارب المريرة التى يتعرف من خلالها أن الحياة لا تتمثل فى وجه واحد، فهناك عدة وجوه وألوان.. ولم تكن لهذين المخلوقين الجديدين أية تجربة سابقة مع الغش والكذب والخداع واللف والدوران.. كان الصدق.. وكانت البساطة فى مواجهة الأشياء، وكانت العفوية فى تقبل الكلمات.. هى الطابع للشخصية البريئة الساذجة التى تتمثل فى كيانهما.. وبدأت العملية من موقع حقده وحسده وعداوته.. فمشى إليهما فى صورة الملاك الناصح ليقول لهما: إن هذا النهى عن الأكل من الشجرة لا يلزمهما، بل سيحصلان ـ من خلال تجاوزه ـ على لذة الخلود والانطلاق فى أجواء الملائكة.. وبدأت الكلمات الجديدة المغلفة بغلاف من البراءة والنصح تأخذ مفعولها فى نفسيهما، فهما لم يتصورا أن هناك غشا فى النوايا، وخداعاً فى الأساليب.. بل كل ما عندهما الصفاء والنقاء والنظر إلى الحياة من وجه واحد، هو الحقيقة بعينها.. فاستسلما للكلمات من دون أن يشعرا بأن ذلك يمثل تمردا على الله وعصيانا لإرادته فقد كان لأساليبه فعل الساحر فى نفسيهما تماما كما هى الأحلام عندما تغرق الإنسان فى أجواء روحية لذيذة فتبعده عن واقعه وعن حياته. وسقطا أمام أول تجربة.. ونجح إبليس فى التحدى الأول للإنسان، فأهبطه من عليائه وأسقطه من مكانته.. لئلا يبقى الساقط الوحيد فى عملية التمرد على الله.. فها هو يشعر بالزهو والرضا، لأنه استطاع أن يهبط بقيمة هذا المخلوق الذى كرمه

الله عليه، إلى درك الخطيئة ليصبح منبوذا من الله.. وجاء الأمر من الله إليهم جميعا.. آدم وحواء وإبليس أن يهبطوا جميعا.. وان يعيشوا فى الأرض إلى المدى الذى يريد لهم أن يعيشوا فيه، ويتمتعوا فيما هيأه الله لهم من صنوف المتع واللذات.. وان يواجهوا الموقف بين الفريقين، فريق الانسان.. الخ ["..١٢] . ويقول أيضا فى مورد آخر.. ": ويعود القرآن إلى حديث الإنسان الأول آدم فى كل مورد للإيحاء بالضعف الإنسانى الذى قد يسقط أمام تجربة الإغراء حتى يخيّل إليه أنه يمثل الفرصة السانحة السريعة التى إذا لم يستفد منها وينتهزها فإنه يتعرض للحرمان الأبدى.. ولذلك فإنه يبادر إلى انتهازها مدفوعا بهذا التصور الوهمى.. ثم يكتشف ـ بعد الوقوع فى المشكلة ـ بأن المسألة ليست بهذه السرعة، وأن النتائج الإيجابية الموعودة ليست بهذا الحجم، فقد كان بإمكانه أن يصبر ويحصل على نتائج جيّدة أفضل وأكثر دواماً وثباتاً. "إلى أن قال(": ولقد عهدنا إلى آدم من قبل) وأوصيناه وحذرناه مما قد يواجهه من تجربة الانحراف بتسويل إبليس الذى يحمل له أكثر من عقدة منذ إبعاده عن رحمة الله بابتعاده عن الاستجابة لأمره بالسجود لآدم.. فى الوقت الذى لم يحمل له آدم أى شعور مضاد.. ولكن آدم لم يتعمق فى وعى الموضوع، ولم يأخذ مأخذ الجدّية والاهتمام، وبقى مستمراً على خط العفوية والبساطة الصافية فى مواجهته للأشياء (فنسى) ما ذكرناه به فترك الامتثال للنصيحة الإلهية التى لم تكن أمرا تشريعيا يستتبع عقابا جزائيا، بل كان أمرا إرشاديا يتحرك من المنطق الطبيعى للأمور فيما ترتبط به النتائج بمقدماتها. "إلى أن قال(": فوسوس إليهما الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) التى إذا أكلت منها أعطتك خلود الحياة التى لا فناء فيها (وملك لا يبلى) فيما يشتمل عليه من سلطنة دائمة مطلقة لا تسقط أمام عوامل الاهتزاز والسقوط. وهكذا حاول الالتفاف على أحلامهما الإنسانية فى الخلود والملك الباقى من دون أن يثير فيهما عقدة الخوف من المعصية لله، ولهذا كان أسلوبه هو أسلوب التحذير الذاتى، والغفلة الروحية عن النتائج السلبية التى تنتظرهما، إذا استسلما إليه. وهذا هو الذى يجب أن ينتبه إليه الإنسان فى مواقفه العملية، فيما قد يوسوس إليه الشيطان من التأكيد على حركة الحلم الوردى فى مشاعره بطريقة غير واقعية، مستغلا حالة الاسترخاء الروحى، والغفلة الفكرية التى يخضع لها فى وجدانه، مما يجعله مشدودا إلى الجانب الخيالى من أفكاره من دون مناقشة لها فى قليل أو كثير فينحرف من موقع الغفلة لا من موقع الوعى، ومن أجواء الحلم لا من أجواء الواقع، كما حدث تماما لآدم وحواء عندما كانا ينعمان بسعادة الجنة ونعيمها فى ظلال عفو الله ورحمته ورضوانه، يتبوءان من الجنة حيث يشاءان، فليس لديهما مشكلة هناك.. فلم يكن من إبليس إلا أن وسوس إليهما مستغلاً جانب الغفلة، فعزلهما عن الواقع، ودفعهما إلى التفكير بالخلود والملك الباقى من خلال الأكل من الشجرة التى نهاهما الله عنها.. ولو فكرا جيدا لعرفا أن الخلود والملك ليسا من الأشياء التى تحصل بفعل الأكل من شجرة، بل هما نتيجة الإرادة الإلهية التى تملك أمر الموت والحياة، والملك الباقى أو الفانى، ولكنهما استسلما للجو الخيالى المشبع بالأحاسيس الذاتية المتحركة مع الأحلام. إن الموقف المتوازن هو الموقف الذى ينطلق من القرار المبنى على الدراسة الموضوعية للأشياء، وعلى النظرة الواقعية لموقعها من المستقبل مما يفرض على الإنسان أن يتخفف كثيرا من أحلامه، لمصلحة الكثير من أفكاره ومواقفه الثابتة فى الحياة. (فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما) فيما يعنيه ذلك من الإحساس بالعرى الذى لا يغطيه شىء، فيما يعيشان الشعور معه بالعار والخزى فى الوقت الذى كانا يتحركان ببساطة من دون مراعاة لوجود شىء فى جسديهما يوحى بالستر، لأن مسألة الخطيئة فى أفكارها وأحلامها لم تكن واردة فى منطقة الشعور لديهما.. ولهذا كانا لا يشعران بوجود عورة.. لأن ذلك هو وليد الشعور بالمنطقة الخفية من شخصية الإنسان فيما يختزنه فى داخله من أفكار وأحاسيس كامنة فى الذات. (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) فى عملية تغطية وإخفاء وتخلص من العار (وعصى آدم ربه فغوى) وابتعد عن خط الرشد الذى يقود الإنسان إلى ما فيه صلاحه فى حياته المادية والمعنوية ولكن هذا الانحراف الطارئ البسيط لم يكن حالة معقدة فى عمق الذات تفرض عليه الاستسلام للخطيئة كعنصر ذاتى لا يملك الإنفكاك منه بل هو حالة إنسانية تستغرق فى الغفلة لحظة ثم تثوب إلى رشدها لتدخل فى عالم الاستقامة من جديد.. إلى أن قال(": ثم اجتباه ربه) واصطفاه إليه واختاره لنفسه فلم يتركه ضائعا حائرا فى قبضة فرعون.. (فتاب عليه) ورضى عنه (وهدى) وفتح له أبواب رحمته، ودله على الطريق المستقيم وأراده أن يواجه الحياة من مواقع قوة الإرادة فى ساحة الصراع مع الشيطان، ولعل الله سبحانه

أراد أن يجعل له من تجربة العصيان في الجنة، فترة تدريبية يمارس فيها حركة الوعي للجو الشيطاني الذي يتحرك فيه الكذب والغش والدجل والخيانة والرياء.. ليختزن الفكرة قبل أن ينزل إلى الأرض التي أعده الله ليكون خليفة له فيها، فيستفيد من تجربة سقوطه وخروجه من الجنة على أساس ذلك، كيف يعمل على أن يتفادى السقوط في الأرض أمام الشيطان الذي غره من موقع العقدة الشيطانية المستعصية، وكيف يجعل من دوره الرسالي، موقع قوة للحياة وللإنسان لا موقع ضعف. وهكذا أراد الله له أن يعيش الشعور برضا الله عنه وهدايته له فيما يريد له أن يتحرك فيه ["..١٣] . ويقول أيضاً.. ": قد يثور أمامنا سؤال: إننا نعرف في قصة خلق آدم، في حوار الله مع الملائكة، ان الله قد خلقه للأرض ولم يخلقه ابتداء ليعيش في الجنة، فكيف نفسر هذا الأمر الذي يوحي بأن الجنة كانت المكان الطبيعي له لولا العصيان؟ والجواب عن ذلك.. هو أن الأمر الإلهي كان جزءاً من عملية التدريب الإلهي المرتكزة على فكرة الربط بين الجنة والطاعة في وعي الإنسان مع علم الله بأنه لن ينجح في الامتحان، فكان تقديره في خلقه للأرض من اشتراط البقاء في الجنة بشرط غير متحقق، فلا منافاة بين الأمرين. وقد نستوضح الصورة في إطار الفكرة الأصولية التي يبحثها علماء الأصول في موضوع صيغة الأمر.. وهي أن دوافع الأمر قد تختلف، فقد يكون الدافع له هو إرادة حصول الفعل من المأمور وقد يكون الدافع هو امتحان اخلاص المأمور وطاعته، أو إظهار قوة إيمانه وإخلاصه، من دون أن يكون هناك أي غرض يتعلق بالفعل، كما نلاحظه في أمر الله لإبراهيم بذبح ولده، لا لأن الله يريد ذلك (ولذلك رفعه قبل حصوله) بل ليظهر عظمة التسليم المطلق لله في سلوك الأب والابن ليكونا مثلا وقدوة للناس، وقد يكون الداعي أمرا آخر، وهو تدريب الإنسان على مواجهة حالات السقوط بتعريضه لتلك التجربة ليتنبه إلى أمثالها في المستقبل كما في حالة آدم (ع). ونحن لا نجد أي مانع عقلي في ذلك بل هو واقع كثيرا في أفعال العقلاء وأساليبهم في الأوامر والنواهي.. ولا مجال للاعتراض هنا بأن الله كلف آدم بما يعلم أنه لا يمتثل من خلال الظروف الموضوعية المحيطة به، أولا لان العلم بعدم الامتثال لا يمنع من التكليف أساسا باعتبار أن العلم معلول للمعلوم وليس الأمر بالعكس.. وثانياً: أن التكليف لم يستهدف حصول الفعل، بل استهدف وعي التجربة المستقبلية من خلال التجربة الحاضرة وعلى ضوء هذا نجد أن الأمر هنا يشبه الأمر في قصة إبراهيم ولكن بطريقة متعاكسة في الموضعين. التوبة ومدلولها في حياة الإنسان (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم..) إنه هو لعل في هذه الآية بعض الدلالة على أن الموقف كله في قضية آدم كان تدريبا من أجل أن يعي الإنسان في مستقبل حياته كيف تتحرك الخطيئة في نفسه وكيف تدفعه بعيدا عن الله.. فقد عالجت هذه الآية قضية التوبة، ووضعها في نطاق الأشياء المتلقاة من الله مما يوحي بأن آدم لا يحمل أية فكرة فطرية عنها، فكان الإيحاء والإلهام من الله من اجل أن يتعلم كيف يتراجع عن الخطأ فلا يستمر عليه.. أما طبيعة الكلمات فقد اختلف المفسرون فيها، ولكن الأقرب إلى الذهن هو ما حدثنا عنه القرآن في سورة الأعراف في قوله تعالى: (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين)(الاعراف/٢٣). انه الشعور العميق بطبيعة الخطأ وعلاقته بنفس الخاطئ وحياته وانعكاساته على قضية مصيره فليست القضية متصلة بالله باعتبارها شيئا يسيء إليه أو يمس سلطانه، ولكنها متصلة بالموقف الإنساني من الله بقدر علاقته بموقفه من مصلحة نفسه، مما يجعل من بقاء الذنب في موقعه خسارة كبيرة للإنسان في الدنيا والآخرة، ويكون طلب المغفرة والرحمة منطلقا من الرفض الكبير للمصير الخاسر. فلا خسارة اعظم من خسارة الإنسان علاقة القرب إلى الله لأنه يخسر بذلك امتداده الإنساني في الطريق المستقيم [١٤] .

وقفة قصيرة

١ ـ إننا لا نريد أن نعلق على كل ما ورد في الصفحات المتقدمة حول آدم عليه السلام، ولا سيما قوله: إن شخصية آدم بريئة وساذجة. وهو الأمر الذي اكده من جديد في محاضرته في قاعة الجنان بتاريخ ٢٠ جمادى الثانية ١٤١٨ هـ وطبعت بعنوان: الزهراء المعصومة النموذج للمراة العالمية، ط سنة ١٩٩٧ ص ٥٠. وليعلم القارئ الكريم أن ما تركناه من أقاويل هذا الرجل المشتملة على أمثال ما ذكر هنا، هو اكثر مما أوردناه في هذا الموضع من الكتاب. ٢ ـ إن هذا البعض قد ذكر في ما نقلناه عنه: أن الله سبحانه أراد أن يضع الإنسان

أمام بداية الخلق، ليعيش التصور الإسلامى عن تكريم الله للإنسان. ولكن ليت شعرى أى تكريم هذا الذى يتحدث عنه هذا البعض، وهو نفسه يقدم لنا فى كتابه (من وحى القرآن) بل وسائر كتبه ـ التى جدد التزامه بكل ما اورده فيها فى محاضرته المشار اليها فى قاعة الجنان ـ أوصافاً وأفعالاً ـ ينسبها إلى الانبياء ما يقزز النفس، ويثير الغثيان، ويبعث على القرف، حتى ليتمنى أى إنسان عادى لو أن الله خلق شيئا آخر بدلا عن هذا الإنسان الأضحوكة والمسخرة والساقط والمهان. وإن ما ذكرناه هنا وفى مواضع أخرى من هذا الكتاب يكفى للدلالة على نوع الأفكار التى يقدمها هذا البعض عن أنبياء الله وأصفيائه، فهى إلى التوراة أقرب منها إلى القرآن. وليس ثمة مجال للاعتذار عن ذلك بكونه ظاهر القرآن لأننا قد شرحنا فيما تقدم من الآيات الكريمة المرتبطة بقضية النبى آدم (عليه السلام) كيفية عدم انطباق ما يقوله هذا البعض على تلك الآيات. وسيأتى عند الحديث عن الآيات المتعلقة بسائر الأنبياء (عليهم السلام) ما يقطع العذر عن مثل هذا الوهم. ٣ ـ على أن من الطريف أن نشير هنا إلى أن الحديث عن شعور آدم وحواء بالخزى والعار، لا موقع له، إذ إنهما كانا وحدهما فى الجنة، ولم يكن ثمة ناظر لهما غيرهما، وهما زوجان لا محذور من نظر أحدهما إلى الآخر.. إلا أن يقال: إن الجن والملائكة، وحتى الشيطان كان أيضا موجوداً، ولا يريدان أن ينظر أحد ـ خصوصاً هذا المخلوق الشرير ـ إليهما، أو يقال: إن إحساسهما بظهور عورتيهما كان هو المرفوض من قبلهما. وعلى أى حال، فإننا لا نتفاعل!! مع تعبيره عن آدم النبى عليه السلام، أنه شعر" بالخزى والعار [١٥ "] فإن ذلك غير لائق فى حقه عليه السلام. كما أن ذلك مجرد دعوى بلا دليل، ولم يكن هذا البعض حاضرا ولا ناظرا، ولا مطلعا على آثار هذا الخجل الناشئ عن الشعور بالخزى والعار، ولا رأى عليهما آثار الاضطراب ولا شاهد حمرة الخجل فى وجهيهما، ولا غير ذلك من علامات. وبعد، فإن من الواضح أن آدم عليه السلام، قد أكل من الشجرة، فواجه آثارا سلبية فى جسده لم تكن قد مرت به من قبل. وقد كانت هذه الآثار متعددة عبّر عنها القرآن الكريم بكلمة" سوءات "التى هى صيغة جمع، وقد نسب هذا الجمع إلى آدم وحواء كل على حدة، ومعنى ذلك أنه قد ظهرت سوآت عديدة لكل واحد منهما، لا سوءة واحدة لينحصر الأمر بموضوع ظهور العورة منهما، إذ لو كان المراد هو خصوص ذلك لكان الأنسب أن يقول: بدت لهما سوأتاهما. وتبديل المثنى بالجمع إنما يصار اليه فى الموارد التى يقطع فيها بإرادة المثنى، بحيث يكون العدول غير موهم. ۴ ـ إن العناوين التى ذكرناها فى بداية كلام هذا البعض، والمأخوذة من كلماته وتعابيره، تعطينا فكرة عن طبيعة اللغة واللهجة التى يتحدث بها عن أنبياء الله سبحانه وتعالى؛ فإنها ليست لغة سليمة ولا مقبولة، مهما حاولنا التبرير والتوجيه، والالتفاف على الكلمات بالتأويل أو بغيره. فهل يصح أن يقال: إن آدم عليه السلام وهو النبى المعصوم قد سقط أمام التجربة، أو أنه أساء إلى نفسه بانحرافه عن خط الرشد والمسؤولية فى طاعة الله؟ أو إن آدم قد تعرض للحرمان الأبدى حين سقط فى تجربة الإغراء؟! أو إن الله حذر هذا النبى من تجربة الانحراف بتسويل إبليس؟!. وهل يصح وصف آدم بالمنحرف؟، وما جرى له بالإنحراف؟! أم يصح أن يقال عن نبى: إنه لم يفكر جيداً؟! أو يقال إنه لم يشعر أن ذلك يمثل تمردا على الله وعصيانا لإرادته؟! أو إنه لم يأخذ الموضوع ـ فيما يرتبط بالأمر الإلهى ـ مأخذ الجدية والاهتمام؟! أو إن جريمة آدم تمثلت له فى مستوى الكارثة؟! وماذا يعنى أن ينسب إلى آدم استسلامه للجو الخيالى المشبع بالأحاسيس المتحركة مع الأحلام؟! أو أن يقال: إن الله تعالى أراد تدريبه ليعى كيف تتحرك الخطيئة فى نفسه فى المستقبل؟! وكيف تبعده عن الله؟! وهل يصح أن يقال عن نبى من الأنبياء: إنه سقط إلى درك الخطيئة؟! أو أن يقال: إن إبليس قاد آدم إلى الموقف المهين؟! أو إن هذا النبى قد أصبح منبوذا من الله سبحانه؟! ألا ترى معى أنها عبارات تستعمل عادة لأقل الناس و أحطهم؟! ۵ ـ وهل يمكن أن يقبل أحد مقولة أن هذا النبى لا يحمل فكرة فطرية عن التوبة فاحتاج إلى أن يتلقاها من الله سبحانه وتعالى؟!. وأية آية دلّته على هذا النفى؟! فإن تلقى الكلمات من الله وتعليم الله سبحانه لآدم كلمات (هى أسماء أصحاب الكساء) أو دعاءً مخصوصاً، لا يعنى أنه كان لا يدرك حسن التوبة، ومطلوبيتها، فإن وجوب التوبة امر عقلى، ثابت فى الشرع، والعقل يدرك حسنها كما هو معلوم لدى العلماء إذن فالذى علمه الله إياه من الكلمات ـ كما ورد فى روايات أهل البيت (ع) ـ هو الدعاء، والإستشفاع بأهل البيت من أجل أن يتوسل بذلك إلى الله فى توبته التى يدرك بعقله حسنها ومطلوبيتها لله سبحانه وليس فى الآية أنه تعالى علّمه ان يتوب. ۶ ـ كما أننا نلاحظ: أنه يستقرب

أن تكون الكلمات التى تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، هى خصوص قوله تعالى (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) [۱۶] . فإن هذه الكلمات تفيد أن آدم (ع) قد دعا بها ربه، طالبا أن يغفر له ويرحمه حتى لا يكون من الخاسرين. وليس هناك ما يدل على أنها هى الكلمات التى علمها الله لآدم. ۷ ـ إن الأنسب والأوفق بسياق الآيات هو أن تكون الكلمات التى علمها الله لآدم هى تلك التى وردت فى الروايات الكثيرة عن اهل بيت العصمة عليهم السلام، وهى أسماء الأئمة والحجج على الخلق عليهم أفضل السلام، لأنها هى الكلمات التى تحتاج إلى تعليم فى مقام كهذا لكى يستشفع آدم (ع) بمسمياتها لما لهم (ع) من كرامة على الله. وتكون هذه مناسبة جليلة يتعرف فيها آدم وذريته اكثر فاكثر على مقام هؤلاء الصفوة ليكون تعلقهم بهم أقوى، ومحبتهم لهم أشد، وتقربهم منهم ومن خطهم ونهجهم أولى وأتم.. ولا ـ ندرى لماذا لم يشر هذا البعض إلى هذه الأحاديث الكثيرة جدا التى صرحت بأن الكلمات التى علمها الله لآدم هى اسماء هؤلاء، وكيف ولماذا استقرب أنها – أى الكلمات ـ آية ۲۳ من سورة الأعراف: (قالا ربنا ظلمنا انفسنا..) مع أنه لا إشارة إلى ذلك أصلا لا فى الآية ولا فى الرواية. بل إن ما ورد فى هذه الآية هو الموقف الطبيعى والعفوى الذى ينتظر صدوره من آدم عليه السلام من دون حاجة إلى أى تعليم [۱۷] . ۸ ـ على أن لنا أن نتوقف قليلا عند قصة سجود إبليس لآدم، التى سبقت قضية الأكل من الشجرة، لأنها كانت فى بدء خلقة آدم، فهل بقى آدم غافلا عن حقيقة موقف إبليس منه؟ ألم يطلعه الله سبحانه على سوء سريرة إبليس، وعلى أنه عدو لهما (و أقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين). أليس فى قول الله سبحانه هذا لهما إشارة إلى أن هذا المخلوق ليس مأمونا، وغير مرضى الطريقة، ولا يسير فى الصراط المستقيم؟. وألا يكفى آدم التوجيه الإلهى الصريح والواضح، حتى يحتاج إلى التدريب والتجربة؟!.. ولماذا اقتصرت تجربة آدم على الكذب والغش، ولم تتعد ذلك إلى سائر أنواع الفواحش؟! أم أن هذا البعض يلتزم بأن آدم فى نطاق دورته التدريبية قد واجه إبليس وعاينه حين ارتكابه لسائر الفواحش وممارسته لها عمليا؟! وما هو السر فى أن التجربة قد اقتصرت على الكذب والغش ولم تتجاوزه إلى الفتنة والغيبة والنميمة وغير ذلك، بل اكتفى فى الباقى بالتوجيه والتعليم؟! ولماذا لم يستغن عن هذه الدورة التدريبية أيضا بتعليم مناسب بالنسبة إلى الغش والكذب، يتفادى معه حصول ما حصل؟! أم أن الأساليب الإلهية قد استنفدت مع آدم (ع) ولم يفد معه إلا هذا الأسلوب الصعب والقاسى؟! ولعل قوله": الظاهر أنه استمر فى الخط المستقيم [۱۸]" يشير إلى صحة هذا الاحتمال الأخير لأنه ألمح إلى أنه حتى هذا الأسلوب لم يكن مجدياً إلى درجة يقطع معها باستقامة آدم على الطريق المستقيم. الظاهر أن آدم استمر فى الخط المستقيم. عدم حديث الله عن خطأ آخر لآدم دليل عدم وقوعه من بعد ذلك. ويقول البعض.. ": وانتهت قصة إبليس مع آدم.. واستطاع آدم بعد نزوله إلى الأرض أن يعى ـ تماما ـ معنى الدور الشيطانى لإبليس فى الإضلال والإغواء، من موقع العقدة المستحكمة فى نفسه ضدّه.. وأن يحفظ نفسه منه فلم يحدّثنا الله عن خطأ آخر فى مخالفة أوامر الله ونواهيه.. بل الظاهر، أنه استمر فى الخط المستقيم الذى ترتبط فيه كل ممارسات حياته وتطلعاته بالله، بعيداً عن وساوس الشيطان وأضاليله.. [۱۹] .

وقفة قصيرة

۱ ـ لا ندرى كيف نعتذر عن هذا البعض فى نسبة الخطأ فى مخالفة أوامر الله ونواهيه إلى النبى آدم عليه السلام. وقد تحدثنا عن المراد من الآيات فيما تقدم من الفصل، فنذكره.. ۲ ـ كما أننا لا ندرى كيف لم يجزم بعصمة آدم عليه السلام عن الخطأ فى مخالفة أمر الله ونهيه، بل احتاط، وحمله على الأحسن!! فاعتبر أن الظاهر من أمر آدم أنه استمر على الخط، ولم يقطع بذلك وأبقى باب احتمال المعصية، والانحراف عن خط الرشد مفتوحاً، مع أنه يقول: إن العصمة عن الخطأ فى الأنبياء تكوينية!! إلا أن يريد: أن ذلك فى خصوص العصمة عن الذنوب، أما الخطأ فلا عصمة عنه و هو الظاهر من كلماته التى نقلناها و ننقلها. ۳ ـ والذى لفت نظرنا أنه اعتبر عدم حديث الله سبحانه عن خطأ آخر لآدم عليه السلام دليلاً على عدم وقوع أى خطأ منه.. فهل هذا الدليل يصلح للإعتماد عليه فى ذلك يا ترى.!؟. إهبطا أنتما وإبليس لفشلكم فى الإستقامة على خط أوامر الله ونواهيه. إهبطا أنتما وإبليس لعصيانكم الله. أدرك آدم

الهول الكبير الـذى يواجهه فى البعد عن رحمة الله. أدرك آدم الهول الكبير فى الخروج من مواقع القرب لله. التحول الإنسانى لآدم فى الإعتراف بالـذنب. التحول الإنسانى لآدم فى العزم على التصـحيح. التحول الإنسانى لآدم فى الرجوع إلى الله بالعودة إلى طاعته. الأوامر الإرشاديـة تتصل بمحبة الله لعبده كى لا يقع فى قبضة الفساد. الكلمات التى تلقاها آدم هى: ربنا ظلمنا أنفسـنا.. الخ.. الحديث المروى يؤكد تفسـيره للكلمات المتلقاة ويستبعد أسماء أهل البيت. آدم وحواء سقطا فى التجربة الصعبة. السقوط فى التجربة كان بعد التحذير الإلهى من الشـجرة، ومن الشـيطان. ويقول البعض(": وقلنا اهبطوا) إلى الأرض أنتما وإبليس لعصيانكم الله، وفشلكم فى الإستقامة على خط أوامره ونواهيه، (بعضـكم لبعض عدو) بفعل الحرب المفتوحة بينكما وذريتكما وبينه، وجنوده، لأنه يسـتهدف إبعادكم عن رحمة الله، وعن جنته، بينما تعملون على التمرد عليه والخروج من سـلطته والسعى إلى دخول الجنة والبعد عن النار.(ولكم فى الأرض مستقر) أى مقام ثابت لأن الله جعلها قرارا، (ومتاع) تسـتمتعون فيه فى حاجاتكم الوجوديـة العامـة والخاصة، (إلى حين) إلى الأجل الذى جعله الله لكم فى مدة العمر التى حددها لكم فى هذه الدنيا. وهكذا عرف آدم، ومعه زوجته معنى الشـيطان فى وسوسـته، وقسوة التجربة فى نتائجها، وأدرك الهول الكبير الذى يواجهه فى البعد عن رحمة الله، وفى الخروج من مواقع القرب إليه، ومقامات الروح فى رحابه.

آدم يتوب إلى الله

(فتلقى آدم من ربه كلمات) ترتفع إلى الله من روح خاشـعة خاضعة، وقلب نابض بالحسرة، والندم ولسان ينطق بالتوبة، وكيان يرتجف بالتوسل، وذلك بالإلهام الإلهى من خلال الفطرة التى توحى بالمعرفة فى علاقة النتائج بالمقدمات، وفى طريقة تغيير الموقف من دائرة السـلب إلى دائرة الإيجاب، ليكون التحول الإنسانى فى الإعتراف بالذنب والإستسـلام للندم، والعزيمة على التصحيح، والرجوع إلى الله بالعودة إلى طاعته فى ما يكلفه به من مهمات، وفى ما يرشـده إليه من إرشادات، لأن أوامر الله الإرشاديـة تتصل بمحبته لعبـده لئلا يقع فى قبضـة الفسـاد، كمـا تتصل أوامره المولويـة بحرصه عليه فى البقاء فى خط الإسـتقامة، وابتعاده عن خط الإنحراف الـذى يؤدى إلى الزلل ويقوده إلى الهلاك.

ولكن ما هى هذه الكلمات؟

إن الرجوع إلى القصـة فى سورة الأعراف يوحى بـأن آدم الـذى انطلق نحو التوبـة فى عمليـة تكامـل مع حواء، وقف معهـا ليقولا ـ فى توبتهما (ربنا ظلمنا أنفسـنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) (الاعراف: ٢٣) ويبدو من خلال هذه الآية، أن التوبة كانت قبل الهبوط إلى الأرض، بعد التوبيخ الإلهى والتذكير لهما بأن سـقوطهما فى التجربة الصعبة لم يحصل من حالة غفلة، لا تعرف الطريق إلى الوعى، بل كان حاصلاً بعد التحذير الإلهى من الأكل من الشجرة، ومن الشيطان، باعتباره عدواً لهما، وذلك قوله تعالى: (فلما ذاقا الشـجرة بـدت لهمـا سوءاتهمـا وطفقـا يخصـفان عليهمـا من ورق الجنـة، وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشـجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين) (الأعراف: ٢٢). ويؤكـد هذا التفسير للكلمات الحديث المروى فى قوله تعالى: (فتلقى آدم من ربه كلمات) و(قـال: لا إله إلا أنت سـبحانك وبحمـدك، عملت سوءاً وظلمت نفسـى فاغفر لى وأنت خير الغافرين، لا إله إلا أنت سـبحانك اللهم وبحمـدك عملت سوءاً وظلمت نفسـى فارحمنى وأنت خير الراحمين، لا إله إلا أنت سـبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسـى فاغفر لى وتب على إنك أنت التواب الرحيم.). وهـذا ما ينسـجم مع الآيـة فى أصل الفكرة، ولكنه يختلف عنها فى التفاصـيل" [٢٠].

وقفة قصيرة

ونقول: ١ ـ قد تحدثنا فيما مضى من هذا الفصل بما فيه الكفاية عن قصة آدم عليه السلام، ولأجل ذلك، فإننا سوف نصرف النظر عن الإعادة ولعل نفس العناوين التي استخرجناها من طيات كلام هذا البعض توضح لنا مدى جرأته على انبياء الله وأوليائه. ٢ ـ قد أشرنا حين الحديث عن تفسيره لقوله تعالى: (عفا الله عنك لم أذنت لهم..) وذلك عند الحديث عن كلام البعض حول نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) إلى أن مخالفة الأولى لا ـ مجال لقبولها في حق الأنبياء، بأي وجه لأنها تنتهي إلى الطعن بهم، أو الطعن في عظمة الله وجلاله، جل وعز.. ٣ ـ إننا لم نستطع أن نفهم السبب في استبعاده أسماء اهل البيت (عليهم السلام) وحصره الكلمات التي تلقاها آدم من ربه في خصوص هذا الدعاء، فإن التجاء الإنسان إلى الله، والإعتراف أمامه بالقصور، وبالتقصير، وطلب العون والستر والمغفرة، لا يحتاج إلى التلقي من الله سبحانه، وإلى التعليم، إذ إن ذلك هو ما تسوق إليه طبيعة الإنسان الذي يعرف الله، ويقف أمام جلاله، وعظمته، مدركاً عجزه في مقابل قدرته، وضعفه في مقابل قوته، وفقره، وحاجته في مقابل غناه، و. فكان من الطبيعي أن يدعو آدم ربه، وقد نقلت الروايات لنا ذلك. ثم تفضل الله عليه بتعليمه اسماء أهل البيت (عليهم السلام) ليكونوا شفعاءه ووسيلته. فيكون قد جمع بين الدعاء وبين التوسل. ولماذا يستبعد الروايات التي تحدثت عن أن الكلمات هي محمد، وفاطمة، وعلي، والحسنان.. فإن بإمكانه أن يجمع بين الروايات باعتبار انه عليه السلام قد جمع بين الدعاء وبين التوسل فيكون دعاؤه عليه السلام قد اشتمل على الأمرين معاً. ٤ ـ من قال: إن هبوط آدم (ع) وحواء من الجنة كان قد جاء على سبيل العقوبة لهما.. فلعله قد جاء من خلال: الحالة التي استجدت لهما بسبب الأكل من الشجرة، من خلال تبلور الطبيعة البشرية بما لها من عوارض في شخصيتهما حيث أصبحا يشعران بالحر والبرد، وبالقوة والضعف، وبالصحة والمرض، وبالجوع والشبع، وبالري والعطش. وأصبح الواحد منهم يعرق، ويبول، ويتغوط، وينام إلى غير ذلك من حالات تعرض للبشر العاديين. فلم يعد يمكنهما البقاء في الجنة من أجل ذلك فكان لا بد من التوجيه الإلهي لهما باختيار المكان المناسب، دون أن يكون ذلك إبعاداً لهما عن ساحة الرحمة والقرب، والزلفى. أما إبليس، فإن خروجه كان عقوبة له.. فإن طبيعة كينونته، وتكوينه لا ـ تقتضي أن يحصل له ما كان يحصل لآدم من العطش والجوع والحر والبرد والمرض وما إلى ذلك. فإذا طرد من الجنة، فإن طرده يمثل إبعاداً عن ساحة القرب والزلفى والرحمة الإلهية، وحرمانا من مقام الكرامة الربانية. وسيتضح الفرق بين الموقفين، الذي يبرر اعتبار هذا عقوبة وذاك كرامة. ٥ ـ وقد روى عن الإمام الصادق (ع) أو الإمام الباقر (ع) قوله عن آدم (ع): (إنه لم ينس وكيف ينسى وهو يذكره، ويقول له إبليس: (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين)) [٢١] . وذلك يفيد، أن المراد من قوله تعالى: (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً) إن كانت الآية تتحدث عما جرى بين آدم وإبليس ـ أن المراد بالنسيان هو أنه قد عمل عمل الناسي، بأن ترك الأمر وانصرف عنه، كما يترك الناسي الأمر الذي يطلب منه. لكن الظاهر من الرواية المتقدمة هو: أن آدم (ع) لم ينس نهى الله عن الشجرة، كما أنه قد روى عن الإمام الصادق (ع) ما يدل على أن نسيان العهد في هذه الآية لا يرتبط بالنهي عن الشجرة، بل هو يرتبط فيما أخذ عليه في الميثاق.. وللبحث في هذه الآية مجال آخر. ٦ ـ قد ذكرنا أن ما فعله آدم لم يكن تمرداً على إرادة الله ولا كسراً لهيبته، بل ما فعله (ع) يشبه مخالفة المريض لأمر الطبيب الذي نهاه مثلاً عن المشي لمدة ساعة وأعطاه دواء، فظن المريض المشي دواء له كما أن الدواء يقوم بمهمة المشي ويؤدي وظيفته، لكن المشي ساعة هو الأسرع في تحقيق الغرض من الدواء الذي يحتاج إلى عشرة أيام، فآثر المريض أن يتحمل مشقة المشي ليحقق غرض الطبيب وليفرح بالشفاء العاجل. وإذ بالنتيجة تكون عكسية حيث يظهر للمريض أن المشي ليس هو الدواء بل هو سبب الداء. فيصح القول بأنه عصى أمر الطبيب، وإن لم يكن الطبيب سيداً له ولا نشأ أمره من موقع السيادة، بل من موقع الإرشاد والنصيحة، ولا تستحق مخالفة النصيحة، ولا مخالفة أمر الناصح أية عقوبة. ٧ ـ إن إقدام آدم (ع) على الأكل من الشجرة، وكل ما جرى له عليه السلام، قد جاء ليثبت أهلية آدم(ع) للنبوة، وامتلاكه للمواصفات التي تحتاجها في أعلى درجاتها، تماماً كما حصل لموسى (ع) مع الخضر (ع). إذ إن ما كان يطمح إليه آدم (ع) ويطمع به لم يكن أمراً دنيوياً، ولذة عاجلة، كالسلطة، والمال، والجاه، والنساء، والمأكل، والملبس، وما إلى ذلك، بل كان طموحه منسجماً مع شخصيته الإيمانية والنبوية، وهو أن يعيش مع الله سبحانه وتعالى، وأن يكون

خالصاً له. وأن يستأصل من داخله حتى ميوله وغرائزه الذاتية التى من شأنها أن تشده إلى أمور أخرى، ليصبح تماماً كما هو الملاك الذى يكون الخير طبيعته وسجيته، ولا يحمل فى داخله أى شهوة أو غريزة يمكن أن يكون لها أدنى أثر فى صرفه عن وجهته، أو أدنى أثر فى وهن عزيمته. كما أنه حين أراد الحصول على ملك لا ـ يبلى، فإنه لم يرده حباً فى الدنيا وإيثاراً لها.. وإنما ليكون قوة له فى طاعة الله سبحانه، ووسيلة لإقامة العدل المحبوب لله فيما استخلفه سبحانه وتعالى فيه. أضف إلى ذلك أن طموح آدم (ع) وسعيه هو أن يبقى يعيش مع الله، وأن يكون عمره مديداً ومديداً جداً يصرفه كله فى عبادته سبحانه، وفى رضاه، فهو لا يريد الخلود لأجل الدنيا، أو استجابة لشهوة حب البقاء.. نعم هذه هى أهداف وطموحات آدم (ع) النبى العاقل والحكيم، وهذا هو كل همّه، وغاية سعيه، ولو أنه لم يرد ذلك، لكان فيه نقص، ولما استحق مقام النبوة، لأنه بذلك يريد أن يبقى بعيداً عن الله، مستجيباً لغرائزه وشهواته.. وفوق ذلك كله، فإنه إذا كان قادراً على التصرف فى الأمور وكان ملكاً فإنه سيكون قادراً على التقلّب فى طاعة الله فى مختلف الحالات، وينال بذلك أعظم مواقع القرب والزلفى منه تعالى. ولأجل ذلك نجد أن إبليس اللعين قد ضرب على هذا الوتر الحساس بالذات، حين قال لهما وهما لا يريانه ـ كما روى عن الإمام العسكرى عليه السلام ـ أو على الأقل لا دليل على رؤيتهم له ولا على معرفتهم به [٢٢] . نعم، لقد ضرب إبليس اللعين على هذا الوتر فقال: (هل أدلكما على شجرة الخلد وملك لا يبلى). وقال لهما أيضاً: (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) [٢٣] ، فوعدهما بثلاثة أمور هى: الملك الباقى.. والخلود ونيلهما صفة الملائكية. ولعل هذا الذى ذكرناه هو السر فى أن إبليس لم يتحدّث لحواء وآدم (ع) عن الملذات التى يندفع إليهما الإنسان بدافع غريزى أو شهوانى، كالطعام والشراب والنكاح وما إلى ذلك. بل تحدث لهما عن الملك الذى لا يبلى، وعن الحصول على صفة الملائكية وعن الخلود فى كنف الله سبحانه وتعالى. ٨ ـ إن من يراجع الآيات يجد: أن الله سبحانه حين نهاهما عن الاقتراب من الشجرة لم يقل لهما إنى أعذبكما عذاباً أليماً، أو فتكونا من العاصين، ليكون فى ذلك إشارة إلى أن فى الاقتراب منها هتكاً لحرمة المولى، وجرأة على مقامه وتعدّياً عليه وتمرداً على إرادته، وكسراً للهيبة الإلهية، بل قال لهما: (فتكونا من الظالمين) وهو تعبير يمكن فهمه على أن المقصود منه صورة ما لو كان الظلم للنفس، ولو بأن يحملها فوق ما تطيقه، بحسب العادة، كأن يحملها خمسين كيلو بدلاً من عشرين مثلاً وهذا بطبيعة الحال سيرهقها ويشق عليها، ويتعبها. ويمكن فهمه أيضاً فى صورة الظلم للناس والمعنى الأول هو الذى أراده الله سبحانه حين خاطب آدم عليه السلام بهذه الكلمة. فلا يلام آدم (ع) إذن إذا حمله على معنى ظلم النفس، بإرهاقها فى أمر تكون نتيجة المعاناة فيه محققة لا محالة لآماله وطموحاته ـ كنبى ـ وهى التخلص من كل الغرائز والدواعى التى قد يجد فيها عائقاً عن الوصول إلى الله، ثم الخلود على صفة الملائكية فى طاعته وعبادته سبحانه، لا الخلود من حيث هو شهوة بقاء خصوصاً إذا حصل على القدرات، والملك الذى لا يبلى الذى من شأنه أن يوصله إلى الطاعات بصورة أيسر وأكبر وأكثر.. وإلى الأبد، وليس إلى مدة محدودة. ٩ ـ ثم إن الله سبحانه قد قال لآدم وزوجه: (لا تقربا هذه الشجرة) و(ألم أنهكما عن تلكما الشجرة) فكلمة هذه وتلكما.. تشيران إلى أن ثمة عناية إلهية فى بيان أن المنهى عنه أمر محدود وخاص وجزئى بعينه، ولم يتعلق النهى بالطبيعة الكلية، ولا كان الحكم الصادر من قبيل الأحكام الشرعية العامة. ولأجل ذلك ورد فى الحديث الشريف عن الرضا(ع) أنه قال للمأمون: ((ولا تقربا هذه الشجرة) واشار لهما إلى شجرة الحنطة (فتكونا من الظالمين)، ولم يقل لهما: لا تقربا هذه الشجرة ولا ما كان من جنسها، ولم يقربا تلك الشجرة، وإنما أكلا من غيرها لما أن وسوس الشيطان إليهما، وقال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة، وإنما نهاكما عن أن تقربا غيرها، ولم ينهكما عن الأكل منها إلا ـ أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين، وقاسمهما إنى لكما من الناصحين، ولم يكن آدم وحواء شاهدا من قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً، فدلاهما بغرور فأكلا منها ثقة بيمينه بالله) [٢٤] . والنتيجة هى: أولاً: إن الشجرة المنهى عنها هى شجرة مخصوصة ومحددة، ولم ينههما عن جنسها، وهما إنما أكلا من غير التى حددت لهما. ثانياً: وجود القسم ـ كما سنرى. ثالثاً: وجود التعليل الذى ينسجم مع طموح آدم كنبى، كإنسان كامل. ١٠ ـ لقد كان الله سبحانه قد أعطاهما حياة تناسب الجنة، وتحمل الخصائص التى تحقق السعادة الواقعية (فكلا منها رغداً حيث شئتما). ومن الواضح: أن الإنسان المتوازن والمدرك والعاقل،

الـذى هو فى مسـتوى نبى، ويليق بأن يكون اباً للبشـرية ويكون النموذج للكمال البشـرى، حين جعله الله فى الجنة فإنه أهّله بما يناسـب الجنـة من حالاـت وخصـائص ومواصـفات ولكنه حين أكل هو وزوجه من الشـجرة ظهرت صـفاتهما البشـرية وغيّر من حالهما بصورة أساسـية مـا فاجأهمـا، حيث صـارا يحسان بالجوع وبالعطش وبالصـحة، وبالمرض والخوف والحزن والتعب والحرّ والبرد، واحتاجا إلى النكاح وغير ذلك، مع أن الله سـبحانه حين أسـكن آدم عليه السـلام فى الجنة قال له: (إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضـحى) فـهـذه الآيـة الشـريفة ـ فيما يظهر ـ لا تريد حصر الوعد الإلهى بهذه الأربعة، بل هى تشمل كل ما هو من هذا السنخ، حتى الصحة والمرض والخوف والحزن و.. الخ، ولعل هذه الأربعة قد خصصت بالذكر.. لتكون مثالاً، أو لتكون هى الأصول التى ينشأ عنها كل ما يـدخل فى هـذا السـياق فإن الله حين يتعهـد بأن يمنع عن الإنسان حتى ما يضايقه من حر الشـمس، فهل يرضـى له بالحزن والخوف والمرض.. وما إلى ذلك؟!! والحاصل: أنه بعـد أن ظهرت عليهما هذه الأعراض لم تعد الجنة هى المكان المناسب لحياتهما. فكـان لا بـد لهما من الهبوط إلى مكان آخر يناسب الجسـد، وحالاته، حيث أضـحى بحاجـة إلى ما يسـد الجوع ويشـفى من المرض، ويرفـع العطش، ويقى من الحر والـبرد، ويـؤمن من الخوف، ويـدفع أسـباب الحزن والتعب، ومـا إلى ذلـك. ولعـل بعض الروايـات قد قصدت هذا المعنى حيث أشارت إلى أمر الخلقة وتحولاتها، فقد روى عن الإمام الصادق (ع) قوله: (فلما اسكنه الله الجنة، وأتى جهالة إلى الشـجرة، أخرجه الله، لأنه خلق خلقة، لا يبقى إلا بالأمر والنهى، والغذاء، واللباس، والا.. والنكاح ولا يدرك ما ينفعه مما يضرّه إلا بالتوفيق من الله..) [٢٥] ثم تـذكر الروايـة تفاصـيل مـا جرى له مع إبليس.. وفى نص آخر عن أبى جعفر (ع)، عن رسول الله (ص): أن آدم عليه السـلام قال مخاطباً ربّه: (وبدت لنا عوراتنا، واضـطرنا ذنبنا إلى حرث الدنيا، ومطعمها، ومشـربها) [٢٦] . وعن الإمام الصادق (ع): (لما هبط بآدم (ع) إلى الأرض احتاج إلى الطعام والشـراب، فشـكا إلى جبرئيل إلخ) [٢٧] . فتجد أن هذه الروايات تشـير إلى أن أكلهمـا من الشـجرة هو الـذى اضـطرهما إلى الطعـام والشـراب واللباس.. وأيقظ غرائزهما، فاحتاجا إلى النكاح.. وربما يكون فى قوله تعالى: (ينزع عنهما لباسـهما) إشارة أخرى إلى ذلك أيضاً. ١١ ـ وأما بالنسـبة لمعنى توبتهما التى تحدث عنها الكتاب الكريم، فلعلنا لا نبعـد إذا قلنا: إن المقصود بها هو عودتهما إلى الله سـبحانه بعـد أن أحسّا أنهما الآن بأمس الحاجـة إلى عونه، وإلى تـدبيره فالتجأا إلى الله، وعادا إليه يطلبان منه أن يعود عليهما بإحسانه وفضـله، وعونه فى مواجهة هذه المشـكلات الجديدة، ورفع تلك الحاجات، وخشعا إليه وخضـعا، وابتهلا، فاستجاب لهما لأنه هو مصدر اللطف والرزق والشفاء وستر جميع النواقص، وسد سائر الثغرات. ومن مظاهر هذه الاستجابة ما تجلى فى قوله تعالى: (يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير) [٢٨] . فهى إذن ليست على حـد توبة العصاة والمتمردين، بل هى بمعنى الالتجاء من موقع الإحساس العميق بالحاجة إلى اللطف والعون. ١٢ ـ وبعد أن اتضح لزوم أن يبادر آدم عليه السـلام إلى الأكل من سـنخ الشجرة، وفقاً للمعطيات التى توفرت لديه.. فإنه يبقى سؤال آخر يلح بطلب الإجابـة، وهو: أن الله قـد حـذره من إبليس، ومن أن يخرجه من الجنـة. فكيف قبـل منه قوله؟! ونقول فى الجواب: أولاً: إننـا نجـد فى الروايات، ما يـدل على أن آدم وحواء عليهما السـلام لم يعرفا أن مخاطبهما هو إبليس، لأن إبليس كان قد خاطبهما من بين لحيى حيّة وكان آدم (ع) وحواء يظنان أن الحية هى التى تخاطبهما، وأن إبليس قال لهما: إن الله قد أحل لهما تلك الشجرة بعد تحريمها عليهما، لما عرف سـبحانه من حسن طاعتهما، وتوقيرهما إياه. وجعل لهما علامة على صـحة قوله: أن الملائكة الموكلين بالشجرة لا يدفعونهما عنها كما يـدفعون غيرهم عنها. ولم تدفعهما الملائكة عنها لأنهم كانوا موكلين بدفع من لا يملك اختياراً وعقلاً [٢٩] فإذا صحت هذه الرواية فلا يبقى إشـكال فى القضـية بمجملها. ويلاحظ هنا: أنه تعالى قد قال لهما:(إن هذا عدو لك ولزوجك) فحدّد له العدو، وأراه إياه، وجسّده له. ولم يقل له: إن إبليس عدو له. وحين تخفّى عنه، فإن آدم (ع) لم يخاطب الذى أخبره الله بعداوته، بل خاطب مخلوقاً آخر هو الحية. وربما يؤيد ذلك: أن الله سبحانه وتعالى قال: فوسوس إليه الشيطان، قال: يا آدم.. الخ، فإن الآية تشير إلى وجود التفاف وتمويه فى أسـلوب التعاطى، ليصبح التعبير بالوسوسة التى تعنى إلقاء الكلام من طرف خفى.. وليس الخفاء إلا فى إخفاء إبليس لنفسه عنه بطريقة أو بأخرى.. ليصـبح كلامه معه، وكأنه لا يحس بأن أحداً يدفعه إلى الأكل من الشجرة، فإن الحية بحسب الظاهر قد أخبرته

بأن فى هذه الشجرة ثلاث خصوصيات، ولم تطلب من آدم (ع) أن يأكل منها بصراحة. وقد جاءت هذه الخصوصيات بحسب نتيجة التحليل الذى انطلق منه آدم عليه السلام من موقع إيثاره رضى الله سبحانه، وشوقه إلى مقامات القرب منه حسبما أوضحناه ـ جاءت لتمثل العناصر التى ارتكز إليها قرار آدم عليه السلام بالأكل من سنخ الشجرة المنهى عنها. وثانياً: إنه إنما أكل من شجرة أخرى تشبه الشجرة التى نهى عنها بالإشارة الحسية إلى الخارجى، فلا يرى أنه قد عصى أمر الله الذى انصب على شجرة محددة بكلمته هذه. ولأجل ذلك جاء تعبير إبليس بكلمة تلكما التى أشارت إلى الشجرة البعيدة عنها والمحددة لها بشخصها، والوصف، والإغراء، إنما وقع بهذه الشبيهة لا ـ بتلك التى نهاه الله عنها مباشرة. وثالثاً: يقول الله عز وجل عن إبليس: (وقاسمهما إنى لكما من الناصحين) وقد صرحت روايات عديدة عن الأئمة عليهم السلام، بأن آدم عليه السلام إنما تقبل قول إبليس لأنه أقسم له، قال آدم (عليه السلام): إن إبليس حلف بالله أنه لى ناصح، (فما ظننت أن أحداً من خلق الله يحلف بالله كاذباً) وهذا المعنى قد ورد فى عدة روايات [٣٠] . ولعل السر فى ذلك هو: أن الحلف بالله معناه إيكال الأمر إلى الله، وجعله فى عهدته، والقبول بأن يكون سبحانه هو المتولى للتوفيق للصادق، ولإنزال العقوبة بالكاذب والتعويض على من يلحقه الضرر نتيجة ذلك.. وقد جاء التعبير بـ: (قاسمهما) ربما ليشير بذلك من خلال إيراده بصيغة المفاعلة إلى مشاركة من قبل آدم (عليه السلام) وحواء فى الوصول إلى هذا القسم ولو عن طريق اشتراطهما للعمل بالنصيحة أن يقسم لهما على صدقه وصحة ما يقول.. ولعلهما قد أقسما أن لا يعملا بنصيحته إلا إذا أقسم لهما على أن يقول الحق والصدق فى محاولة منهما لإلجائه إلى جعل الأمر بين يدى الله سبحانه، والقبول بتحمل كامل المسؤولية أمام العزة الإلهية القادرة على ملاحقة المجرم فى صورة ظهور زيف ما جاء به. فأقسم هو لهما على ذلك أيضاً، فصح التعبير بقاسمهما. ١٣ ـ وعن دخول إبليس إلى الجنة فعلاً ـ قد يرجح بعض الأعلام، أن لا يكون إبليس ممنوعاً من الاقتراب منها فاقترب منها وبقى فى خارجها، وألقى الكلام إلى آدم (ع) وهو ـ أى آدم ـ فى داخلها قرب الباب، فلما كان منه فى حق آدم (ع) ما كان، أهبطه الله عن هذا المقام أيضاً، وحرمه حتى من الإقتراب من الجنة عقوبة له. كما أنه قد أهبط آدم (ع) وزوجه منها، لكن لا على سبيل العقوبة لهما، وإنما بسبب عدم ملائمة حالهما لها بعد أن ابتليا بما ابتليا به، من ظهور حالات البشر فى طبيعة التكوين، حسبما أوضحناه. كما أن هناك من يقول: إن آدم (ع) إنما كان فى جنة من جنان الدنيا، ولعلها هى المكان الذى تكون فيه أرواح المؤمنين، ولم يكن دخولها حتى ذلك الوقت ممنوعاً على إبليس، فلما كان منه ما كان فى حق آدم عليه السلام حرمه الله سبحانه حتى من دخول جنان الدنيا. ١٤ ـ ويتضح من جميع ما ذكرناه هنا وفيما تقدم من هذا الكتاب أن تفسير الآيات التى تحدثت عما جرى لآدم عليه السلام لا يفرض نسبة المعصية الحقيقية إليه.. وأن ثمة إشارات فى الروايات وفى الآيات نفسها إلى وجوه من التفسير الصحيح، والمنسجم مع قداسة هذا النبى الكريم ومع الضوابط العقلية والإيمانية.. فلماذا الإصرار إذن على نسبة النقائص له صلوات الله وسلامه عليه وعلى نبينا وآله؟! لا طريق إلا تزويج الإخوة بالأخوات. لا مناعة جنسية حتى بين الأم وولدها. بامتداد النسل يحصل الجو النظيف جنسيًا. وفى إجابة له عن كيفية توالد أولاد آدم (ع) نجده يقول": يمكن القول ـ كما نتبنى نحن هذا الرأى وثابت بالأدلة الشرعية ـ يمكن القول بأن الإخوان تزوجوا الأخوات. "ثم يذكر أن ذلك لم يكن حراما فيقول": أول الخلق كان هذا الشيء حلال،لماذا؟ لأن هذا هو الذى يفسح المجال لانطلاقة البشرية، ولا يوجد طريق غيره ["٣١] . ثم يفلسف هذا الموضوع فيقول": فنظام العائلة مكون من أب وأم وأخوة وأخوات، وهو إنما يتوازن ويستقيم عندما تكون هناك مناعة عند الأب وعند الأم وعند الأخ وعند الأخت ضد أى إحساس جنسى تجاه الآخر، لأنه لو فرضنا أن الأحاسيس الجنسية كانت موجودة فى حياة الأب والأم تجاه أولادهما، أو فى حياة الأولاد تجاه بعضهما البعض فلن تستقر حياة عائلية ولن تنسجم فى خصوص الجو العائلى المغلق، حيث يفسح المجال لهذه الأمور بشكل فوق العادة. لذلك فإن الله سبحانه وتعالى بعد أن صار هناك أبناء عم أو أبناء خال وخالة، أى عندما امتد التناسل وأصبحت هناك علاقات طبيعية، حرم الله ذلك ليستقيم نظام العائلة ولتنمو العائلة فى جو طاهر نظيف من الناحية الجنسية، و بعد ذلك تنطلق لينشئ كل واحد منهم عائلة ["٣٢] .

وقفة قصيرة

١ ـ إن هـذا الكلام معناه أن عائلـة آدم (ع) أو العائلـة فى عهـد آدم لم تكن تعيش فى جو طاهر نظيف من الناحيـة الجنسـية.. ولم يكن ثمة مناعة عند الأب والأخ والأخت والأم ضد أى إحساس جنسـى تجاه الآخر. فهل يفترض هذا البعض وجود انفلات جنسـى إلى هذا الحـد فيما بين عائلـة آدم، بحيث كان الكل لديه أحاسـيس جنسـية تجاه بعضـهم البعض حتى الأم تجاه ولدها.. ثم لما تكاثرت العائلة وأصـبح هناك أبناء عم وأبناء خالة حصـلت المناعة؟!.. وكيف حصلت؟!.. ٢ ـ إن هـذا البعض يقول، إن تزويـج الأخ بأخته فى أولاد آدم ثابت بالأدلة الشـرعية، ويزعم أنه لم يكن ثمة طريقة يمكن بواسـطتها حل هذه المشـكلة وانطلاقة البشـرية من خلالها.. ونقول له: أليس من الممكن أن يخلق لكل ولـد زوجته، كما خلق آدم وحواء من قبل؟ وقـد روى الصدوق رحمه الله فى العلل عن الصادق عليه السـلام فى حـديث له ينكر فيه عليه السـلام حـديث زواج الأـخ بأخته": سـبحان الله عن ذلك علوا كبيرا، يقول من يقول هـذا: إن الله تعالى جعل أصل صـفوة خلقه، وأحبائه وأنبيائه، ورسـله، وحججه، والمؤمنين والمؤمنات، والمسـلمين والمسلمات من حرام!! ولم يكن له من القـدرة مـا يخلقهم من الحلال، وقـد أخـذ ميثاقهم على الحلال والطهر الطاهر الطيب ["؟!٣٣] . وأمـا خبر" الإحتجاج "و" قرب الإسـناد "حول تزويج الإخوة بالأخوات فيضـعفه مطابقته فى هذا الأمر لمذهب غير الشيعة [٣٤] . الله يؤنب ويوبـخ نبيه. نوح لم يلتفت إلى" إلا من سـبق عليه القول. "كلمة" من سـبق عليه القول "لم تكن واضـحة. وعن عدم التفات نوح عليه السلام إلى ما قاله الله تعالى حين أوحى إليه بشأن ولـده، نجـد البعض يقول فى سؤال وجواب": كيف يمكن له أن يعيش لحظة الضـعف أمام عاطفة البنوة، ليقف بين يدى الله ليطلب منه إنقاذ ولده الكافر، من بين كل الكافرين؟! وكيف يخاطبه الله بكل هذا الأسـلوب الذى يقطر بالتوبيخ والتأنيب؟ ويتراجع نوح، ليسـتغفر، ويطلب الرحمـة لئلاـ يكون من الخاسـرين. ويمكن لنـا أن نجيب عن ذلـك: أن المسألـة ليست مسألـة عـاطفة تتمرد، ولكنها عاطفة تتأمل وتتساءل، فربما كان نوح يأمل أن يهدى الله ولده فى المسـتقبل. وربما كان يجد فى وعد الله له بإنقاذ أهله ما يدعم هذا الأمل لأنه من أهله ولم يلتفت إلى كلمة: (إلا من سـبق عليه القول) لأنها لم تكن واضـحة ["٣٥] . ويقول فى موضع آخر عن نوح الذى كان السؤال يلح على قلبه": والحسرة تأكل قلبه على ولده أن الله وعده أن ينقذ أهله "إلى أن قال": ولم ينتبه إلى كلمة: (إلّا من سبق عليه القو ل) فأقبل إلى ربه بالنداء الخ ["..٣٦] .

وقفة قصيرة

إننا نسـجل هنا ما يلى: أولا: إنه ليس ثمة من دليل ملموس يدل على أن نوحا صلوات الله وسلامه عليه كان يعلم بكفر ولده، فلعله كان قد أخفى كفره عن أبيه، فكان من الطبيعى أن يتوقع عليه السـلام نجاة ذلك الولد الذى كان مؤمنا فى ظاهر الأمر، وذلك لأنه مشمول للوعـد الإلهى، فكان أن سأل الله سـبحانه أن يهـديه للحق، ويعرفه واقع الأمور، فأعلمه الله سـبحانه بأن ولده لم يكن من أهله المؤمنين، وأنه من مصـاديق (من سـبق عليه القول) فتقبـل نوح ذلك بروح راضـية [٣٧] . ثانيـا: إنه ليس ثمـة ما يـدل على أن نوحا عليه الصـلاة والسـلام قد عاش الحسـرة على ولده، من حيث إنه ولده.. فإن الأنبياء يعيشون الحسـرة على الكافرين لما يفعلونه بأنفسـهم، لا لقرابتهم منهم. والشاهد على ذلك ما حكاه القرآن عن نبينا الأكرم صـلى الله عليه وآله وسلم، حيث خاطبه الله بقوله: (فلا تذهب نفسك عليهم حسـرات). ويقول: (فلعلـك بـاخع نفسـك على آثـارهم إن لم يؤمنوا بهـذا الحـديث أسـفا). ويقول: (لعلـك باخع نفسك ألّا يكونوا مؤمنين). غير أننا إن تأكـد لدينا أن نوحا عليه السـلام كان واقفا على كفر ولده، فإن من المعقول والمقبول جدا فهم موقف نوح، على أنه عليه السـلام قـد أراد أن يفهم النـاس الـذين نجوا وهلـك أبناؤهم وآباؤهم وإخوانهم وأحباؤهم،أراد أن يفهمهم من خلال الوحى الإـلهى: أن لا خصوصـية لمن نجا من أهل نوح، كما لا خصوصـية لمن هلك منهم ومن غيرهم، إلا ما يـدخل فى دائرة الإيمان، فلهم النجـاة، أو فى دائرة الكفر فلهم الهلاـك.. وأراد أن يفهمهم أيضـا أن القضـية قـد نـالت فيمن نالت حتى نبى الله نوحا فى ولـده.. وأن

هلاـك ذلـك الولـد لم يكن فيه خلف للوعـد الإلهى، لأن المقصود بالأهل الـذين صـدر الوعـد بنجاتهم هم أهله المؤمنون. ثالثا: إذا راجعنا الآيات نفسـها، فلا نجـد فيها أنه عليه السـلام يطلب من ربه نجاة ولـده، بل فيها أنه عليه السـلام قد اعتبر رحمة الله ومغفرته هى الربـح الأـكبر، وبها تكون النجاة من الخسـران. ولأجل ذلك نجـده عليه السـلام قـد قال: (إن ابنى من أهلى) توطئـة للرد الإلهى الـذى سيحـدد خصوصـية الأهـل الموعود بنجـاتهم، وهم المؤمنون، دون الكافرين.. حيث قـد سـبق القول بإهلاك الكافرين سواء أكانوا من أهـل نوح أو من غيرهم. رابعـاً: بالإضافـة إلى مـا تقـدم نقول: إن نوحا عليه السـلام قـد طلب من ولـده أن يركب معهم، فقال: (يا بنى اركب معنـا، ولا تكن مع الكافرين، قال سآوى إلى جبل يعصـمنى من الماء، قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلّا من رحم) [۳۸] . وهذا ـ أعنى قوله تعالى: (ولا تكن مع الكافرين) يشـير إلى أنه يراه مؤمنا، وأنه هو الـذى رفض الركوب معهم، وعرض نفسه للهلاك مع علم نوح بـأن التخلف عن ركوب السـفينة معنـاه التعرض للهلاك المحتم، وكان هـذا هو خيار ولـده نفسه.. ثم أشار (عليه السـلام) إلى ما يفيـد أنه لم يكن بصدد طلب نجاة ولده، ولا كان يتهم الله تعالى بخلف وعده، حيث صـرح (ع) أن وعد الله هو الحق.. وقبل أن يتقدم بأى طلب من الله كان التعليم الإلهى له: أن لا يسأله ما ليس له به علم. إذن، فهناك شىء لم يكن نوح مطلعا عليه، حسب دلالة الوحى الإـلهى، فجـاءت اسـتجابة نوح لتؤكـد على أنه عليه السـلام لم يسـأله، ولن يسـأله فى المسـتقبل: (فلاـ تسألن ما ليس لك به علم، إنى أعظك أن تكون من الجاهلين قال ربّ إنى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم) [۳۹] . ثم جاء قوله عليه السلام: (وإلا تغفر لى، وترحمنى أكن من الخاسرين) [۴۰] ، ليؤكد هذه الحقيقة، حيث إنه قد استعمل كلمة (لا) ولم يستعمل كلمة (لم)،ليفيد أنه لا يتحدث عن الماضـى، حيث لم يصـدر منه ما يحتاج إلى ذلك، بل هو يتحدث عن المسـتقبل. ويتضـمن هذا التعبير إشارة إلى أن طلب الأنبياء للمغفرة، إنمـا يراد منه طلب دفع المعصـية عنهم، لاـ رفعها، كما هو معلوم عنـد أهله.. خامساً: إنه ليس ثمـة ما يـدل على أن نوحا عليه السـلام، لم يلتفت إلى كلمة (إلا من سـبق عليه القول) أو أن هذه الكلمة لم تكن واضحة حين الوحى، علما أن ذلك يخالف العصمة فى البلاـغ وفى التبليغ، وهى أمر عقلى، مسـلّم وقطعى، عنـد جميع المسـلمين، وليس فى الآيات أيضا: أن نوحا قـد عاش الحسـرة على الكـافر، حتى لو كـان ذلـك الكافر هو ولـده بالـذات. سادساً: وأخيراً، هناك الكثير من الاحتمالات التى تتحملها الآيات بحيث تكون بعيـدة عن وصم الأنبيـاء (ع) بهـذه النقائص، ولا تتنافى مع (بلاغـة القرآن)، فلماذا اختيار التفاسـير التى تظهر أو تنسب نقيصـة للنبى أو الولى، دون غيرها من التفاسير التى تنزههم عن مثل هذه النقائص؟!

ابراهيم و لوط

اشاره

التأكيـد على سذاجـة إبراهيم عـدة مرات. خشـوع إبراهيم للكـوكب، وقنـاعته بربـوبيته. إبراهيم (ع) فى وهم كـبير. إبراهيم يعبـد القمر ويتصوف له. ضـياع إله إبراهيم فى الأجواء الأولى للصـباح. (لا أحب.. هذا أكبر) صرخة طفولية. يقول عن إبراهيم عليه السلام، فى ما قصه الله تعـالى، من خطـابه عليه السـلام للكـوكب ثم للقمر والشـمس: إن هنـاك احتمـالين فى تفسـير الآيـات الـتى تعرضت لـذلك: أحـدهما: أن يكون ظـاهر الآيات هو حقيقـة موقفه، فيكون إبراهيم قـد صـدق بأن الكوكب والقمر والشـمس آلهـة.. الثانى: أن يكون إبراهيم (ع) قد قام بحالة استعراضـية أمام قومه ليقنعهم بالحقيقة. وقد ذكر لكلا الاحتمالين ما يقربه.. ولكنه شـرح الآيات شـرحا مسهبا على أساس الاحتمال الأول، ثم بعـد أن ذكر ما يؤيد كل واحد من الإحتمالين، وذكر ما يمكن اسـتفادته من الآيات، عاد وختم كلامه وفق الاحتمال الأول.. ومن الواضـح: أننا وإن كنا نسـتظهر من ذلك ميله إلى ذلك الاحتمال الفاسد، ولم يذكره لمجرد كونه احتمالا، إلاـ أن مجرد توهم أن يكون نبى الله إبراهيم(ع) قـد عبـد غير الله، أو اعتقـد بألوهيته وربوبيته، هو توهم واحتمال باطل فى حق الأنبياء، ويلزم التصـريح بتسـخيفه وبطلانه، فضـلا عن تأييده بالشواهد، ثم شـرح الآيات بما يناسبه، ثم إنهاء الكلام والخروج من الموضوع من

خلاله.. ونحن نذكر فيما يلى كلماته كلها.. فنقول: يقول البعض": وتطالعنا ـ فى هذا المجال ـ شخصية إبراهيم ـ النبى.. التى يقدمها لنا القرآن فى أجواء الصفاء الروحى، والبساطة الإنسانية.. والطبيعة العفوية.. التى تلامس فى الإنسان طفولته البريئة فيما تلتقى به من حقيقة الأشياء.. ليفكر من خلال براءة النظرة فى عينيه، وسلامة الحس فى أذنيه ويديه، فيما يرى أو يسمع أو يلمس، فيما لديه من أدوات الحس الواقعى.. فنحن لا نرى فيه ـ من خلال الصورة القرآنية ـ شخصية الإنسان الذى يتكلف الكلمات التى يقولها للآخرين، ولا نلمح لديه روحية الشخص المشاكس الذى يبحث عن المشاكل فى أفعاله وعلاقاته.. بل نشاهد فيه الشخصية البسيطة الواقعية التى ترتبط بالأشياء من جانب الإحساس، فتسمى الأشياء بأسمائها بعيدا عن تزويق الألفاظ، وزخرفة الأساليب، بقوةٍ وصدقٍ وواقعيةٍ وإيمان. ففى الصورة الأولى، نلتقى به فى موقفه من أبيه الذى يعبد الأصنام التى يعبدها قومه.. فيواجهه بالإنكار القوى الرافض للموقف من الأساس، لرفضه الفكرة التى يرتكز عليها.. فهذه الأصنام، هى أحجار جامدة، كبقية الأحجار الموجودة فى العراء.. ولا ميزة لها إلّا أنّ يد الإنسان قد أعطتها بعض ملامح الصورة، فحولتها إلى تماثيل.. فإذا كان الإنسان هو الذى أعطاها تلك الميزة التى تختلف بها عن سائر الأحجار.. فهى صنع يده، فكيف تكون آلهة له.. ومن الذى أودع فيها سر الألوهة..؟ وهل الألوهة شىء يصنع ويخلق، أو هى قوة تصنع وتخلق.. ثم.. إن الألوهة تعنى القدرة والعلم والحياة والغنى المطلق فيما تعنيه من ملامحها الحقيقية.. فما هى ملامح ذلك كله فى هذه التماثيل؟.. ولكنها الأوهام التى حولت الأشياء غير المعقولة.. إلى عقائد وتصورات ورموز قداسةٍ فى مستوى الآلهة.. فكيف تتخذ هذه الأصنام آلهة..؟ كيف..؟.. إن فكرى لا يلمح أيّة إشراقة للحقيقة فيما تسير عليه.. ولو من بعيد بعيد.. بل كل ما هناك الظلام والتيه والضياع.. وهنا يتحول التساؤل.. إلى حكم قاطع فى مستوى وعيه للحقيقة المنطلقة من خط الهدى.. التى تحدد ملامح الضلال فى خطوط الآخرين.. إنى أراك وقومك فى ضلال مبين إنه الموقف الصلب الذى لا يهادن ولا يجامل.. ولا يغلف الأشياء بغلاف سحرى، بل يدفع الموقف إلى الأمام، بكل وضوح وصراحة.. بعيدا عن المجاملة واللياقة التى تفرضها علاقة الإبن بأبيه.. لأن قضية العقيدة لا تخضع للجانب العاطفى للعلاقات لأن علاقة الإنسان بالحقيقة التى تربطه بالله أقوى من أية علاقة بأى إنسان كان. وفى الصورة الثانية نشاهد إبراهيم يتطلع إلى السماء، كما لو كان شاهدها أول مرة، فهو ـ فيما توحيه الآية ـ يواجهها كتجربة جديدة لم يلتق بها من قبل، وذلك فيما تعنيه التجربة من المعاناة فى حركة الحس البصرى كمادة للتفكير، للانتقال من المحسوس إلى المعقول، ومن المادة إلى المعنى.. فقد كان يشاهدها سابقا، فى رؤية جامدة، لا تعنى له شيئا، إلا بمقدار ما يعنيه انعكاس الصورة فى العين ـ لمجرد تجميع الصور فى الوجدان.. فيما يلتقى به الإنسان من مألوفاته العادية فى حياته اليومية.. وهكذا نجد أن الرؤية التى يتحدث عنها القرآن فى قوله تعالى: (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض..) هى الرؤية الواعية الفاحصة المدققة التى تثير فى الداخل المزيد من التأمل والحوار والاستنتاج.. بدليل قوله تعالى: (وليكون من الموقنين..)، مما يوحى بأنها الرؤية التى تبعث على القناعة من خلال اليقين.. وبدأ يفكر فى استعراض عقلى للعقائد التى يعتقدها قومه فى عبادتهم للكواكب والقمر والشمس.. ومحاكاة ذاتية تتحرك من أجل إثارة التساؤل.. وهكذا التقى بالكواكب المتناثرة فى السماء، فى صورة بديعة فى روعة التنسيق والتكوين.. فما أن لمح كوكبا يتلألأ ويشع فى قلب هذا الظلام المترامى.. حتى سيطرت عليه أجواء الروعة، واستولى على فكره الخشوع الروحى أمام هذا الشعاع الهادئ فى الأفق البعيد.. فخيل إليه أن هذا هو الإله العظيم الذى يتعبد الناس إليه.. لأن الفكرة الساذجة تجعله فى الأفق الأعلى البعيد، الذى تتطلع إليه الأبصار برهبة وخشوع ولا تستطيع الخلائق أن تصل إليه أو تدرك كنهه.. (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى..).. فى صرخة الإنسان الطيب الساذج الذى خيل إليه أنه اكتشف السر الكبير الذى يبحث عنه كل الناس، كما لو لم يكتشفه أحد غيره.. وكأنه أقبل إليه فى خشوع العابد، وفى لهفة المسحور.. وفى اندفاعة الإيمان.. وربما ردد هذه الكلمة (هذا ربى..) فى سره كثيراً.. ليوحى لنفسه بالحقيقة التى اكتشفها ليؤكدها فى ذاتها.. بعيدا عن كل حالات الشك والريب.. وبدأ الليل يقترب من نهايته.. وبدأت الكواكب تشحب وتفقد لمعانها.. ثم بدأت تبهت.. وتبهت حتى غابت عن العيون.. وحاول أن يلاحقها هنا وهناك.. لقد ضاع الإله فى الأجواء الأولى للصباح.. وانكشفت له الحقيقة الصارخة.. فقد كان يعيش فى وهم كبير.. فقد أفل الكوكب.. ولكن الإله لا

يأفل لأنه القوة التى تمثل الحضور الدائم فى الحياة كلها فلا يمكن أن تبتعد عن حركتها المتنوعة لأن ذلك يتنافى مع الرعاية المطلقة للكون ولما فيه من موجودات حية وغير حية.. واهتزت قناعاته من جديد.. وبدأ يسخر بالفكرة والعقيدة فى عالمه الشعورى الصافى.. (فلما أفل قال لا أحب الآفلين..). (فلما رأى القمر بازغا..) فى صفاء الليل، ووداعة السكون.. وكان الشعاع الفضى الساحر يلقى على الكون دفقا من النور الهادئ الذى يتسلل إلى العيون فيوحى إليها بالخدر اللذيذ ويخترق القلوب فيوحى إليها بالأحلام اللذيذة الساحرة.. ويطل على الطبيعة فيغلفها بغلافه الشفاف الوادع الذى يثير فى آفاقها الكثير الكثير من اللذة والأحلام.. وبدأت المقارنة بين ذلك النور الكوكبى الذى يأتى إلينا متعبا واهنا فى جهد كبير.. وبين هذا النور القمرى الذى يتدفق كشلال فى قلب الأفق.. فأين هذا من ذاك.. فهذا هو السر الإلهى الذى كان يبحث عنه.. (قال هذا ربى..) وعاش معه فى حالة روحية من التصوف والعبادة لهذا الرب النورانى الذى يتمثل فى السماء قطعة فضية من النور الهادئ الساحر.. وفجأة بدأ الشعاع يبهت.. ثم يغيب.. وانطلقت الحيرة فى وعيه من جديد.. أين ذهب الإله وأين غاب.. وهل يمكن للإله أن يغيب ويأفل.. وضجت علامات الاستفهام فى روحه تتساءل من هو الإله؟ وأين هو.. وعاش فى التصور الضبابى المبهم الغارق فى الغامض.. يتوسل بالرب الذى لا يعرف كنهه، أن يهديه سواء السبيل لئلا يضل ويضيع.. (فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين..) وما زال ينتظر وضوح الحقيقة.. وفجأة أشرقت الشمس بأشعتها الذهبية الدافئة فأخذت عليه وجدانه.. (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى.. هذا أكبر..) فأين حجم الشمس.. من حجم القمر والكواكب.. فلا بد أن تكون هى الإله الذى يبحث عنه، لأنها تتميز عنهما بصفات كثيرة.. وبدأ يتابعها وهى تتوهج وتشتعل.. وتملأ الكون كله دفئا وحياة وإشراقا وجمالا.. فإذا به يهتز ويتحرك فى قوة وامتداد وحيوية دافقة.. ولكن.. ماذا..؟ وبدأ يفكر.. فها هى تبهت وتبرد وتكاد تتضاءل.. ثم تغيب وتأفل.. وتترك الكون فى ظلام دامس.. فكيف يمكن أن تكون إلها تعيش الحياة فى قدرته وقوته.. ما دامت تغيب مع المجهول تاركة الكون كله فى ظلام وفراغ؟ .. وأطلق الصرخة فيمن حوله من هؤلاء الناس الذين يعبدون الكواكب والقمر والشمس.. فيما خيل له، فى وقت من الأوقات، أنه الحقيقة المطلقة التى لا يعتريها شك ولا ريب.. (فلما أفلت قال يا قوم إنى برىء مما تشركون..) من هذه المخلوقات التى انطلقت من العدم، ولا يزال العدم يعشش فى كل حركة من حركاتها، أو خطوة من خطواتها.. وتمرد على كل هذه الاتجاهات الإشراكية لأن الله لا يمكن أن يكون هذه الأشياء المحدودة.. بل لا بد أن يكون شيئا أعظم من ذلك وأكبر.. فى القوة والقدرة.. لا ـ فى الحجم.. (إنى وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض.. حنيفا وما أنا من المشركين..). وهكذا تدفقت إشراقة الإيمان فى وعيه وفى قلبه، فأحس بأن الله هو شىء لا كالأشياء لأن الأشياء نتاج قدرته.. وأدرك أن الله لا يحس كما تحس الموجودات الأخرى بالسمع والبصر واللمس، ولكنه يدرك بالعقل وبالقلب وبالشعور.. من خلال كل هذه المخلوقات التى تحيط بالإنسان فى الكون الكبير.. من السماوات والأرض وما فيهن وما بينهن.. فتترك لديه انطباعا بان الله هو الذى فطرها وأوجدها.. ومن خلال هذه الإنطلاقة الإيمانية الرائعة التى أحس معها بالراحة والطمأنينة والإنفتاح.. وقف بكل كيانه ـ ليحول كل وجهه ـ والوجه هنا كناية عن الذات بجميع التزاماتها وعلاقاتها وتطلعاتها ـ إلى الله، حنيفا، مخلصا مائلا عن خط الإنحراف.. فهو وحده الذى تتوجه إليه العقول والقلوب والوجوه بالخضوع والطاعة المطلقة.. بإحساس العبودية.. وحركة الإيمان.. الذى يعلن هذا التوحيد بما يشبه الصرخة الهادرة الرافضة لكل الوجودات المحدودة، التى تتأله أو التى يحسبها الناس فى عداد الآلهة.. وما أنا من المشركين.. وماذا بعد ذلك؟ هل هى الرحلة الأولى فى طريق الإيمان، لدى إبراهيم.. أو هى محاكاة استعراضية للأجواء المحيطة به، فيما يعتقده الناس من ألوهية الكواكب والقمر الشمس.. فى محاولة إيحائية لمن حوله بسخافة هذه العقائد وتفاهتها وضعفها أمام المنطق الوجدانى الصافى، وذلك من موقع ابتعاده عنها بعد اقترابه منها، مما يعطى لموقفه بعض القوة فى الإيحاء، باعتباره الموقف الذى عاش التجربة وعاناها.. ثم تمرد عليها.. ربما كان هذا هو الرأى الأقرب الذى يلتقى مع شخصية إبراهيم فيما حدثنا القرآن عن حياته.. فنحن لم نلمح ـ فى غير هذه الآية ـ حالة تأثر بالجو المحيط به.. بل ربما نرى الأمر ـ بالعكس من ذلك ـ حالة تمرد على البيئة حتى فيما يتعلق بالجو العائلى المتمثل فى أبيه الذى نقل لنا القرآن موقف إبراهيم منه.. وقد نستطيع استيحاء الآية السابقة التى حدثنا

القرآن فيها عن كلام إبراهيم لأبيه حول الأصنام التى يعبدها أن هذا الموقف سابق لموقفه من هذه العقائد.. هذا بالإضافة إلى أن الرؤية التى حدثنا الله عنها لملكوت السماوات والأرض.. لا بد أن تكون الرؤية الوجدانية الواعية التى تحاول أن تثير التفكير من خلالها وليست الرؤية البصرية الساذجة.. لأنها تبدأ مع الإنسان منذ اللحظة التى يفتح فيها عينيه على الحياة ليتطلع إلى ما فيه من موجودات يدركها البصر.. وربما كانت كلمة (وليكون من الموقنين) إشارة إلى ذلك، لتلتقى بكلمة (.. رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى..) مما يوحى بأن إبراهيم كان يعيش حالة الفكر الذى يريد أن ينمى من خلاله معلوماته وأفكاره، بكل الأشياء التى تركز قوتها وفاعليتها وثباتها وحركتها أمام التحديات التى تواجهها.. حتى فيما يشبه الأوهام.. ليواجه الصراع الذى يعيشه بانفتاح وقناعة وقوة لا تعرف الضعف ولا التراجع فى كل المجالات.. أما الإحتمال الأول، فقد يقربه، أن تكون الحادثة قد حدثت فى بداية طفولته، عندما بدأ يتطلع للأشياء، ويفكر فى الإله.. فى عملية تأمل وتدبر.. فى مستوى ذهنية الطفل.. ولعل هذا هو الذى نستوحيه من الجو النفسى الساذج الذى توحى به الآية.. فهذا هو إبراهيم يواجه الكوكب الذى يبدو عاليا عاليا، بعيدا بعيدا.. ولكنه يشرق فى قلب الظلام.. فيشعر بالرهبة والروعة.. فيصرخ ـ فى مثل اللهفة ـ هذا ربى.. انطلاقا مما كان يسمعه بأن الإله بعيد بعيد عن الإنسان، فلما أفل.. أحس بالإنقباض وقال: (لا أحب الآفلين..) فقد نجد فى كلمة (لا أحب..) بعض كلمات الطفولة البريئة، التى تحب أو لا تحب من خلال مشاعرها الساذجة إزاء الأشياء.. وتتكرر التجربة مع القمر..وتنطلق الصرخة الطفولية من جديد.. تماما كمثل الهتاف الذى يهتف به الطفل عندما يجد شيئا قد أضاعه، أو شيئا قد طلبه.. وتتكرر خيبة الأمل من جديد. ولكن الوعى يتنامى هنا ـ فلا نجد ردّ الفعل طفوليا.. بل نلاحظ فى ردّة الفعل حالة حيرة وذهول وتوسل إلى هذا الرب الغامض الذى يتمثله فى وعيه هاديا لعباده، أن يهديه إلى الحق لئلا يكون من القوم الضالين.. وتشرق الشمس فى هذا الدفق اللاّهب من النور الذهبى فى إطار هذا الوجه الواسع الذى يتفايض بالشعاع كما يتفايض الينبوع بالماء الصافى الرقراق.. فتكبر الصرخة فى طفولية بارزة.. (هذا ربى.. هذا أكبر..) وينطلق الحجم ليؤكد الفكرة، فيما لا ـ توحى به إلا ـ أفكار الطفل، أو ما يشبه الطفل.. لأن الأشياء الكبيرة توحى للفكر الساذج بالهيبة والعظمة.. بما لا توحى به الأشياء الأقل حجما.. وتتجدد خيبة الأمل بالأفول.. ولكن تلك الإشراقة الساطعة للشمس استطاعت أن تبعث فى قلبه إشراقة الإيمان الرافض لكل هذه الأوهام والظنون. وفى كلا ـ الاحتمالين.. يمكن للعاملين فى حقل التوجيه، إستيحاء الفكرة العملية فى أسلوب التربية.. من خلال الأسلوب الإستعراضى، فيما يتمثل فيه من مناجاة ذاتية تجعل الإنسان يواجه الأفكار المطروحة فى الساحة، مواجهة المؤمن بها.. ثم يقوم بمناقشتها بالطريقة التى توحى باكتشاف مواطن الضعف والخلل فيها، بالمستوى الذى يجعلها بعيدة عن الحقيقة، و عن إمكان اعتبارها عقيدة ترتبط بها قضية المصير.. ولا يختص الأمر بالأفكار المتصلة بالعقيدة الإلهية بل يمتد إلى جميع المجالات التى تمثل الخط العملى للحياة.. ويمكن لنا ممارسة هذا الأسلوب فى القصة والمسرح والسينما وغيرها من الأساليب التى تخاطب الجمهور لتوجيه قناعاته.. وقد لا نحتاج إلى التأكيد على ضرورة دراسة المستوى العقلى والروحى للناس من أجل تركيز هذا الاتجاه على قاعدة متحركة فى الفكرة والأسلوب.. كما يمكن استيحاء القصة فى مدلولها الرسالى فى عدم خضوع الإنسان للبيئة فيما تحمل من أفكار وعادات ومشاعر، بل يعمل على ممارسة دوره الذاتى المستقل، كإنسان يفكر بحرية.. ويقتنع على أساس الدليل. وتبقى لنا ـ فى هذا المجال ـ هذه البراءة الفكرية من إبراهيم.. حيث نتمثله إنسانا يواجه العقيدة من موقع البساطة الوجدانية، والعفوية الروحية، التى تلتقى بالقضايا من وحى الفطرة لا من وحى التكلف والتعقيد.. ثم هذه اللهفة الحارة المنفتحة على الله ـ سبحانه ـ عند اكتشافه للحقيقة فى توحيده فى كل شىء، وفى الإقبال عليه بكل وجهه، وبكل فكره، وبكل روحه وانطلاقه العملى فى الحياة.. لأن توجيه الوجه لله.. لا ـ يعنى ـ فى مدلوله العميق ـ هذا الموقف الساذج الذى يتطلع فيه الإنسان نحو الأفق الممتد فى السماء بنظرة حائرة بلهاء.. بل يعنى انطلاقة حياة الإنسان وكيانه مع الله فيما يحمل من عقيدة، وفيما يرتبط به من فكر، وفيما يتحرك معه من خط، وفيما يستهدفه من أهداف.. وفيما يعيشه من علاقات وأوضاع وتطلعات.. إنه الاندماج فى الحقيقة الإلهية، بأن تكون الحياة كلها لله.. وفى خدمة الله.. ولعل قيمة هذه الفكرة.. هى أنها لا توحى إلينا بآفاقها وخطواتها العملية، من وحى التجريد لنعيش

معهـا فی متاهـات النظريات التجريديـة.. بل هی حركـة الإنسان ـ النبی الـذی يعيش حركـة الإيمان والفكر فی حياته من موقع إنسانيته البسيطة.. ليوحی إلينـا بـأن دور الإنسان الـذی يريـد أن يحقق إنسانيته، هو أن ينعزل عن كل الحـدود الماديـة الضيقة التی تشـده إلی الأرض فی استسلام ذليل، ويرتبط بالحقيقة المطلقة التی يحلق من خلالها مع الله ["۴۱] .

وقفة قصيرة

ونقول: إن احتمال عبادة إبراهيم (ع) للكوكب وغيره، مناف للعصـمة،ولا يصح إبداؤه فی حق المعصومين عموما، ولا يمكن أن يقرّبه شیء، لا فی الطفولـة ولا فيما بعـدها، علی ما هی عليه عقيـدة علماء المـذهب القطعية، المأخوذة عن أهل بيت العصـمة عليهم السـلام، ونحن نشير هنا إلی بعض ما يوضح ذلك، وعدم صحة تفسير الآيات بما فسرها به ذلك البعض.

تفسير الآيات

إننا نسـتفيد من الآيات الكريمـة، ما يـدل علی عدم صـحة ما ذكره هذا البعض، فلاحظ ما يلی: ۱ ـ إننا لا نجـد أی دليل علی أن هـذه القضـية قد حصـلت لإبراهيم فی زمان طفولته، بل فی الآيات ما يشير إلی خلاف ذلك، وأن ذلك كان فی مقام الاحتجاج علی قومه. ۲ ـ إن مـا يلفت نظرنا أنه حين طلع الصـباح علی إبراهيم (ع)، ورأی أفول الكوكب وانحسار نوره، لم يتوجه إلی الشـمس التی ظهرت له، بل انتظر إلی الليل، ليتوجه إلی القمر، ليخاطبه بـذلك الخطاب: (هـذا ربی)!! فلما أفل، وطلع الفجر مرة أخری، وأشـرقت الشـمس، توجه إليها ليعتقـد أنها هی ربه الحقيقی. حسـبما شـرحه لنا ذلك البعض(!!). فلماذا تركها فی اليوم الأول حين أفول النجم، وانتظر إلی الليل ليعتقـد بألوهيـة القمر دونها؟!. أم أنه قـد نام النهار كله من شـروق الشـمس إلی غروبها، فلم ير الشـمس، حتی ولو فی ساعـة من نهار؟!. أو أنه قـد دخل كهفاً مظلماً، ولم يتذكر وجود الشـمس، ولا التفت إليه؟! ۳ ـ إن نفس ذلـك البعض يقر بأن إبراهيم (ع) كان يری الشـمس قبل ذلك فی سـنوات طفولته، وكان يری القمر والكواكب أيضا ـ فلماذا لم يعتقـد بربوبيتها منذئذٍ؟!. أو لماذا لم يتساءل عن هـذا الأمر؟!. ولماذا لم يـدرك أن الشـمس أكبر من القمر والكواكب فور رؤيته لها طالما أنه قـد رآها؟. أم أنه يريد تأكيد طفولة وبراءة إبراهيم من خلال عبـارة (هـذا اكبر) أو (لا ـ أحب)؟. ۴ ـ لمـاذا التزم إبراهيم بربوبيـة هـذا الكوكب بعينه، دون سـائر الكواكب الطالعة وما أكثرها؟!. ۵ ـ إن ذلك البعض يصـرح بأن الظاهر أن قصـة إبراهيم (ع) مع أبيه آزر، كانت أسـبق من هذه القضـية، فكيف كان مؤمنا هناك، ويدعوه للإيمان بالله وترك الأصنام؟ وكافرا ومشركا هنا يعبد الكواكب والنجوم تارة ولا يعرف إلهه تارة أخری؟!، فهـل كـان يـدعوه إلی إله لا ـ يعرفه؟! أم أن إبراهيم (ع) كفر بعـد إيمانه؟!. وهل يصـح منه بعـد هـذا أن يحتمل فی حقه عليه الصـلاة والسلام أن يكون قد عبد الكوكب حقيقة؟!. علما أن عبادة الكواكب خروج عن الفطرة، ومعصية ما بعدها معصية، والأنبياء معصومون عنها قبل البعثـة وبعدها. ۶ ـ ثم إن إبراهيم (ع) اسـتدل علی بطلان ألوهيـة الكوكب بالأفول، لان الله لا يأفل. فالـذی يـدرك مثل هـذا الأمر الـدقيق فی ما يتعلق بصـفات الإله، كيف لا يـدرك صـفة أوضـح منها وهی اسـتحالة الجسـمية علی الله؟ مع أنه كان يعرف هـذا الأفول قبل ذلك لأنه كان قـد رأی الكواكب سابقا، وعرف أنها تطلع وتغيب باعتراف القائل نفسه. ۷ ـ إن إبراهيم (ع) بعد أن استدل بالأفول علی بطلان ألوهيـة الكوكب، كيف عاد واعتقد بألوهية القمر؟ مع علمه بأنه يأفل ويغيب، ثم كيف عاد ليعتقد بألوهية الشـمس مع علمه بأنها تغيب أيضا؟!. ۸ ـ أما التعليل بـ (هذا اكبر)، فلا ينفع مع الاستدلال بـ (لا أحب الآفلين)، لان الآفل لا يصلح للألوهية سواء كان كبيرا أو صـغيرا. أضف إلی ذلك كله أن القمر قد كان اكبر من الكوكب أيضا فلماذا لم يلتفت إبراهيم إلی ذلك فی حينه؟. ۹ ـ إن ذلك البعض لم يذكر لقارئه ما روی عن الإمام الرضا (ع)، من أنه قد رفض أن يكون إبراهيم عليه السلام قد أشرك بالله، وقرر أن إبراهيم (ع) إنما قال ذلك علی سبيل الإنكار علی قومه لتسـخيف معتقـدهم. والرواية هی التالية: إبن بابويه قال حدثنا تميم بن عبد الله

بن تميم القرشى رضى الله عنه، قال حدثنا أبى عن حمدان بن سليمان النيسابورى، عن على بن محمد بن الجهم، قال حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليه السلام، فقال له المأمون: يا ابن رسول الله أليس من قولك إن الأنبياء معصومون؟ قال: بلى. قال: فسأله عن آيات من القرآن فى الأنبياء، فكان فيما سأله أن قال له فأخبرنى عن قول الله عز وجل فى إبراهيم (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى). فقال الرضا (ع): إن إبراهيم وقع إلى ثلاثة أصناف، صنف يعبد الزهرة، وصنف يعبد القمر، وصنف يعبد الشمس، وذلك حين خرج من السرب الذى أخفى فيه، فلما جن عليه الليل رأى الزهرة قال هذا ربى على الإنكار والإستخبار، فلما أفل الكوكب قال لا أحب الآفلين، لأن الأفول من صفات المحدث لا من صفات القديم. (فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى) على الإنكار والإستخبار، (فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين). فلما أصبح (رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر) من الزهرة والقمر على الإنكار والإستخبار، لا على الإقرار والإخبار.. (فلما أفلت) قال للأصناف الثلاثة من عبدة الزهرة والقمر والشمس (يا قوم إنى برىء مما تشركون، إنى وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين). وإنما أراد إبراهيم بما قال أن يبين لهم بطلان دينهم، ويثبت عندهم أن العبادة لا ـ تحق لما كان بصفة الزهرة والقمر والشمس، وإنما تحق العبادة لخالقها وخالق السماوات والأرض. وكان ما احتج به على قومه مما ألهمه الله عز وجل وآتاه، كما قال عز وجل (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه)، فقال المأمون: لله درّك يا ابن رسول الله [۴۲] . ۱۰ ـ إن قوله تعالى: (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين)، قد فرع عليه قوله: (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى)، فهذا التفريع على إراءته ملكوت السماوات والأرض، وعلى كون إبراهيم (ع) من الموقنين، يشير إلى أنه لم يقل هذا ربى عن اعتقاد، بل قاله عن إنكار واستهزاء. ۱۱ ـ هذا غيض من فيض مما ورد فى النص المنقول عن (من وحى القرآن)، ونترك الكثير الكثير من المداليل والملاحظات الموجودة لقارئنا الكريم، ليستخلصها بنفسه بعد أن عرف الضابطة فى الفرق بين أوصاف الأنبياء وأحوالهم، وأوصاف الأشقياء وخصالهم. أنا أقول: إن آدم ساذج. أنا لا أقول: إن إبراهيم ساذج. قلنا: إن آدم لم يكن عنده تجربة. سئل البعض: نريد منكم توضيحاً من أجل أن نطمئن، فالعلم حاصل والحمد لله، ولكننا نريد توضيحاً للبعض، والأمور التى نأمل توضيحها، والتى ينسبونها إليكم: أن إبراهيم ساذج؟ فأجاب": أنا أصحح، إنّا نقول: إن آدم ساذج، وليس إبراهيم، ولكن هم يقولون إنى قلت: إن إبراهيم كان كافرا فى بداية حياته، وأما عن آدم كان ساذجاً، فنحن قلنا: إن آدم لم يكن عنده تجربة بعد، فقد خلقه الله بعلم أولى لكن بدون تجربة ميدانية يختبر فيها قوته، وقدرته وعزيمته.. الخ ["۴۳] .

وقفة قصيرة

ونقول: ۱ ـ إن تصحيح هذا البعض غير صحيح، فإنه قد اتهم إبراهيم بالسذاجة أكثر من ثلاث مرات، بل خمس مرات، فراجع كتابه (من وحى القرآن ج ۹ ـ ص ۱۱۵ و ۱۲۰ و ۱۲۱ ـ الطبعة الأولى) فهل نسى هذا البعض ما كتبته يداه؟!. ۲ ـ إن تأويله لمعنى السذاجة غير مقبول وذلك لما يلى: أولاً: إنه هو نفسه قد طلب من الناس أن لا ـ يكونوا ساذجين ـ يضحك الناس عليهم ـ وذلك فى بعض خطبه التى بثت من إذاعة تابعة له. كما أنه قد فسر السذاجة التى يقصدها فى حديثه عن شيخ الأنبياء إبراهيم (عليه السلام) بأنها النظرة الحائرة البلهاء [۴۴] . وثانياً: لنفترض جدلاً أن تفسيره للسذاجة بالنسبة للنبى آدم يمكن غض النظر عنه، باعتبار أنه لم يكن لديه اطلاع على مكر إبليس.. فما هو مراده منها حين أطلقها خمس مرات على شيخ الأنبياء إبراهيم ـ عليه وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام. وثالثاً: لو أردنا أن نصف هذا البعض نفسه بالسذاجة، بأى معنى أراد، وبغير ذلك من أوصاف أطلقها على أنبياء الله وعلى الأوصياء، فضلاً عما وصف به مراجع الأمة وأساطين العلم فيها، ثم نثبت ذلك فى مؤلفاتنا، لتقرأه الأجيال، وليتدارسوه ويتناقلوه، فهل سيكون راضياً هو ومحبوه ومناصروه؟ أم أنهم سوف يقيمون الدنيا ثم لا يقعدونها؟!! ليس من التناقض: وقد ذكر البعض: فى الفقرة السابقة والتالية: أننا قلنا عنه: إنه يقول: إن: إبراهيم كان كافراً فى بداية حياته.. فيجيب ": إنه لم يقل ذلك، بل ذكر احتمالين "..وقال: الأقرب: أن فعل

إبراهيم كان طريقة ذكية للإقناع: ونقول: نعم إن هذا البعض يذكر بالنسبة لإبراهيم احتمالين اثنين": أحدهما: أنه لما رأى الكوكب بازغاً اعتقد أنه ربه على الحقيقة، ثم لما رأى القمر بازغاً غيّر رأيه، واعتقد أنه هو الإله، وعاش معه حالة روحية من التصوف والعبادة لهذا الرب، فلما أفل غيّر رأيه ثالثة فاعتقد أن الشمس هي ربه، فلما أفلت اتضحت له الحقيقة.. الثاني: أن إبراهيم قد قال ذلك على سبيل المحاكاة الاستعراضية، ليؤكد لقومه فساد آرائهم واعتقاداتهم. "ثم اعتبر أن الاحتمال الثاني ربما يكون أقرب من الإحتمال الأول [٤٥] وهذا يعني أن الاحتمال الأول لا ـ يزال موجوداً وقائماً. وذلك يتنافى مع اليقين والقطع، والإعتقاد بالعصمة، وعدم كفر الانبياء، ولو قبل البعثة.. والغريب أنه وهو ينكر علينا ما نقلناه عنه قد عاد فقرر نفس ما أخذناه عليه فقال": يأتي الثاني ويقول: إن السيد يقول: إن إبراهيم كان يعبد الكواكب في بداية حياته، أنا أقول في تفسيري من وحي القرآن وهو مطبوع من ١٥ سنة وهو ليس جديداً، أنا أقول هناك تفسيران: بعض الناس يفسرون أن إبراهيم (عليه السلام) كان يسمع أناساً يعبدون الكواكب، فتدور الأفكار في رأسه وتحيره، فهو قد أراه الله ملكوت السموات والارض. رأى كوكباً، قال: هذا ربي، رأى قمراً، قال: هذا ربي، وبعدها انتهى إلى نتيجة تلتقي بالدين الصحيح. وهنا فكرة ثانية تقول: إن إبراهيم (عليه السلام) حاول أن يواجه قومه بطريقة ذكية، وبأسلوب منفتح. كيف ذلك؟ بأن يصور نفسه وكأنه واحد منهم، أي أنه يعبد الكواكب، ثم يجلس أمامهم وهم قاعدون ويقول: هذا ربي فيرتاحون لقوله..ولما أفل قال: لا ـ أحب الآفلين، لا يمكن أن يكون الرب كوكباً، فالرب يجب أن يكون موجوداً دائماً، ولما رأى القمر بازغاً.. كذلك، لما رأى الشمس.. كذلك.. فهو حاول أن يرد على أفكارهم كما لو كان ممن يتبنى هذا الفكر ليحصل على فرصة مناقشته دون إثارة حساسياتهم. أنا ذكرت هذين الإحتمالين في تفسير (من وحي القرآن) قبل خمسة عشر عاماً، وكل منكم يمكن أن يعود إلى هذا التفسير ويراجعه، أنا قلت: الأقرب من هذين الاحتمالين هو أن هذا أسلوب من أساليب النبي إبراهيم (عليه السلام) من أجل أن يهدم هذه الفكرة بالطريقة الذكية. حتى أني قلت: يجب أن نستفيد من هذا الاسلوب في مجال الرواية والقصة والمسرح.. إذا أردنا أن نثبت هذا المعنى. فجاء من يقول: إن السيد يقول بأن إبراهيم (عليه السلام) كان كافرا، ونحن نعرف أن الأنبياء (عليهم السلام) لا بد من أن يكونوا معصومين، وأنا قلت: إن إبراهيم (عليه السلام)، من الأساس تمرد على بيئته، تمرد على أبيه أو عمه ["٤٦] . وسئل البعض أيضا: في قوله تعالى: (وكذلك نُرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض) (الأنعام: ٧٥) فهل كان إبراهيم (عليه السلام) غير مقتنع بظواهر الكون الدالة على وجود خالق منظم؟ أم هي واردة بمثابة الحجة؟. فأجاب": الأقوى أن إبراهيم كان يستعرض العقائد الباطلة الموجودة في زمانه.. وكان يحاول أن يطرحها كما لو أنها كانت متبناة من قبله حتى يستمع الناس اليه وهو يناجي نفسه..الخ .[٤٧]

وقفة قصيرة

وإننا ننبه القارئ العزيز إلى أنه إذا كان يقصدنا بقوله" يقولون، "..: فإننا نعلن أننا لم نقل: إنه قال عن إبراهيم: إنه كان كافراً.. بل قلنا: إنه يقول: يحتمل أن يكون إبراهيم قد عبد الكوكب والشمس والقمر.. فراجع عباراتنا حول هذا الموضوع تجد صحة ذلك. وخلاصة القول: إنه قد أنكر شيئاً لم يتهمه به أحد. ثم إنه عاد وقرر نفس مقولته التي اعتبرناها خروجاً على الإعتقاد بعصمة الأنبياء عن الكفر والشرك، لما تتضمنه من احتمال ذلك في حق إبراهيم (عليه السلام)، فإن احتمال عبادة الشمس والقمر والكوكب لا ينسجم مع اليقين بالعصمة عن ذلك. وها هو نفسه هنا يعترف بما قلناه، وإن كان يمكن القول بأنه قد عاد وناقض نفسه من جديد في آخر كلامه الذي نقلناه عن": الزهراء المعصومة، "ويمكن رفع هذا التناقض ببيان أن كلمة الأقوى لا تزال تستبطن وجود الإحتمال الآخر الذي هو قوي أيضاً، لكن هذا الإحتمال أقوى منه. النبي يخاف لأنه يعيش الضعف البشري. لا مشكلة في الإستسلام للخوف. الملائكة لم يأتوا ليخلقوا عقدة الخوف والقلق لدى إبراهيم. الحالة فاجأت إبراهيم بما يشبه الصدمة. يقول البعض(": وأوجس منهم خيفة) نظراً للغموض الذي لف الموقف، فهو لا يعرفهم بأشخاصهم، والإمتناع عن الأكل يوحي ـ في عرف الناس آنذاك ـ بالعداوة وبإضمار الشر

للمضيف، مما جعله يحس بالخوف والقلق، ولا مانع من حدوث مثل ذلك للأنبياء الذين يعيشون الضعف البشرى الذى تخضع له المشاعر الذاتية، ولكن بالمستوى الذى لا يؤدى إلى السقوط فى المعصية، ولا يوحى بالانسحاق، ولا يمنع من العصمة. ولعل سر عظمتهم فى تمثلهم خط التوازن بين نقاط الضعف التى تؤكد بشريتهم، ونقاط القوة التى تنطلق من حركة الإيمان والرسالة فى روحيتهم، فلا مشكلة فى إحساس الإنسان بالخوف، بل فى الاستسلام له، وليس الخوف حالة سلبية فى ذاته، بل قد يكون حالة إيجابية بما يشكله من حماية للإنسان من الأخطار المهلكة التى تحيط به. ولذا كان إبراهيم خاضعاً لتأثير هذه الحالة الطبيعية من الإحساس بالخوف أمام ظاهرة غامضة فاجأته بما يشبه الصدمة، ولكن الملائكة لم يأتوا ليخلقوا عقدة الخوف، وليثيروا فى داخله القلق، (قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط) فلسنا من البشر، ولا نريد بك شراً، بل نحن مرسلون إلى قوم لوط لأداء مهمة إلهية، تستهدف إهلاكهم بالطريقة التى أمرنا الله بها [٤٨"] .

وقفة قصيرة

ونقول: ١ ـ لو قبلنا جدلاً أن الضعف البشرى الذى تخضع له المشاعر الذاتية هو الذى يتسبب بحدوث الخوف لدى الأنبياء.. فإننا نسأل: من أين عرف هذا البعض: أن هذا الخوف لا يصل إلى درجة يؤدى إلى السقوط فى المعصية، ولا يوحى بالانسحاق، ولا يمنع من العصمة؟! فهل هذا الا رجم بالغيب، وحديث فى أمور لا سبيل للإطلاع على مقاديرها إلا لعلام الغيوب؟! ويزيد الأمر إشكالاً أن هذا البعض نفسه يشترط الدليل المفيد للقطع فى كل أمر هو من هذا القبيل، فأين هو هذا الدليل الذى قدمه على أن الخوف يكون بهذا المقدار أو ذاك؟!. ٢ ـ من أين عرف هذا البعض: أن منشأ خوف نبى الله إبراهيم (عليه السلام) هو ضعفه البشرى. ولماذا لا يقول: إن التكليف الإلهى لإبراهيم (عليه السلام) هو أن يقف موقف الحذر، وأن يحتاط لنفسه كما يحتاط الخائف فى المواقع المماثلة.. حتى وإن لم يكن قد اختلج فى نفسه أى خاطر؟! ٣ ـ من أين عرف: أنهم قد امتنعوا عن الأكل.. فإن الآية الشريفة تقول:(فلما رأى أيديهم لا ـ تصل إليه نكرهم، وأوجس منهم خيفة..) فإن ظاهر الآية أنه رآهم يتظاهرون بأنهم يأكلون، ويمدون أيديهم إلى الطعام بحسب الظاهر. ولكن أيديهم لا ـ تصل إلى ذلك الطعام، فكان أمراً غير طبيعى، وهو يدعو إلى الحذر.. وذلك هو الواجب الشرعى، وهو الحزم فى مثل هذه الحالة. ٤ ـ من أين عرف هذا البعض: أن ما جرى قد فاجأ إبراهيم بما يشبه الصدمة. وربما نجد فى قوله تعالى (أوجس منهم خيفة)، والخيفة هى نوع من الخوف.. ـ ربما نجد فيه ـ اشارة إلى أنها خيفة ضعيفة استحقت الإشارة إليها بتنوين التنكير المفيد للضعف والوهن، نظير قوله تعالى عن اليهود: (لتجدنهم أحرص الناس على حياة..) أو أنها كانت خيفة خاصة ـ وهى ذلك الإدراك لأمر خفى يدعو إلى الحذر الحازم الذى هو واجب شرعاً.. ٥ ـ وأما قوله": ولكن الملائكة لم يأتوا ليخلقوا عقدة الخوف".. فهو مما لا يمكن الموافقة عليه.. لأن ذلك يستبطن إمكانية ابتلاء أنبياء الله بالعقد النفسية، وهو أمر مرفوض جملة وتفصيلاً، بالنسبة لأى نبى كان، فكيف بشيخ الأنبياء الذى هو من أولى العزم، وأفضل رسل الله بعد نبينا الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم). ٦ ـ ونلفت النظر أخيراً.. إلى أن ثمة عدة آيات تحدثت عن خوف حصل لبعض الأنبياء فى بعض المواقع الحساسة، كقول الله سبحانه: (وأوجس فى نفسه خيفة موسى)، وقوله تعالى (قلنا: لا تخف إنك أنت الأعلى) ونحو ذلك.. فمن الواضح: أن خوفهم (عليهم السلام) ليس خوف الضعفاء والجبناء، وإنما هو خوف المسؤولية، حيث يخاف النبى على الرسالة، وعلى الدين، وعلى مستقبل الدعوة إلى الله سبحانه، فيحزن لذلك، ويتألم، وهو يرى بطش الجبارين وكيد المبطلين، وقد تحدثنا عن ذلك فى مكان آخر من هذا الكتاب. ٧ ـ وأما بالنسبة لقول هذا البعض": ان إبراهيم أحس بالخوف أمام ظاهرة فاجأته بما يشبه الصدمة "..فهو كلام مرفوض، لأن الصدمة تعبير يختزن معنى العجز عن التصرف، والإستئسار للمفاجأة، وفقدان البصيرة تحت وطأة الحدث الصاعق، ولو للحظات، ولا يمكن قبول ذلك بالنسبة للأنبياء الذين يعيشون حالة اليقظة التامة، والتوازن فى جميع الأحوال فلا تأسرهم المفاجآت، ولا تذهب بأحلامهم [٤٩] مهما عظمت. إبراهيم يتحير فى أمر نزول العذاب على القوم ولوط فيهم. إبراهيم لا ـ يعرف أن الله ينجى أنبياءه من عذاب

الإستئصال. إبراهيم تصرف انطلاقاً من النظرة السريعة للموقف. التسرع سبب الإعلان المفاجئ عن تعذيبهم. إبراهيم تسرع فى البشارة فاستغرب ذلك واستبعده. لا يستحضر فى نفسه كل ما يتصل بالاحداث. قد تكون فكرة هلاك لوط مع قومه واردة عند إبراهيم. الرواية تؤيد الرأى المخالف.. الذى ناقشه ولا يأخذ بها. يقول البعض(": قال إن فيها لوطاً) فإذا كانوا ظالمين، فإن لوطاً ليس منهم، فكيف ينزل العذاب عليها وهو فيها، فإن عذاب الله إذا نزل على أهل بلد شمل الجميع، فلا ينجو منه أحد(قالوا نحن أعلم بمن فيها) فقد عرفنا وجود لوط، وقد خططنا لإخراجه منها مع أهله ـ ما عدا امرأته ـ قبل إنزال العذاب، فإن الله قد أنزل العذاب عليهم لإستحقاقهم ذلك ولتمردهم على لوط واستخفافهم به، ولاستجابة دعائه بالنصرة عليهم، فكيف يناله العذاب و(لننجينه وأهله، إلا امرأته كانت من الغابرين) الهالكين الذين يضمهم غبار الموت لأنها كانت مؤيدة لقومها ضد لوط. هل كان إبراهيم يعلم أن لوطاً يعذب؟ وهناك لفتة جيدة، ذكرها صاحب تفسير الميزان فى تفسير كلام إبراهيم للملائكة (إن فيها لوطاً) قال: إن إبراهيم ـ عليه السلام ـ لم يكن ليجهل أن الله سبحانه لا يعذب لوطاً وهو نبى مرسل، وإن شمل العذاب جميع من سواه من أهل قريته، ولا أنه يخوفه ويذعره ويفزعه بقهره عليهم، بل كان (عليه السلام) يريد بقوله:(إن فيها لوطاً) أن يصرف العذاب عن أهل القرية كرامة للوط لا أن يدفعه عن لوط، فأجيب بأنهم مأمورون بإنجائه وإخراجه من بين أهل القرية ومعه أهله إلا امرأته كانت من الغابرين. والدليل على هذا الذى ذكرنا قوله تعالى فى سورة هود فى هذا الموضع من القصة: (فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط، إن إبراهيم لحليم أواه منيب، يا إبراهيم أعرض عن هذا، إنه قد جاء أمر ربك، وإنهم ءاتيهم عذاب غير مردود) (هود: ۷۴ ـ ۷۶) [۵۰] . وقد نلاحظ على ذلك، أن الآية لا يظهر فيها ما ذكره، ولهذا كان جواب الملائكة بياناً لمصير لوط، لا لمناقشة مصير قومه، كما ذكر فى سورة هود، ولا مانع من أن يكون إبراهيم ـ عليه السلام ـ قد أثار مصير قوم لوط معهم كما أثار مصير لوط، انطلاقاً من النظرة السريعة للموقف على أساس الإعلان المفاجئ عن تعذيبهم، تماماً كما كان رد فعله السريع على البشارة، باستغراب ذلك واستبعاده، وليس من الضرورى أن يكون النبى مستحضرا فى نفسه لكل الأمور المتصلة بالاحداث، بحيث يفقد عنصر المفاجأة فى كل شىء، فقد تكون فكرة هلاك لوط مع قومه واردة على أساس أن الأمور التكوينية لا تفرق فى بلاء الدنيا بين الصالحين، وغيرهم، والله العالم. وقد جاء فى الكافى ما ربما يؤيد التفسير السابق الذى ناقشناه، بإسناده عن أبى زيد الحماد، عن أبى عبدالله جعفر الصادق ـ عليه السلام ـ فى حديث نزول الملائكة على إبراهيم بالبشرى قال: فقال لهم إبراهيم: لماذا جئتم؟ قالوا: فى إهلاك قوم لوط فقال لهم: إن كان فيها مائة من المؤمنين أتهلكونهم؟ فقال جبرئيل لا، قال: فإن كان فيها خمسون؟ قال: لا، قال: فإن كان فيها ثلاثون؟ قال: لا، قال: فإن كان فيها عشرون؟ قال: لا. قال: فإن كان فيها عشرة؟ قال: لا، قال: فإن كان فيها خمسة؟ قال: لا، قال: فإن كان فيها واحد؟ قال: لا، قال: فإن كان فيها لوطاً؟ قالوا: نحن أعلم بمن فيها لننجيه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين، قال الحسن بن على (عليه السلام): لا أعلم هذا القول إلا وهو يستبقيهم، وهو قول الله تعالى (يجادلنا فى قوم لوط) [۵۱] .

وقفة قصيرة

ونقول: إننا نلاحظ الأمور التالية: ۱ ـ قوله": إن قلق إبراهيم عليه السلام إنما كان على مصير النبى لوط (عليه السلام) وذلك استناداً إلى قول إبراهيم للملائكة: (إن فيها لوطاً "..).غير صحيح فإن هذا القول لا يدل إلا على توقعه أن وجود لوط سيمنع من أن ينالهم العذاب.. ولا يدل على اعتقاده أن العذاب ـ لو نزل ـ سيحيق بلوط أيضاً. ۲ ـ إن الله سبحانه قد صرح بأن جدال إبراهيم إنما كان فى قوم لوط، قال تعالى: (فلما ذهب عن إبراهيم الروع، وجاءته البشرى، يجادلنا فى قوم لوط، إن إبراهيم لحليم أواه منيب، يا إبراهيم أعرض عن هذا) أى عن رفع العذاب عن قوم لوط (إنه قد جاء أمر ربك، وإنهم آتيهم عذاب غير مردود) [۵۲] . ۳ ـ هذا بالإضافة إلى الرواية المروية عن الامام الصادق، والتى أوردها هذا البعض نفسه حيث تدل ـ كما اعترف هو نفسه ـ على أن إبراهيم كان مهتماً برفع العذاب عن قوم لوط، وأنه اتخذ من وجود لوط فيما بينهم ذريعة إلى ذلك فلماذا يصر هذا البعض على مخالفة الرواية، بل الآية

أيضا؟! ولماذا أشار إلى دلالة الرواية على خلاف ما يذهب إليه، مع مزيد من التضعيف، وإثارة الشك والإرتياب فى تلك الدلالة، حيث قال": ما ربما يؤيد. "۴ ـ لماذا يتهم إبراهيم (عليه السلام) شيخ الانبياء، وأفضلهم بعد نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) بأنه كان متسرعاً فى موقفه، وواقعاً تحت تأثير المفاجأة، حتى إنه حينما جاءته الملائكة بالبشرى استغرب ذلك واستبعده.. كما أنه قد عرّض به (عليه السلام) حين اعتبر أن ليس من الضرورى أن يكون إبراهيم (عليه السلام) مستحضراً فى نفسه لكل الأمور المتصلة بالأحداث بحيث يفقد عنصر المفاجأة فى كل شىء. فإن هذا التعريض مرفوض جملة وتفصيلاً، إذ مهما كان وقع المفاجأة على إبراهيم (عليه السلام) قوياً، فإنه لا يمكن أن لا يمر فى وهمه: أن الله سبحانه رحيم بالعباد، ولا يفعل إلا الحق، ولا ينزل العذاب إلا بمن يستحق. ولا يمكن أيضاً أن تختلط عليه الأمور فيظن أن الله سبحانه ينزل العذاب بحيث يشمل حتى نبيه الذى أرسله.. فإن غضب الله سبحانه ليس عشوائياً بحيث لا ـ تبقى ثمة ضوابط أو معايير لما يصدر عنه ومنه، وحاشا إبراهيم أن يظن بالله ذلك. ۵ ـ وإذا كان هذا البعض قد أدرك هذه الحقيقة، وهى إساءة القوم واستحقاقهم نزول العذاب عليهم، ثم نزوله بالفعل، ونبى الله فيهم معناه هلاك ذلك النبى الأمر الذى لا بد أن يمنع من نزول العذاب ـ نعم إذا أدرك هذا البعض ذلك فكيف لم يدركه ابراهيم النبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ؟!.. ۶ ـ وقد كان من المفروض: أن يثور احتمال لدى إبراهيم، إن يخرج الملائكة لوطاً من بين قومه، ثم يهلكونهم بما فعلت أيديهم. ۷ ـ ومن الواضح: أن إبراهيم كان يعلم: أن للشفاعة تأثيراً فى رفع العذاب، وهى من أسباب غفران الذنوب حتى الكبيرة.. وقد كان الموقف يحتاج إلى إظهار وتجسيد حقيقة أن عذاب قوم لوط قد اصبح من المحتوم، وأن جرائمهم هى من الخطورة إلى درجة أنها حجبت حتى عنصر الشفاعة عن التأثير فى رفع العذاب عنهم.. وقد كان من واجب إبراهيم أن يبادر إلى ذلك الموقف من أجل أن تستنفد جميع الأسباب، من جهة، ومن أجل إظهار وتجسيد هذه الحقيقة بالذات من جهة أخرى.. ۸ ـ إن هذا البعض قد ادعى أن إبراهيم خاف على لوط، ولم يكن يعرف أن الله ينجى أنبياءه من عذاب الإستئصال. ونقول: إن العقل يرفض أخذ البرىء بذنب المجرم، كما أن النصوص القرآنية قد ألمحت وصرحت مراراً وتكراراً بأن الله لا يظلم أحداً، ولا يعامل البرىء والمذنب على حد سواء، (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) [۵۳] . وصرحت الآيات أيضاً بأنه تعالى إنما يهلك أهل القرى بظلمهم، ويأخذهم بذنوبهم.. [۵۴] . بل صرحت بأن الله ينجى المؤمنين، ويهلك من عداهم فقد قال تعالى: (واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر، إذ يعدون فى السبت، إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً، ويوم لا يسبتون لا تأتيهم، كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون. وإذ قالت أمة منهم: لم تعظون قوماً الله مهلكهم، أو معذبهم عذاباً شديداً، قالوا: معذرة إلى ربكم، ولعلهم يتقون. فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء، وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون، فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) [۵۵] . وبعدما تقدم نقول: صحيح أن السنة الإلهية جارية على أن عذاب الإستئصال إذا نزل، فإنه يعم كل من نزل عليهم.. ولكن من الواضح أيضاً: ان العذاب إنما ينزل على خصوص المجرمين، إما لارتكابهم الجرائم فعلاً أو لأجل رضاهم بها وعدم قيامهم بواجبهم فى رفعها، وعدم تحريكهم ساكناً فى مواجهتها. فيأخذهم الله بذنوبهم نفسها.. فهل يمكن اتهام لوط بأنه مقصر فى واجباته، أو أنه مرتكب للجرائم أو راض بارتكابها؟! أو هل يمكن اتهام إبراهيم بأنه يجهل هذه الحقيقة أعنى حقيقة أن الله لم يكن ليعذب نبيه بعذاب الاستئصال؟ بل ينجيه منه وينجى من آمن معه؟! ولأجل ذلك نجد أن الله سبحانه لم يغرق قوم نوح حتى صنع نوح السفينة، وحمل بها كل من آمن معه، فلماذا لم يتعلم ابراهيم ـ عليه السلام ـ من هذه القضية بالذات. وقد سئل الرضا (عليه السلام): لأى علة أغرق الله عز وجل الدنيا كلها فى زمن نوح عليه السلام وفيهم الأطفال، وفيهم من لا ـ ذنب له؟ فقال عليه السلام: ما كان فيهم الأطفال، لأن الله (عزوجل) أعقم أصلاب قوم نوح (عليه السلام)، وأرحام نسائهم أربعين عاماً، فانقطع نسلهم، فغرقوا ولا طفل فيهم، وما كان الله ـ عز وجل ـ ليهلك بعذابه من لا ذنب له. وأما الباقون من قوم نوح (عليه السلام) فأغرقوا لتكذيبهم نبى الله نوحاً (عليه السلام)، وسائرهم أغرقوا برضاهم بتكذيب المكذبين. ومن غاب عن أمر، فرضى به كان كمن شهده وأتاه [۵۶] . وسأل سدير أبا جعفر (عليه السلام): أرأيت نوحاً (عليه السلام) حين دعا على قومه، فقال: يا رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك،

ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً)؟. قال (عليه السلام): علم أنه لا ينجب من بينهم أحد، قال: قلت: وكيف ذلك؟! قال: أوحى الله إليه: (إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) فعند هذا دعا عليهم بهذا الدعاء [٥٧] . وعن ابن عباس: قال عزير: يا رب، إنى نظرت فى جميع أمورك وإحكامها، فعرفت عدلك بعقلى، وبقى باب لم أعرفه، إنك تسخط على أهل البلية، فتعمهم بعذابك، وفيهم الأطفال! فأمره الله تعالى: أن يخرج إلى البرية، وكان الحر شديداً، فرأى شجرة فاستظل بها ونام، فجاءت نملة فقرصته، فدلك الأرض برجله، فقتل من النمل كثيراً، فعرف أنه مثل ضرب، فقيل له: (يا عزير، إن القوم إذا استحقوا عذابى قدرت نزوله عند قضاء آجال الأطفال، فماتوا أولئك بآجالهم، وهلك هؤلاء بعذابى) [٥٨] . قال المجلسى: (إن الله تعالى كما أنه يميت متفرقاً، إما لمصلحتهم، أو لمصلحة آبائهم، أو لمصلحة النظام الكلى، كذلك قد يقدر موتهم جميعاً فى وقت واحد لبعض تلك المصالح. وليس ذلك على جهة الغضب عليهم، بل رحمة لهم، لعلمه تعالى بأنهم يصيرون بعد بلوغهم كفاراً، أو يعوضهم فى الآخرة، ويميتهم لردع سائر الخلق عن الإجتراء على مساخط الله، أو غير ذلك. مع أنه ليس يجب على الله تعالى إبقاء الخلق أبداً، فكل مصلحة تقتضى موتهم فى كبرهم، يمكن جريانها فى موتهم عند صغرهم، والله تعالى يعلم) [٥٩] . وعن الإمام الباقر (عليه السلام): (إن الله أوحى إلى يونس حين دعا على قومه: إن فيهم الحمل، والجنين، والطفل، والشيخ الكبير، والمرأة الضعيفة، والمستضعف المهين، وأنا الحكم العدل سبقت رحمتى غضبى، لا أعذب الصغار بذنوب الكبار من قومك، وهم يا يونس عبادى، وخلقى، وبريتى، فى بلادى، وفى عيلتى، أحب أن أتأناهم، وأرفق بهم، وأنتظر توبتهم.. الخ) [٦٠] . وهذه الرواية وإن كان فيها مواضع مشكلة، ولكن هذه الفقرة فقط هى موضع الحاجة، وليس فى الأخذ بها محذور.. لأنها آتية وفق القواعد والأصول العامة العقلية وغيرها، كما أنها مؤيدة بسائر الروايات الآنفة الذكر. وقد رأينا: أن العذاب لم ينزل على قوم يونس حتى خرج عليه السلام من بينهم مغاضباً لهم، فرأوه قد دنا منهم، ثم رفع عنهم بسبب توبتهم. وأخيراً، فقد قال الله تعالى مخاطباً نبيه الكريم (وما كان الله ليعذبهم) أى أهل مكة (وأنت فيهم). قال ابن عباس: إن الله لم يعذب قومه حتى أخرجوه منها، (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون)، أى وفيهم بقية المؤمنين بعد خروجك من مكة. وذلك أن النبى (صلى الله عليه وآله) لما خرج من مكة بقيت فيها بقية المؤمنين لم يهاجروا لعذر، وكانوا على عزم الهجرة، فرفع الله العذاب عن مشركى مكة لحرمة استغفارهم، فلما خرجوا أذن الله فى فتح مكة. وقيل: معناه: وما يعذبهم الله بعذاب الإستيصال فى الدنيا، وهم يقولون: غفرانك ربنا. وإنما يعذبهم على شركهم فى الآخرة [٦١] . ٨ ـ بقى أن نشير إلى أن ثمة آية ورواية، قد يتوهم متوهم: أنهما تدلان على خلاف ذلك. ألف: أما الآية فهى: قوله تعالى: (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة، واعلموا: أن الله شديد العقاب) [٦٢] . ولكن الحقيقة هى: أن هذه الآية ليست ناظرة إلى عذاب الاستئصال، بل المقصود بالفتنة هو البلاء الناشئ عن المعاصى فى الدنيا، كالفتن والحروب، والأمراض، وما أشبه ذلك، فإن ضررها لا يقتصر على من يثيرها. باء: وأما الرواية فهى: ما روى عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: ما عذب الله قرية فيها سبعة من المؤمنين.. [٦٣] . فالجواب: أنها لا يمكن الإستدلال بها على أن عذاب الاستئصال يمكن أن ينال المؤمنين، إذ لا تأبى أن يكون المراد أن القرية لا تستحق العذاب ما دام فيها سبعة من المؤمنين يقومون بواجبهم فى إنكار المنكر، والأمر بالمعروف.. فإذا قلّ عدد المؤمنين عن هذا استحقت عذاب الإستئصال.. فيؤمر هؤلاء بالخروج منها، ويمهلون من أجل ذلك، فإذا خرجوا نزل عليها العذاب، تماماً كما جرى لقوم نوح، ولوط، ويونس، ومشركى مكة أعزها الله تعالى. وإن كان الله قد رفع العذاب عن قوم يونس بعد أن دنا منهم ورأوه رأى العين، فكان ذلك سبب توبتهم. جبرائيل لم يكن ينزل على لوط (ع). لوط (ع) يتلقى الأوامر من إبراهيم (ع). وقد أعلن البعض فى إذاعة محلية تابعة له، إنكاره نزول جبرائيل عليه السلام على نبى الله لوط(ع).. وأنه إنما كان ينزل على إبراهيم عليه السلام، وهو الذى كان يصدر الأوامر إلى لوط(ع)، وذكر أن ذلك يعطى أسلوبا تنظيميا جيدا، واعتبر ذلك كشفا مهمّا منّ الله به عليه!! مع أن الله سبحانه يقول: (وإن لوطا لمن المرسلين) [٦٤] ، فهل يكون لوط مرسلا ولا ينزل عليه الوحى؟! ومن أين صحّ له أن الوحى لم يكن ينزل على لوط؟! فاستمع إليه يقول (ونحن نعتذر للقارىء الكريم لأنّا سنورد كلامه، الذى جاء باللغة العامية، ولم نتدخل فى صياغة عبارته"): إن إبراهيم من أولى العزم، يعنى هو رسول الله إلى الناس جميعا، وكان

يرسل ذاك الزمن مثلا إبراهيم عليه السلام، مثلا يرسل أشخاص أنبياء محليين، يعنى مثلا أرسل لوط إلى هذه القرية التى انتشر فيها الفساد والشذوذ الجنسى المذكر (اللواط) على أساس أن يذكرهم بالله، وان يركز لهم القاعدة الإيمانية، وان يواجه هذا الإنحراف الشاذ عندهم، فـ. هناك أنبياء محليون، هؤلاء الأنبياء المحليون لا يرتبطون بالوحى مباشرة وإنما يرتبطون بالوحى العام، ما تسمعوا بأولى العزم؟ أولى العزم يعنى هم إبراهيم وموسى نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم، هؤلاء أولياء.. أنبياء أولى العزم، هؤلاء هم كأن الأنبياء الموجودين، فى أنبياء ضيع، فى أنبياء قرى مثلا، فكأن لوط.. إبراهيم هو مسؤول لوط، كأنه لوط ليس نبيا بشكل مباشر، ولكن نبوته من خلال أنه وكيل إبراهيم عليه السلام فى هذا المجال، فاستثذانهم من لوط من إبراهيم باعتبار أنه يتحمل مسؤولية لوط، فمن الناحية التنظيمية، الله سبحانه وتعالى راعى الناحية التنظيمية، أنه يستأذن إذا أراد أن.. العذاب على الجماعة أولئك فيستأذن إبراهيم بعدما إبراهيم يفهم القضية يذهبون إلى لوط ويحدثونه ويتولوا المهمة ويدبروا الوضع مع لوط هذا. وهذا المعنى إذا صح هذا الفهم من هذه المسألة هذا نفهم من عندها الجانب التنظيمى أنه عندما يكون هناك مسؤولية لإنسان عن إنسان آخر فما يجوز إحنا نتصل بالإنسان الآخر بشكل مباشر إذا كان أى شخص يعنى أى عمل يتصل بالشخص الثانى سواء فيما يوكل إليه من مهمات أو فيما يوكل إليه من مهمات للقاعدة التى يعيش فيها لازم يتصل حتى القيادة لا تتصل بالأشخاص الثانويين بشكل مباشر تتصل بالأشخاص الأساسيين حتى تتحدث معهم حول القضية فهنّى يذهبون هذا.. وبعد ذلك عندما يفهم يروحوا إلى تلك الديار، هذا الجانب التنظيمى جدا مهم يعنى لما الواحد.. أنا مثلا مكلف واحد.. أستوحى هذا المعنى من هذا الجوّ ولم أجد أحدا، استوحى هذه القضية فيما قرأت من تفاسير.. حتى أننى لم أذكرها فى تفاسيرى، لكن كما يقولون: (العلم يزكو على الإنفاق) [۶۵] . وحاصل كلامه ـ كما هو ظاهر ـ أنه ينكر نبوة لوط (ع) بالمعنى المعروف للنبوة، وجعله له نبيا بمعنى من المعانى ـ وهو كونه نبياً بالمعنى العام بهذا المقدار ـ وهذا المعنى يصدق فى حق الكثيرين ممن سبق، ممن يصدق فى حقهم أنهم وكلاء للأنبياء ومتعاونون معهم، وينفذون أوامرهم.. فلا بد على هذا التقدير من عدِّهم فى جملة الأنبياء، كما أنه ينبغى ـ بناءً على هذه المقولة ـ أن يصح القول فى وكلاء الإمام صاحب الزمان (ع) بأنهم أئمة أيضا، فهل يلتزم هذا البعض بذلك؟!!.

موسى وهارون

اشاره

موسى (ع) ينكث العهد. موسى (ع) غير منضبط. خطأ موسى (ع) فى موقفه. موسى (ع) لا يستفيد من التجربة الخاطئة الأولى. موسى (ع) لم يفهم الحدث ولم يفكر. علم الأنبياء والأئمة (ع) محدود بحدود مسؤولياتهم. نسيان موسى عليه السلام. النسيان حالة اضطرارية. موسى (ع) فى دورة تدريبية. عدم أهلية موسى لمرافقة الخضر. ويقول عن موسى (ع) والخضر (ع.. "): وأحس موسى بالحرج الشديد لمخالفته للمرة الثانية، ونكثه بالعهد، قال إن سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى لأننى لن أكون أهلا لمرافقتك فيما يمثله ذلك من عدم الإنضباط أمام الكلمة المسؤولة التى التزمت بها أمامك ["۶۶] . وقال عنه": وها هو يعود إلى الإخلال بكلمته من جديد ["۶۷] . ويقول حكاية لقول العبد الصالح لموسى عليه السلام: (ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا) ولماذا لم تستفد من التجربة الأولى التى عرفت فيها خطأ موقفك فى اهتزاز مشاعرك أمام الحدث الذى لم تفهمه، ولم تفكر بأن من الممكن أن يكون له وجه آخر ["۶۸"] . ففى قصة الخضر هو العبد الصالح، هى أن الله أراد أن يدخل موسى فى دورة تدريبية، حتى يفهم الجانب الثانى من الصورة ["۶۹] . وعن علم الأنبياء (ع) والأئمة (ع) ببعض مفردات علوم الحياة والإنسان، أو ببعض خفايا الأمور البعيدة عن عالم المسؤولية يقول": أما هذه الجوانب فلا دليل على ضرورة إحاطته بها، ولا يمنع العقل أن يكون لشخص حق الطاعة فى بعض الأمور التى يحيط بها على الناس الذين يملكون إحاطة فى أشياء أخرى لا يحيط بها، ولا تتعلق بحركة المسؤولية وربما كانت هذه القصة

دليلا على صحة هذا الرأى الذى نميل إليه ["٧٠] . ويقول.. ": قال لا تؤاخذنى بما نسيت، من عهدى لك، هذا موقف ثان للنسيان يعيشه موسى فى ذاته، لأن النسيان حالة اضطرارية، لا يملك الإنسان معها عنصر الاختيار ["٧١] .

وقفة قصيرة

ونقول: قال الله تعالى حكاية لما جرى بين موسى عليه السلام والعبد الصالح: (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا، قال إنك لن تستطيع معى صبرا، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا، قال: ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا. قال فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا. فانطلقا حتى إذا ركبا فى السفينة خرقها، قال أخرقتها لتغرق أهلها، لقد جئت شيئا إمرا. قال ألم أقل: إنك لن تستطيع معى صبرا، قال لا تؤاخذنى بما نسيت، ولا ترهقنى من أمرى عسرا. فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله، قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا، قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا، قال إن سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنّى عذرا، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها، فأبوا أن يضيفوهما، فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقضّ فأقامه، قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا، قال هذا فراق بينى وبينك، سأنبّئُك بما لم تستطع عليه صبرا، أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر) [٧٢] .

تفسير الآيات

قد قلنا: إنه إذا كان ثمة وجه صحيح ومعقول، ومنسجم مع دلالات الآيات القرآنية، فلماذا اللجوء إلى تفسير الآيات بطريقة توجب الشبهة، وتوقع فى المحذور. ونحن نذكر فيما يلى عرضا موجزا لما ترمى إليه الآيات، دون أن يكون ثمة أى محذور عقائدى، فنقول: ١ـ إن المراد بالقصة المشار إليها فى كلام هذا البعض هى قصة العبد الصالح وموسى(ع)، ومن الواضح أن نسبة النسيان ـ بهذا المعنى ـ إلى موسى تعنى نفى العصمة عنه من هذه الجهة، كما أن موسى لم ينكث العهد، لأنه لم يكن قد عاهد الخضر (ع) على السكوت على ما يراه مخالفا لأحكام الشريعة، وحقائق الدين، وقد كان تكليفه الإلهى أن يعترض وأن يسأل.. وأن يظهر حساسية بالغة لصالح الإلتزام بالحكم الشرعى، ولو لم يعترض (عليه السلام) لم يكن أهلا لمقام النبوة والرسالة. ٢ـ إن قول موسى عليه السلام: لا تؤاخذنى بما نسيت، لايعنى: أن المبرر لاعتراضه على الخضر هو النسيان وأنه يعتذر له منه، ولأجل ذلك لم يقل له: لا تؤاخذنى بنسيانى، بل قال: بما نسيت، أى: بتركى العمل فى المورد الذى كان على أن أهمل الوعد فيه، وأزيحه عن ذاكرتى، لكى أبادر لمواجهة ما أراه من مخالفة للشرع، إذ لا ـ يجوز لى فى هذا الموقف إلاّ ـ أن أبادر للردع عن المنكر الظاهر، فالمراد بالآية الإعتذار بالإنشغال بالأهم عن غيره.. ٣ـ وحين أكّد له الخضر (ع) بصورة ضمنية على أن عمله ليس فيه مخالفة للحكم الشرعى، وأنه سيعرف باطن الأمر فى الوقت المناسب، قبل منه ذلك، فلما تكرر ما ظاهره المخالفة كان لا بد من تكرار الإعتراض، عملا بالتكليف الإلهى، ولم يستعجل الحكم، ولا ـ نكث العهد، ولا ـ كان ذا فضول كما يقوله البعض.. ولا هو يعانى من عدم الإنضباط أمام الكلمة المسؤولة.. وأما بالنسبة للمرة الثالثة، فلم تكن امتدادا لما سبقها، بل كانت نتيجة اتفاق جديد بين العبد الصالح وبين موسى عليه السلام، حيث توافقا على الإلتزام بمضمون قوله تعالى: (قال إن سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنّى عذرا) [٧٣] . حيث قد أصبح بإمكان موسى عليه السلام أن يعترض على العبد الصالح إن شاء، فتكون المفارقة بينهما، وبإمكانه أن يستمر معه. فاختار موسى الإنفصال، لا عن نسيان للوعد، بل عن معرفة به، والتفات إليه.. والمراد بالنسيان فى الآية هو: الترك والإهمال، ولو ظهر بصورة العمل الذى يصفه الناس ـ عادة ـ بأنه نسيان، ولم يكن فى واقعه وحقيقته كذلك، وهذا العمل هو وضع هذا الوعد جانبا، والمبادرة لإنجاز التكليف الشرعى الحاضر، الذى هو الأهم. فالتعبير بالنسيان لا يراد به الإخبار عن حدوثه، بل الإخبار عن العمل الذى يراه الناس كذلك، وإن لم يكن

فى واقعه كـذلك. ۴ـ ولعـل نجـاح موسـى (ع) البـاهر فى هـذا الإمتحان هو الـذى أظهر أهليته لمقام النبوة والرسالـة، وعرّفنا على سـر اصطفاء الله له من بين سائر قومه ليكون نبيا من أولى العزم. ۵ـ كما انه لا ربط لهذه الآية بموضوع علم الأنبياء والأئمة، وإنما هى ترتبط بموضوع تنجز التكليف فى مـا يرتبط بالمعذريـة أمام الله سـبحانه، لكى يكون العمل عن حجـة ظاهرة لكى لا يصـبح ذريعـة للجبارين والظالمين. إحتمال ارتكاب النبى موسى (ع) جريمة دينية. الآلام النفسية لموسى (ع) بسبب عملية القتل. جريمة موسى (ع) فى مستوى الخطيئة. الخطأ غير المقصود لموسـى (ع). موسـى(ع) يسـتجيب للوسوسـة الخفيـة بالقتل. ثم إن هـذا البعض يقرر أن النبى قـد يكون مجرمـا، ويحتمـل أن يكون قـد ارتكب جريمـة قتل نفس بريئـة، فهو يقول عن موسـى": ولكن هل كان يشـعر بالـذّنب لقتله القبطى، باعتبـار أن ذلـك يمثل جريمـة دينيـة فى مسـتوى الخطيئـة التى يطلب فيها المغفرة من الله؟!.. أو أن المسألـة هى أنه يشـعر بالخطأ غير المقصود الـذى كـان لا يجب أن يؤدى إلى ما انتهى إليه مما يجعله يعيش الألم الـذّاتى تجاه عمليـة القتل. "..إلى أن قال": إننا نرجح الإحتمال الثانى ["۷۴] . وهـذا يعنى أن الإحتمال الأول لا يزال واردا، ولكنه مرجوح!!! ويقول عن وسوسـة الشـيطان لموسـى(ع) بقتل القبطى": أما حديث التأثير الشـيطانى فى الأشـياء من خلال آية المائدة فلا يدل على المقصود، فإن الظاهر إرادة الإرتباط بهذه الأشياء فى الجانب العملى من خلال وسوسته للإنسان فى الأخذ بها بالطريقة المضادة لمصلحته، وهذا هو الذى نفهمه من آية موسى(ع) لأن قتله للقبطى قد يكون ناشئا من الوسوسة الخفية فيما تصنعه من حالة الإثارة التى تقود إلى ذلك ["۷۵] . (ولما بلغ أشده واستوى آتيناهُ حكما وعلما وكـذلك نجزى المحسـنين، ودخل المدينـة على حين غفلـة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شـيعته وهذا من عدوه فاسـتغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين، قال رب إنى ظلمت نفسـى فـاغفر لى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم، قـال رب بمـا أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين، فأصـبح فى المـدينة خائفا يترقب فإذا الـذى استنصـره بالأمس يستصـرخه قال له موسـى إنك لغوى مبين، فلما أن أراد أن يبطش بالـذى هو عدو لهما قال ياموسـى أتريـد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تـكون جبارا فى الأرض ومـا تريـد أن تكون من المصـلحين) [۷۶] . وإذا قرأنا هـذه الآيات الشـريفة، فإننا نذكر القارئ بما يلى:ً ۱ـ إن الاحتمـال الأول باطل جزما، إذ لا يحتمل فى حق نبى أو وصـى أن يكون قاتلا أو مرتكبا لجريمـة دينيـة..لأن احتمال المعصـية الكبيرة فى حق المعصوم كالقول ـ بوقوعها ـ مناف للقول بالعصـمة. فلو أن ذلـك البعض قـد ذكر هـذا الإحتمـال وبـادر إلى ردّه وإبطاله بصورة حاسـمة، لم يكن ثمّـة إشـكال.. ولكنه لم يفعل ذلك، بل أبقاه احتمالا واردا، وله درجـة من المقبوليـة، إلى درجـة أنه بعـد التأمل يكتفى بترجيـح الإحتمال الآخر عليه، ولا يمكن قبول هذا الأمر فى حق الأنبيـاء ولو على مسـتوى الإحتمال.ً ۲ـ إن من البـديهى: أن الآيـات الكريمـة لاـ تؤيـد مـا ذكره، بل فيها ما يـدل على خلافه، وأن الشـيطان لم يوسوس لموسـى (ع)، ولا ارتكب موسـى (ع) جريمـة دينية، ولا أخطأ، ولا غير ذلك مما احتمله هذا البعض. وذلك لأن هذه الآيات بدأت بذكر إعطاء موسى عليه السلام حكما وعلما جزاءً على إحسانه، ثم ذكرت ما جرى له مع ذلك الرجل الذى هو من عدوه، فهى تقول: (ولما بلغ أشده واسـتوى آتيناه حكما وعلما، وكذلك نجزى المحسـنين) [۷۷] .ً ۳ـ ثم ذكرت الآية التى بعدها هذه القصة، وصـرحت بأن المقتول كان رجلا من الأعداء، فهى تقول: (فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوّه، فوكزه موسى فقضى عليه). والمراد بالعـداوة عداوة الدين والإيمان.ً ۴ـ وقوله: (هذا من عمل الشـيطان) يقصد به أن الاقتتال بين الرجلين قد نشأ من وسوسـة الشـيطان، الـذى حرّض على الفتنـة، حتى انتهى الأمر إلى القتال بين الرجلين، اللذين أغاث موسـى (ع) أحدهما، الذى كان من شـيعته على الـذى من عدوّه، ولا يقصد به أن موسـى (ع) نفسه قد تأثر بالشـيطان، فإن كلمة هذا ليست إشارة إلى القتل، وإنما هى إشارة إلى القتال الذى بدأه العدو، وانتهى بمبادرة موسـى (ع) لنصرة ذلك المظلوم.ً ۵ـ إن موسـى (ع) بنصـرته لـذلك المظلوم، لم يـكن مجرما ولا مخطئا، وإنما كان يطيع أمر الله، ويعمل بتكليفه وواجبه الشـرعى فى دفع الكافر الظالم عن المؤمن المظلوم ولو أدى ذلك إلى قتل هـذا الكـافر. وقـد روى عن الإمـام الرضـا عليه السـلام قوله": فقضـى على العـدوّ بحكم الله تعالى ذكره، فوكزه موسـى فقضـى عليه،" وحينما قال له فرعون: (وفعلت فعلتك وأنت من الكافرين) أجابه هازئا ومسـتنكرا مرددا قول فرعون بصـيغة السؤال: (فعلتها إذا وأنا من

الضالين)؟!. ولو لم يكن ذلك، فلا معنى لإقحام كلمة (إذا) التى يراد بها ردّ الكلام على قائله، على سبيل الإنكار عليه.ً۶ـ ومما يشير إلى ذلك أيضا: أن موسى (ع) حين قتل الذى من عدوه لم يكن من الضالين.. بل كان الله قد آتاه حكما وعلما.. كما ذكرت الآيات. كما أنه عليه السلام قد كان من عباد الله المحسنين، فاستحق المكافأة على إحسانه، فلم يكن ليظلم غيره، فيقتل نفسا بريئة ويرتكب جريمة دينية!!!ً۷ـ فما حكاه الله سبحانه عن موسى(ع) بعد تلك الحادثة بقوله: (قال رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى، فغفر له)، يراد به: أنه قد انتهى به الأمر بدخوله المدينة، ثم بقتله للذى من عدوّه، إلى أن يحتاج إلى تدخل إلهى ليستره عن عيون الفراعنة، الذين يطلبونه.. فقد صدر منه فعل له عواقب تعود على النفس بالمشقة والمتاعب، ويحتاج إلى ستر الله سبحانه، وإلى معونته، وقد روى عن الإمام الرضا عليه السلام فى تفسير هذا الموضع قوله: (فاغفر لى)، أى استرنى من أعدائك لئلا يظفروا بى، فيقتلونى، (فغفر له، إنه هو الغفور الرحيم)، ومعنى الغفران الستر، وسمى المِغفَر – الذى يستعمل فى الحرب ـ مغفرا لأنه يستر الرأس، ويقيه ضرب السيوف. ولو صح منه (ع) طلب المغفرة من الذنوب، فقدعرفت أنها إنما تكون من المعصومين بمعنى دفع المعصية عنهم، لا رفع آثارها بعد وقوعها منهم.ً۸ـ ثم إن موسى (ع) يصر على مواصلة الطريق فى نصرة المظلومين، ويقطع على نفسه عهدا بذلك فيقول: (رب بما أنعمت على) أى بهذه الحماية والستر، (فلن أكون ظهيرا للمجرمين) وسوف أستمر.. يقول الإمام الرضا عليه السلام: رب بما أنعمت على من القوة حتى قتلت رجلا بوكزة، فلن أكون ظهيرا للمجرمين بل أجاهدهم بهذه القوة حتى ترضى.ً۹ـ ثم وجد موسى(ع) ذلك الرجل الذى استنصره بالأمس يستصرخه اليوم على آخر، فعاتبه على دخوله فى هذا النزاع الجديد بقوله: (إنك لغوى مبين)، لا تسلك سبيل الرشد ولماذا لا تتفادى المشكلات مع أعداء الله بحكمة وروية؟ ثم بادر موسى عليه السلام ليبطش بعدوّ الله، فظن المؤمن أنه يريد البطش به هو، لأنه كان قد أنّبه قبل ذلك، لا البطش بعدوّه، فقال له (أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس)، فسمعها الذى من عدوّه وذهب إلى فرعون وأخبره بالأمر. وهكذا يتضح: أن الآيات المذكورة بعيدة عن إفادة تلك القضايا التى حاول البعض استفادتها منها، حتى احتمل بحق نبى من أولى العزم ما لا يصح نسبته إلى من رتبته دون ذلك بكثير، والإستيحاء من الآيات إذا كان على هذا النحو، فهو غير مقبول، لا عقلا ولا شرعا. خطأ الأنبياء فى تقدير الأمور. العصمة إنما هى فيما يعتقد أنه معصية. الجهل المركب عند الأنبياء. نقاط ضعف الأنبياء فى حياتهم العملية. الضعف البشرى عند الأنبياء. جهل النبى بتكليفه الشرعى. ثم هو يتحدث عن خطأ الأنبياء فى تقدير الأمور، فيقول": وتبقى لفكرة العصمة بعض التساؤلات: كيف يخطئ هارون (ع) فى تقدير الموقف وهو نبى؟ أو كيف يخطئ موسى (ع) فى تقدير موقف هارون(ع)، و هو النبى العظيم؟!. وكيف يتصرف معه هذا التصرف؟! ولكننا قد لا نجد مثل هذه الأمور ضارة بمستوى العصمة، لأننا لا نفهم المبدأ بالطريقة الغيبية التى تمنع الإنسان من مثل هذه الأخطاء فى تقدير الأمور، بل كل ما هناك أن لا يعصى الله فيما يعتقد أنه معصية، أما أنه لا يتصرف تصرفا يعتقد أنه صحيح ومشروع، فهذا ما لا نجد دليلا عليه. بل ربما نلاحظ فى هذا المجال أن أسلوب القرآن فى الحديث عن حياة الأنبياء(ع)، فى نقاط ضعفهم فى حياتهم العملية قد يؤكد الحاجة إلى الإيحاء بأن الرسالة لا تتنافى مع بعض نقاط الضعف البشرى فى الخطأ فى تقدير الأمور ["۷۸] . ونقول: إذا جوّزنا على النبى أن يقع فى التصرف الخاطئ، وإن اعتقد أنه صحيح ومشروع، فلازم ذلك أن لا يكون فعل النبى حجة، مع أن من المسلّم به: أن سيرة المعصومين بأجمعهم حجة وطريق إلى أحكام الله تعالى.. هذا كله عدا عما تقدم فى مختلف العناوين التى استخلصناها من كلمات ذلك البعض فلتراجع. وسنتحدّث بإيجاز بعد الفقرة التالية عن حقيقة موقفى هارون (ع) وموسى (ع) حيث سيظهر: أن الآيات تدل على خلاف ما ينسبه هذا البعض إلى أنبياء الله سبحانه، فانتظر. إختلاف نبيَّين فى الرأى فى مسألة واحدة. موسى (ع) يغضب لله سبحانه على هارون (ع). موسى (ع) يحمّل هارون مسؤولية ضلال قومه. هارون (ع) يتساهل مع قومه وموسى يعنف. موسى (ع) يشعر بالحرج مما صدر منه. لو احتاط موسى وهارون لكانت النتائج أفضل. خطأ موسى أو هارون (ع) فى تقدير الموقف. مرة أخرى العصمة لا تمنع من الخطأ فى تقدير الأمور. الجهل المركّب لدى الأنبياء (ع).. ثانية. لا يفهم العصمة بالطريقة الغيبية. هارون (ع) مقصر لكنّه ليس بعاصٍ. ويقول ذلك البعض": وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه، فى تعبير صارخ عن الحالة النفسية التى كان يعيشها موسى إزاء

ما حدث،.. وربما تحدّث الكثيرون عن مبدأ العصمة فى شخصيته كنبىّ.. وعن التساؤل الإيمانى، فى مدى انسجام هذا التصرف الغاضب مع هذا المبدأ.. ولكننا لا نجد هناك تنافيا بينهما إذا أردنا أن نأخذ القضية ببساطة تحليلية بعيدا عن التعقيد والتكلف.. فموسى بشر يغضب كما يغضب البشر، ولكن الفرق بينه وبينهم، أن لغضبه ضوابط فى التصرفات، فلا يتصرف بما لا يرضى الله وفى الدوافع فلا يغضب إلا لما يرضاه الله.. وقد غضب على قومه لله.. وعلى أخيه هارون لنفس الغرض.. لأنه اعتبره مسؤولا عما حدث، من خلل التساهل معهم، وعدم ممارسة الضغط الشديد عليهم، ومنعهم من ذلك، فقد كان تقديره، أن رفع درجة الضغط يمكن أن تساهم فى منع ما حدث.. ما لم يقم به هارون.. فكان موسى منسجما مع نفسه، ومع دوره، وصفته.. فيما اتخذه من إجراء مع هارون.. ولكن هارون كان له رأى آخر.. فقد وقف ضدّهم، وواجههم بكل الوسائل التى يملكها فى الضغط عليهم.. ولكنهم كانوا لا يهابونه كما يهابون موسى من خلال شخصيته القوية، فيما عاشه من عنف المواجهة مع فرعون، حتى قهره. "إلى أن قال(": قال ابن أم إنّ القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الأعداء..) فلم أفعل ما أحاسب عليه، لأن الظروف كانت أقوى من قدرتى.. فقاومت حتى لم يعد هناك مجال للمقاومة.. وجابهت.. حتى كدت أن أقتل.. فإذا تصرّفت معى بهذه الطريقة.. فإن ذلك سوف يكون دافعا لشماتة الأعداء بى.. لأننى قاومتهم وجابهتهم.. وها هم يروننى أمامك واقفا وقفة المذنب من دون ذنب.. فلا تفعل بى ذلك (ولا تجعلنى مع القوم الظالمين)، لأنى قمت بما اعتقدت انه مسؤوليتى من دون تقصير.. وشعر موسى بالحرج.. وسكن غضبه.. فرجع إلى الله يستغفره، لنفسه ولأخيه، لا لذنب ارتكباه.. ولكن للجوّ الذى ابتعد فيه القوم عن الله، من خلال الفكرة التى كانت تلح عليهما.. فيما لو كان الإحتياط للموقف أكثر، فقد تكون النتائج أفضل. "..إلى أن يذكر هنا ما تقدم قوله آنفاً من قوله": وتبقى لفكرة العصمة.. بعض التساؤلات "إلى قوله": فى الخطأ فى تقدير الأمور ["۷۹] . ويقول البعض أيضا": ربما كانت القضية على أساس أنه اعتبر أن هارون قصّر، وليس من الضرورى أن يكون تقصيره معصية. "..إلى أن قال": هارون عنده تقييم معين للمسألة، وانطلق فيها من حالة أنه قال: (إنى خشيت أن تقول: فرقت بين بنى إسرائيل)، ولهذا واجه القضية بطريقة لينة. وكان موسى (ع) يعتقد على أنه لازم تواجه القضية بقوة، لأن بنى إسرائيل لا يفهمون إلّا بلغة القوة.. الخ ["..۸۰] .

وقفة قصيرة

إن من الواضح: أن مخالفة هارون لموسى، الذى هو إمام لهارون، إنما تعنى التأسيس لتجويز مخالفة كل مأموم لإمامه، وتبرير خروجه عليه. أضف إلى ذلك أن الإختلاف فى الرأى هنا يستبطن وجود مخطئ ومصيب، فأيهما تكون الأسوة والقدوة للناس والحالة هذه، والمفروض أن كلًا منهما نبى ومعصوم!!؟ وأضف إلى ذلك أيضا: أنه إذا كان اختلاف الرأى يرتبط بالدعوة وأسلوبها، فذلك يعنى أن هذا النبى يجهل تكليفه الشرعى، فكيف يمكنه تبليغه للناس، وإعلامهم به؟! ألا يلزم من ذلك تبليغ حكم خاطئ لا واقع له؟! والذى نقوله نحن هنا هو: أنه لم يكن ثمة اختلاف فى الرأى، فيما بين موسى وهارون عليهما السلام، ولا كان ثمّة جهل بالتكليف الشرعى، ولا غير ذلك مما تقدم، فان الإختلاف فى الموقف تجاه الواقعة الواحدة، ينبئ عن جهل بالحكم الشرعى، فى كيفية التعاطى مع بنى إسرائيل. كما أن اتهام نبى بالتساهل فى القيام بمهماته، وتسببه فى ما حصل للناس، من انحراف وضلال تعتبر تهمة خطيرة على مستوى الإعتقاد فى الأنبياء وفى النبوات بصورة عامة، بل فى هذا اتهام صريح لحكمة الله تعالى، حيث أرسل مع موسى من ينقض غرضه فى تبليغ الرسالة، ويكذب توقعاته فيه، كما جاء فى الآية الكريمة: (واجعل لى وزيرا من أهلى، هارون أخى، أشدد به أزرى) [۸۱] . ومهما يكن من أمر فإن الآيات الشريفة قد فسرت على غير وجهها الصحيح، إذ إنّ ما أظهره موسى (ع) تجاه أخيه هارون (ع) لم يكن سببه الإختلاف فى الرأى بينهما فى كيفية المعاملة، بل كان من أجل إظهار خطر ما صدر منهم، ومدى بشاعة الجريمة التى ارتكبوها.. ثمّ من أجل إظهار براءة هارون(ع)، وتحصينه من نسبة القصور أو التقصير إليه. وقد بين موسى (ع): أنه لم يتهمه بمعصية أمره ليستحق ـ بزعم البعض ـ هذه المواجهة القاسية، وهذا العتاب والتوبيخ بهذه القوة، بل وجّه إليه سؤالا عن ذلك ليسمع الناس

جوابه الـذى يتضـمن برهانا إقناعيّا يدل على دقّته، وحسن تقديره للأمور، وقد قبل موسـى منه ذلك بمجرد تفوهه به، ودعا لنفسه وله، كما جاء فى قوله تعالى: (ربى اغفر لى ولأخى، وأدخلنا فى رحمتك، وأنت أرحم الراحمين). وأما ما زعمه هذا البعض من أن هارون عليه السلام كان يرى لزوم معاملتهم باللين، وكان موسى عليه السلام يرى لزوم الشدة فى ذلك، فهو لا يصح، وذلك لما ذكرناه آنفا، ولأن هارون قد وصل معهم إلى درجة المواجهة، حتى لقد قال لأخيه موسـى: (إنّ القوم استضعفونى، وكادوا يقتلوننى) وأما القول بأن موسـى عليه السـلام قد غضب على أخيه هارون عليه السـلام، وكان غضـبه لله سـبحانه وتعالى، فذلك يعنى أنه عليه السـلام كان يتهم أخـاه النبى هـارون صـلوات الله وسـلامه عليه بارتكـاب المعصـية، ويحمّله مسؤوليـة ما جرى، ويتهمه بالتساهل والتخلف عن أن يكون عضدا له، يشد أزره، ويشـركه فى أمره، وذلك مما لا يمكن قبوله فى حق الأنبياء. وهكذا يتضح أن كل ما ذكره ذلك البعض أجنبى عن دلالة الآيات. أصول العقيدة تعرف بالسمع لا بالعقل. لا دليل يصرف معنى الرؤية عن الرؤية الحسية. النبى موسى(ع) لا يعرف: أن الله لا يرى. الله يعلّم أنبياءه أصول العقيدة بالتدريج. لا يبعد أن سؤال موسـى عن رؤية الله الحسـية. وأيضا.. نقاط الضعف لدى الأنبياء. الله يسـلط نوره على الجبل فكيف لو تسلط عليه بنفسه؟ موسى والتحاليل الفلسفية والمعادلات العقلية فى استحالة تجسد الإله وإمكانه. ويقول ذلك البعض": ولما جاء موسـى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارنى انظر إليك،.. ووصل موسـى إلى الموعد الذى أعطاه الله له.. وكلمه ربه.. فيما يريـد أن يوحى به إليه.. واندمج موسـى فى الجوّ الإلهى.. وشـعر بالسـعادة الغامرة تغمر قلبه.. ففاضت روحه بالأشواق الروحيـة، فيمـا توحيه كلمـات الله إليه.. وفيما تمثله من معانى القرب من الله، والوصول إلى الدرجـة العليا من رضوانه.. وبما توهـج فى كيانه من إشـراق النور الإلهى فى لحظـة روحيـة حالمـة.. فطلب من ربه أن ينظر إليه.. فقال: رب ارنى انظر إليك فقد خيل إليه أن من يسـمع كلام الله، يسـتحق أن يراه.. أو يمكن له أن يطلب رؤيته.. وهنا يقف المفسـرون وقفـة حيرة فلسـفية كلامية.. فكيف يمكن لهذا النبى العظيم أن يطلب مثل هـذا الطلب المسـتحيل من ربه.. وهو يعرف من خلال سـموّ درجته، ورفعة منزلته فى عالم المعرفة بالله.. أن الله ليس جسدا ماديا محسوسا لتمكن رؤيته.. فهو ليس كمثله شىء.. وأجاب بعضهم أن المراد بالنظر.. الرؤية القلبية التى هى كناية عن العلم الواسع بالحقيقة الإلهية.. وأجاب آخرون.. بأنه لم يسأل انطلاقا من قناعة بالسؤال، أو انسـجام معه.. بل كان سؤاله اسـتجابة لسؤال قومه الذين رافقوه إلى الموعد الإلهى.. فأراد أن يجعلهم وجها لوجه أمام الجواب الصاعق على هذا السؤال.. ولكننا لا نستبعد أن يسأل موسـى هذا السؤال.. فقد لا نجد من البعيد فى مجال التصور والإحتمال أن لا يكون قد مرّ فى خاطر موسـى مثل هذا التصور التفصيلى للـذات الإلهيـة.. لأـن الوحى لم يكن قـد تنزل عليه بـذلك.. ولم يكن هناك مجال للمزيـد من التحاليل التأمليـة للجانب الفلسـفى من المعادلات العقليـة التى تتحـدث عن اسـتحالة تجسـد الإله أو إمكانه.. لأن ذلك قد لا يكون مطروحا لدى موسـى (ع).. ونحن نعرف، تمامـا، معنى التكـامـل التـدريجى للتصور الإيمـانى فى شخصـيـة الـرســـول الـفـكريـة.. ولهـذا فإننا نحـاول هنا أن نسـجل تحفظنا على الكثير من الأحكـام المسـبقة التى تحـاول تطويق النص القرآنى ببعض الإسـتبعادات الذاتيـة.. كما فى مثل هـذه الآيـة.. فإننا نلاحظ أن تصورنا لشخصـية الأنبياء، يبدأ من القرآن، فيما يحدثنا عنهم من أحاديث، ويسبغه عليهم من صفات فهو المصدر الأساس الأمين الذى لا يأتيه الباطل من بين يـديه ولا من خلفه.. ونحن نرى أن الحديث القرآنى يركز فى بعض نقاطه على نقاط الضـعف لدى الأنبياء كما يركز على نقـاط القوة عنـدهم.. من موقع البشـرية التى يريـد القرآن أن يركزهـا فى التصور القرآنى فى أكثر من اتجاه.. فهل نريـد أن نـدخل فى مزايـدة كلامية على القرآن، فيما يتعلق بمثل هذه الأمور.. فنفرض لأنفسـنا تصورات معينة للأنبياء ثم نحاول تأويل كلام الله بطريقة لا يتقبلها النص فى بعض الأحيان.. إننا نفهم التأويل حملا للفظ على خلاف الظاهر، على أساس المجاز أو الكناية أو ما يقترب منهمـا.. ولا بـد للخروج من الظاهر أن يكون هناك دليل لفظى أو عقلى حتى نصـرف اللفظ عن الظاهر من خلاله.. ولا نجـد شـيئا من هـذين فى موضوع هذه الآية، فليس هناك مانع من إرادة النظر بالمعنى الحسـى فيما طلبه موسـى بل هو الظاهر الواضح جدا فى أجواء الآيـة من خلال التجربة التى قدمها الله أمامه، فيما تعطيه كلمة التجلى من أجواء اسـتحالة الرؤية البصـرية فيما وجّهه الله للجبل من نوره الـذى لاـ يسـتطيع الجبل أن يتماسك معه.. فكيف لو كان التجلى له ـ سبحانه ـ. ثم لو كان المراد الرؤيـة القلبيـة لما كان هناك وجه

قريب لهذه التجربة فى انهيار الجبل، فيما تعطيه من معنى مادى للمسألة.. لأن الجبل لا يحمل أى جوّ للجانب القلبى فى الموضوع فى تأثره بنور الله.. (قال لن ترانى..) لأن الرؤية لا تكون إلا للمحدود الذى يحمل خصائص مادية، فيما يستحيل فرضه بالنسبة إلى الله الذى لا تدركه الأبصار وليس كمثله شىء.. (ولكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى..) إنها التجربة التى تعطى لموسى فكرة توضيحية للمسألة المطلوبة.. ولكن من جانب آخر.. فقد أراد الله له أن ينظر إلى هذا الجبل العظيم.. وهو يتهاوى قطعة قطعة حتى يتحول إلى رميم أمام التجلى الإلهى الذى قد يكون كناية عن تسليط نوره عليه.. فكيف يمكن لمخلوق مثله أن يواجه نور الله.. فضلا عن أن يواجه الله بذاته ـ لو كان ذلك أمرا ممكناً [۸۲] .

وقفة قصيرة

إن موضوع رؤية الله سبحانه، وصفاته، وأصول العقيدة، هى من الأمور التى يدركها العقل، وبه تعرف، وليست مما يعرف بالسمع، إلا من حيث تأكيد حكم العقل، والإرشاد إليه. إذن كيف لم يكن موسى النبى (ع)، الذى سبق له مواجهة فرعون، المدعى للربوبية، كيف لم يكن يعرف ـ على حد قول البعض ـ إلى مضى زمن طويل من نبوته أن الله سبحانه لا يرى؟. فهل يعقل أنه لم يخطر فى بال موسى أن يستعد لمواجهة طلب محتمل جدا من فرعون ومن بنى إسرائيل رؤية هذا الإله الذى كان يأتيه جبرئيل بالأوامر والتوجيهات والتوجهات من قبله، ولم يطلب من جبرئيل أن يجمعه به ويتحدث إليه!! ويقول ": لذلك فإن الله تعالى لم يعرِّف موسى حتى ذلك الوقت أنه لا يرى [۸۳"] . ولا ندرى لماذا لم يكن قد مر فى خاطر موسى هذا التصور التفصيلى للذات الإلهية؟ وكيف خيّل إليه ذلك فى هذا الوقت بالذات، ولم يخيل ذلك قبل هذا الوقت؟! ولماذا لم يعرفه الله ذلك فى بدايات نبوته وانتظر إلى أن مضت هذه المدة كلها؟! وهل يمكن أن يرسل تعالى نبيا لا يعرفه حق المعرفة؟ وهل يمكن أن نقبل ممن لا يعرف أصول الدين وصفات البارى تعالى أن يكون مرشدا دينيا فى قرية؟ فكيف نرتضى أن يكون نبيا لله سبحانه ـ فضلا عن أن يكون نبيا من أولى العزم ـ أرسله الله إلى فرعون مدعى الربوبية؟ وكيف نسى فرعون، ومن معه، أن يسألوه عن هذا الإله الذى أرسله، من هو، وأين وكيف هو؟.. وكيف يمكن أن نفهم تعليل ذلك البعض وتوضيحه لهذا الأمر بقوله: إن الله كان يعرف أنبياءه أصول العقيدة وصفاته بالتدريج [۸۴] . ومن أين عرف هذا البعض، هذا الأمر التاريخى المرتبط بالتعاطى التعليمى لله سبحانه مع أنبيائه؟!! وهل صحيح: أن أصول العقيدة تعرف بالسمع؟! وبالتدريج؟! أَوَلا ـ يوجد دليل عقلى يمنع عن الأخذ بظاهر الآية ويصرف الرؤية عن ظاهرها؟!.. وهل كان هذا الطلب اقتراحا من موسى مباشرة؟ أم كان استجابة لطلب قومه منه، ليؤكد لهم بصورة عملية عدم صحة طلب كهذا؟ ربما كان القبطى مستحقا للقتل (أى وربما كان لا يستحق القتل فيكون قتله جريمة). موسى يفعل أمرا محرّماً بغير قصد. موسى (ع) يقر على نفسه بالضلالة وعدم الهدى. موسى يعترف بجهله بالنتائج السلبية لقتله القبطى. كان موسى حين قتل القبطى ضالاً، لم يحدد لنفسه الطريق المستقيم المنطلق من قواعد الشريعة. الضعف البشرى قبل النبوة بسبب فقد الهداية التفصيلية. موسى ارتكب ما لو كان فى الموقع الذى هو فيه بعد النبوة لما فعله. لم يكن قتل القبطى ضروريا. يقول البعض.. ": كيف اعترف موسى على نفسه بالضلال؟ (قال فعلتها إذاً) أى حينئذ (وأنا من الضالين) أى الجاهلين بالنتائج السلبية التى تترتب علىّ فيما أدى إلى أكثر من مشكلة اعترضت حياتى وأبعدتنى عن أهلى وبلدى، مع أن القضية كانت تحل بغير ذلك.. فلم أفعلها فى حال الرسالة لتكون تلك نقطة سوداء تسجلها على فى موقعى الرسالى، بل فعلتها قبل أن يلهمنى الله الهدى المتحرك فى خط الرسالة، عندما كنت ضالاً ـ لم أحدّد لنفسى الطريق الواضح المستقيم المنطلق من قواعد الشريعة المنزلة القائمة على التوازن فيما يصلح الإنسان أو يفسده.. وبذلك نستوحى من الفقرة فى الآية أن الضلال ليس بالمعنى الوجودى المضاد الذى يعبر عن الإنحراف، بل بالمعنى السلبى المعبر عن عدم معرفة طريق الهدى، الذى يضىء عمق الأمور على أساس المصلحة الحقيقية للإنسان. القرآن يثير نقاط الضعف البشرى فى الأنبياء وفى ضوء ذلك، نفهم كيف يقدّم لنا القرآن شخصية النبى من نقاط الضعف البشرى قبل النبوة، عندما كان بعيدا عن الإهتداء التفصيلى بالشريعة والمنهج، خلافا للفكرة المعروفة لدى

الكثيرين من العلماء الذين لا يوافقون على أن النبى يمكن أن يضعف أمام عوامل الضعف الذاتى قبل النبوة أو بعدها، حتى فيما لا يشكّل معصية، أو انحرافاً خطيراً عن الخط المستقيم. وهكذا واجه موسى الموقف بشجاعة الإعتراف بما فعله قبل أن يُبعث بالرسالة، ويهتدى بالحق من خلال الوحى النازل من الله.. فلم يسقط أمام التحدى الذى وجهه فرعون للرسالة على أساس ما وجهه لشخصه من عمل سابق.. بل أكده فى مواقعه الذاتية قبل الرسالة قبل أن ينزل عليه الهدى الذى يدعو إليه الناس الآن، فارتكب ما ارتكبه فى الجوّ الذى لو كان فى الموقع الذى هو فيه الآن لما فعله، لا لأنه فعل حراماً فلم يكن متعمداً للمسألة، وربما كان الشخص يستحق القتل، بل لأنه لم يكن ضروريا بالمستوى الذى وصلت إليه القضية فى نتائجها السلبية على مستوى حياته الشخصية فيما أدت إليه من إرباك وتعقيد [".۸۵] .

وقفة قصيرة

إن ما ذكره هذا البعض قد تضمن عدة نقاط لا يمكن قبولها وهى التالية: ١ ـ قلنا فيما تقدم من هذا الكتاب: إن جواب موسى(ع) لفرعون، حين ذكر فعلته بقتله للقبطى: (قال فعلتها إذن، وأنا من الضالين) يراد به السخرية من كلام فرعون بقرينة كلمة (اذن). وقد شرحنا ذلك هناك بما يناسب المقام فليراجع. ولم يكن موسى (ع) بصدد الإعتراف بالجهل بالنتائج السلبية لما فعله، فإنه حتى الإنسان الغبى يدرِك النتائج المترتبة على قتل إنسان مّا من أىّ فئة كانت، فكيف إذا كان يعلم أن وراء هذا المقتول أمة بأسرها، بما فيها حاكمها المستكبر المدعى للألوهية؟. ٢ ـ ولا ـ ندرى كيف حكم هذا البعض على موسى (ع) أنه حين قتل القبطى كان ضالاً لا يعرف قواعد الشريعة؟!.. مع أن هذا البعض قد فسر قوله تعالى: (لقد جئت شيئاً نكراً) (فى مسألة قتل الغلام مع العبد الصالح بحضور موسى) بأنه قتل النفس أمر ينكره العقل و الشرع و العرف الأمر الذى يبطل كلامه هنا. ألم يكن موسى (ع) على علم بشريعة إبراهيم التى كان البشر كلهم مطالبين بالعمل بها؟!.. ولنفترض أنه لم يكن على علم بتفاصيل أحكام الشريعة الربانية، فهل كان ما فعله من الأمور الغامضة، التى تحتاج فى الإقدام عليها إلى معرفة تفاصيل الشريعة؟!. وهل كان يحتمل أحد أن تأبى الشريعة قتل هذا الكافر المحارب المتعدى على الأبرياء، والذى يحاول قتلهم؟! ٣ ـ كيف عرف هذا البعض أن موسى (ع) قد ارتكب قبل النبوة ما لا يفعله بعدها؟! فإن هذا الحكم الجازم ليس له ما يبرره! كما أن هذا مخالف لما عند الشيعة الامامية من أن النبى معصوم مطلقاً قبل البعثة وبعدها. ۴ ـ ومن أين عرف أن موسى (ع) لم يكن نبيا من أول أمره؟ ۵ ـ ومن أين عرف أيضا أن قتل القبطى لم يكن ضروريا حتى أدركه هو، ولم يدركه موسى آنذاك؟!. ۶ ـ ومن أين استنتج أن قتل القبطى عائد إلى وجود ضعف بشرى لدى موسى (ع) قبل نزول النبوة، ثم استنتج من ذلك بطلان ما يذهب إليه البعض من تنزيه الأنبياء عن أى ضعف بشرى قبل النبوة وبعدها؟. وهل هذه إلا دعوى ليس لها ما يبررها، لا من عقل ولا من نقل؟. كما أنه هو نفسه يصرح فى نفس كتابه (من وحى القرآن) بأن كل ما كان يريده موسى هو أن يدافع عن الذى من شيعته، ويخلصه من بين يدى القبطى، فحصل القتل منه من دون قصد. إذن فلم يكن فى الأمر جريمة ناتجة عن ضعف بشرى ولا غيره.. ٧ ـ وأخيراً فإن هذا البعض يجوّز على الأنبياء أن يرتكبوا جرائم قبل النبوة حتى بمستوى قتل النفس البريئة، وفقا لما احتمله فى كتابه فى هذا المورد بالذات، وهذا امر مرفوض فى عقائد الشيعة الإمامية كما هو معلوم، إذ قتل النفس المحترمة هو من الكبائر التى توعّد الله فاعلها بالنار؟!. غريزة الفضول لدى موسى عليه السلام. لا دليل على ضرورة علم النبى بما لا يتصل بمسؤولياته من علوم الحياة والإنسان. يمكن أن يكون لمن لا يعلم بعض الأمور حق الطاعة على العالم بأمور أخرى. القرآن لا يتحدث عن الأنبياء، من خلال الكمال القريب من المطلق. القرآن لا يتحدث عن الأنبياء من خلال الأسرار الخفية. موسى استعجل المعرفة قبل توفّر عناصر النضوج لديه. استعجال موسى من شأنه أن يحوّله إلى إنسان سطحى فى تفكيره. يقول البعض.. ": ولكنّ هنالك رأياً، يقول: إن العقل لا يفرض، فى مسألة القيادة والإمامة والطاعة، إلا أن يكون الشخص الذى يتحمل هذه المسؤوليات محيطا بالجوانب المتصلة بمسؤولياته، فيما لا يحيط به الناس إلا من خلاله..أما الجوانب الأخرى من جزئيات حياتهم العامة، أو من

مفردات علوم الحياة والإنسان، أو من خفايا الأمور البعيدة عن عالم المسؤولية، أماّ هذه الجوانب فلا دليل على ضرورة إحاطته بها.. ولا يمنع العقل أن يكون لشخص حق الطاعة في بعض الأمور التي يحيط بها، على الناس الذين يملكون إحاطة في أشياء أخرى لا يحيط بها ولا تتعلق بحركة المسؤولية.. وربما كانت هذه القصّة دليلاً على صحة هذا الرأي الذي نميل إليه، كما يميل إليه بعض العلماء القدامى.. لأنه يلتقي بالجو القرآني الذي يتحدث عن الأنبياء بطريقة معينة بعيدة عما اعتاده الناس في نظرتهم إليهم من خلال الأسرار الخفيّة، والكمال القريب من المطلق ".إلى أن قال..(": وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) مما قد ترى فيه انحرافا عن الموازين التي تزن بها الأمور على أساس ما تراه قاعدة للشرعية أو فيما تتصوره منسجما مع طبيعة الواقع الذي تخضع في تقييمك له، لرؤية معينة..الأمر الذي يجعلك تنتفض وتحتج وتستثير فضولك لتطرح السؤال تلو السؤال لتتعرف طبيعة المسألة، لأن الإنسان الذي رُكّب تكوينه على أساس غريزة الفضول، فيما أراده الله من إثارة قلق المعرفة في ذاته كسبيل من سبل الحصول عليها، أو الذي يملك قاعدة معينة للتفكير، قد تختلف عن غيره، لا بد له أن يعبّر عن موقفه بطريقة متوترة لا تملك الصبر على ما يواجهه من علامات الاستفهام، أو على ما يراه من مظاهر الإنحراف.. ولكن موسى يصرّ على الحصول على شرف مرافقته، لأن الله يريد له ذلك، فهو مأمور باتباعه. (قال ستجدني إن شاء الله صابراً) فيما يصبر عليه طالب المعرفة من الجهد النفسي والعملي الذي يتحمله في سبيل الحصول عليها.. إنه العزم الذي يتحرك في إرادتي التي لا أضمن امتدادها في خط الإلتزام العملي إلا بمشيئة الله، فيما يقدّره من أسباب، وفيما يخلقه من ظروف، وفيما يثيره في حياتي من أفكار ومشاعر، قد تغير العزم، وتسقط الالتزام، إن القضية هي أني أعدك بالصبر، فسأكون صابرا، أتحمل كل النوازع الذاتية الصعبة (ولا أعصي لك أمرا) كما هو دور التلميذ مع أستاذه الذي يثق بكفاءته وحسن تقديره للأمور، وإخلاصه في سبيل رفع مستواه. ولكن العبد الصالح يريد أن يحدد المسألة في دائرة محددة في خط الأسلوب العملي للمعرفة.. فهو لا يريد أن يبادر تلميذه بالمعرفة، ولا يريد له أن يبادره بالسؤال.. بل يريد له أن يتأمل، ويثير الفكرة في داخله، ويحاول أن يحصل على طبيعة التعمّق في القضايا من خلال المعاناة الفكرية التي تمنحه قوّة عقلية متقدمة، كما يريد له أن يحصل على ملكة الصبر في مواجهة المشاكل الفكرية المعقدة، فلا يستعجل الوصول إليها قبل توفر عناصر النضوج لديه فيتحول إلى إنسان سطحي في تفكيره.. (قال فإن اتبعتني فلا تسألن عن شيء) مما لم تعرف وجهه، ولم تحط بخفاياه (حتى أُحدِثَ لك منه ذكرا) وأبدأ حواري معك، عندما تحين اللحظة المناسبة، التي أرى فيها المصلحة للحديث عن الموضوع معك.. وهذا هو شرطي الوحيد الذي أضعه أمامك للموافقة على أن تصاحبني في هذا الطريق ["۸۶] .

وقفة قصيرة

ونقول:ً ١ ـ إن موسى (ع) لم يسأل العبد الصالح انطلاقا من غريزة الفضول لديه، بل انطلاقا من الإحساس بالتكليف الشرعي القاضي بعدم السكوت على ما يخالف أحكام العقل والفطرة والدين. ولو بحسب الظاهر، فبادر إلى السؤال ليستطيع على ضوء ذلك أن يحدد موقفه الشرعي. وهذا الأمر هو الذي أعطى موسى (ع) وسام الإستحقاق لمقام النبوة، فإنه قد نجح في الامتحان الذي استهدف تجسيد مدى حساسيته تجاه قضايا الحق والدين.ً ٢ ـ إن اتهام نبي من أنبياء الله بأنه يتخذ مواقفه من خلال تحرّك غريزة الفضول لديه ناشئ عن عدم الاهتمام باحترام مقام الأنبياء في مقام الخطاب والحديث عنهم، وهو أمر مرفوض جملة وتفصيلا.ً ٣ ـ إن ما استقربه من أنه لا دليل على لزوم معرفة النبي بأكثر مما يتصل بمسؤولياته في القيادة والإمامة والطاعة. وأنه يمكن أن يكون هناك من هو أعلم من النبي في مفردات علوم الحياة والإنسان. إن ذلك مما لا مجال لقبوله منه، وذلك لوجود أحاديث متواترة في مجالات مختلفة تدل على خلاف هذا الكلام. ففي الكافي ـ كتاب الحجة ـ وفي بصائر الدرجات وفي البحار طائفة كبيرة جدا من هذه الأحاديث فليراجعها من أراد، وتلك هي الدليل القاطع على عدم صحة هذه المقولة.. وسيأتي حين الحديث عن الولاية التكوينية للمعصوم ما يفيد في هذا المجال. .ً ۴ ـ أما قوله": إن استعجال موسى (ع) بالسؤال يحوله إلى إنسان سطحي في تفكيره "فلو صح لمنع من مبادرة الأنبياء

والأوصياء والأولياء والعلماء وغيرهم إلى طرح أسئلتهم فى مختلف المجالات، لأن ذلك يحولهم إلى سطحيين، مع أن من يراجع آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة يجد أن الأمر قد جرى منهم على خلاف هذا التوجيه، حيث نراها زاخرة بالأسئلة منهم عليهم السلام فى مختلف الشؤون، ولم يتحولوا بسبب ذلك إلى أناس سطحيين.ً۵ ـ لا ندرى من أين عرف هذا البعض: أن موسى (ع) قد استعجل المعرفة قبل توفّر عناصر النضوج لديه. فهل دله على ذلك آية أو رواية؟ أم أنه كان حاضراً وناظراً آنذاك؟! أم هو الاستيحاء، والتظنى الذى لا يقوم به حجة، ولا يستند إلى برهان؟ ام ماذا؟!. هذا مع الإغماض عما ذكرناه آنفاً من أن تكليف موسى عليه السلام كان هو المبادرة إلى السؤال، ولولا ذلك، لم ينل عليه السلام هذا المقام العظيم.. ولعل هذه هى الحكمة فى إرساله عليه السلام إلى العبد الصالح، أو أنها أحد عناصر حكمة ذلك. شخصية موسى غير متوازنة. موسى (ع) يعانى من عقدة نفسية ذاتية. موسى ارتكب ذنبا أخلاقياً. قتل القبطى خطأ أخلاقى مبرر بطريقة ما. مغفرة الله لموسى لطف فى توازن الشخصية لا عفو عن ذنب. ويقول عن موسى عليه السلام فى موضوع قتله القبطى.. ": كان كل همه أن يدافع عن الإسرائيلى ويخلّصه من بين يدى القبطى الذى كان يريد أن يقتله، فيما يبدو،.. وبهذا لم يكن فى الأمر جريمة، بل كان الدخول شرعياً، ولم تكن النتيجة مقصودة له.. ولكنه كان يفضّل أن لا يحدث ما حدث.. وبذلك كان يرى فى ذلك نوعا من الذنب الأخلاقى، أو الاجتماعى الذى يحسّ بالعقدة الذاتية منه.. وعلى ضوء هذا كان التعبير بأنه ظلم للنفس، تعبيراً عن الحالة الشعورية أكثر مما كان تعبيرا عن حالة المسؤولية وربما كان تعبيرا عن القلق من النتائج الواقعية السلبية التى يمكن أن تترتب على ذلك فى علاقاته الاجتماعية بمحيطه فيما يحمله من أخطار مستقبلية على شخصه بالذات. أما طلب المغفرة من الله، فقد يكون ناشئا من الرغبة الروحية العميقة للإنسان المؤمن، أن يضع أعماله بين يدى الله ـ حتى التى لا تمثل انحرافا عن أوامره ونواهيه،.. بل تمثل نوعا من الخطأ الأخلاقى المبرر بطريقة ما، ليحصل على لمسة الرحمة الإلهية العابقة بالحنان والعطف، فيبلغ ـ من خلال عصمته له ـ الكمال فى سلوكه، والتوازن فى أخلاقه.. مما يجعل من المغفرة لطفا فى توازن الشخصية لا ـ عفواً عن ذنب.. وهكذا كان اللطف الإلهى بموسى.. فيما يعلمه الله من حاله فى ظرفه الواقعى مما يحقق له الكثير من العذر فى حساب المسؤولية (فغفر له إنه هو الغفور الرحيم) الذى تتحرك مغفرته من عمق رحمته لتفيض على الإنسان الراجع إليه بكل خير وإحسان [۸۷] .

وقفة قصيرة

إن ما ذكره هذا البعض لا ـ يحتاج إلى تعليق، ولكننا نرشد القارئ الكريم إلى ما شرحنا به الآيات التى تحدثت عن قتل القبطى فيما تقدم من هذا الكتاب فليراجع. غير أن ما يحزّ فى النفس ألمه، ويدمى كَلْمُه أمور:ً۱ ـ أن ينسب إلى موسى عليه السلام وهو كليم الله و نبى من أولى العزم يقول تعالى فى حقه (و اصطنعتك لنفسى) ـ ينسب إليه ـ أنه ارتكب ذنبا أخلاقيا.ً۲ ـ وأنه كان يحس بالعقدة الذاتية منه!!.ً۳ ـ والأغرب من ذلك أن يصرح فى كلامه: أن شخصية هذا النبى العظيم غير متوازنة فاحتاج إلى اللطف الإلهى لتتوازن شخصيته.ً۴ ـ ويبقى هنا سؤال حول الطريقة المجهولة التى أشار إليها والتى تبرر وقوع موسى عليه السلام فى الخطأ الأخلاقى المتمثل فى قتله للقبطى.ً۵ ـ وأى خطأ أخلاقى فى قتل الإنسان لرجل يهاجمه ويحاربه ويبطش بالناس ليقتلهم، لا لشىء إلا لأنهم مؤمنون، وهو كافر وعدو؟!.ً۶ ـ بل إن هذا البعض نفسه قد صرح فى كلامه بأن موسى (ع) لم يقصد قتل القبطى، فأى خطأ أخلاقى صدر عن موسى (ع) إذن؟!. خوف موسى كان بسبب الضعف البشرى الذى كان يعيشه فى حالات الغفلة. كاد موسى أن يتأثر بسحرهم من خلال طاقته البشرية. ويقول البعض.. ": وكانوا يملكون الفن العظيم الذى يسحر العيون ويخلب الألباب حتى كاد موسى أن يتأثر بها من خلال طاقته البشرية.. وطاف به خيال الإنسان الذى يتأثر بسرعة، بما يحيط به (فخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) فى صورة سريعة متلاحقة (فأوجس فى نفسه خيفةً موسى) من خلال الضعف البشرى الذى يعيشه الإنسان فى حالات الغفلة.. لا سيما أن موسى لا يعرف ماذا يحدث له من خلال التفاصيل الجزئية لأن المسألة ليست اختيارية له، بل هى مسألة التدبير الإلهى الذى يثق بحصوله، ولكنه

لا يعرف طبيعته.. ولذا فانه كان ينتظر نداء الله وتعليماته [" ۸۸] .

وقفة قصيرة

إن من الواضح أن موسى عليه السلام: لم يخف على نفسه، فإنه كان يعلم أنها حبال وليست حيات حقيقية، كما أنها احتيالات وتخييلات لاواقع لها. (يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى). وإنما خاف عليه السلام على الناس أن يتأثروا بسحرهم، وأن يتسبب ذلك بضلالهم عن الحق، وابتعادهم عن سبيل الرشاد والهدى. ولذلك نجد الآيات القرآنية تشير إلى أن الله تعالى قد طمأن موسى إلى حقيقة أن الله سيبطل سحرهم وكيدهم، ويكون موسى عليه السلام هو الغالب، حيث قال الله تعالى له (لا تخف انك أنت الأعلى) [۸۹] ، إذن فموسى عليه السلام قد خشى من أن تكون الغلبة لهم وان يكون لهم العلوّ الذى سينشأ عنه غواية الناس عن طريق الحق والهدى. وبذلك يتضح أيضا أن خوف موسى عليه السلام لم يكن ناشئا عن ضعف طاقته البشرية، بل كان خائفا على الناس كما قلنا. و عن على عليه السلام": لم يوجس موسى عليه السلام خيفة على نفسه، بل أشفق من غلبة الجهال، و دول الضلال ["۹۰] . نقاط ضعف طبيعية ونقاط ضعف انفعالية أيضاً. بشرية النبى قد تدفعه إلى نقاط الضعف الطبيعية. قد يغفل النبى عن بعض المناسبات الشكلية أو المعنوية. موسى (ع) ينساق مع نقاط الضعف الانفعالية. ويقول البعض": لنا ملاحظة فى موقف موسى من هارون: ولنا ملاحظة، فى هذا الموقف الذى انطلق فيه موسى ضد أخيه، من موقع غضبه لله وانفعاله بالوضع الجديد الذى عاش فيه بنو إسرائيل مبدأ الصنمية.. إننا لا نجد فى موقفه هذا ابتعاداً عن خط الطاعة لله ليكون منافيا للإستقامة الشرعية فى دائرة العصمة، ولكننا نجد فيه انسياقا مع نقاط الضعف الإنفعالية التى توحى بأن بشرية النبى قد تدفعه إلى نقاط الضعف الطبيعية التى قد يغفل فيها عن بعض المناسبات الشكلية أوالمعنوية (قال فما خطبك يا سامرى) كيف فعلت ما فعلته من هذا الأمر الخطير الذى جئت به وهذا هو معنى الخطب الذى هو الأمر الخطير الذى يهمك (قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها) [۹۱] .

وقفة قصيرة

قد تحدثنا فيما مضى من هذا الكتاب عن أن غضب موسى عليه السلام لم يكن على أخيه هارون صلوات الله وسلامه عليه، بسبب جرم ارتكبه، أو تقصير منه فى القيام بالواجب، وإنما كان من أجل أن يعرّف بنى إسرائيل بخطر ما أقدموا عليه، وبمدى بشاعة الجريمة التى ارتكبوها.. ثم هو قد أراد أن يسمع الناس إجابة هارون عليه السلام من أجل إظهار براءته وتحصينه من نسبة القصور أو التقصير إليه، وتكون النتيجة هى التالية: ۱ ـ لم يكن موسى عليه السلام يقف ضد أخيه. ۲ ـ إن موسى عليه السلام لم يغفل عن بعض المناسبات الشكلية ولا المعنوية ـ كما يقول هذا البعض ـ بل كانت الأمور واضحة لديه وضوحا تاما، لا سيما أن المسألة هى من جملة ما يتعلق بأمر التبليغ الذى ليس لمسلم أن يشكك فى القول بعصمة الأنبياء فيه. ۳ ـ إن موسى عليه السلام قد انساق مع نقاط القوة، وحقق الهدف الإلهى، ولم يكن لديه نقاط ضعف انفعالية لينساق معها. وإن نسبة ذلك كله وسواه إلى هذا النبى العظيم هى مجرد تبرّع من هذا البعض لا مستند له فيه، فضلا عن كونه مخالفاً للقواعد العقلية الصحيحة، وليست الآيات ظاهرةً ولا ناظرة فى شىء من معانيها إلى شىء مما ذكره. رأى موسى (ع) يخالف ما قرره الله له. موسى (ع) يقول لربه: لا فائدة من إرسالى لأن النتيجة معلومة. إحتباس كلام موسى (ع) يمنعه من الحوار والجدال بالكلمات القوية. إحتباس كلام موسى (ع) يمنعه من الأسلوب اللبق. موسى (ع) يعانى من نقص فى الصفات التى يحتاج إليها. ويقول هذا البعض.. (": قال رب إنى أخاف أن يكذبون) لأننى أعرف فيهم الطغيان الذى يمنعهم من الإذعان بالرسالة ويدفعهم إلى احتقار الناس من حولهم، ممن هم دونهم فى الطبقة الاجتماعية، الأمر الذى يدعوهم إلى تكذيبى فيما أبلّغهم من رسالاتك.. فلا فائدة من إرسالى إليهم لأن النتيجة معلومة بالرفض (ويضيق صدرى) فى مواجهة الضغط الذى أتعرض له

منهم، مما لا أستطيع تحمّله فى قدرتى الذاتية (ولا ينطلق لسانى) فيما أعانيه من حالات احتباس الكلام، مما لا يسمح لى المجال معه ـ بالحوار والجدال، وإدارة الصراع بالكلمات القوية، والأسلوب اللبق (فأرسل إلى هارون) ليكون عونا لى على أداء الرسالة، لما يتميز به من صفات تسد النقص الذى يعانى منه كفصاحة اللسان ونحوها (ولهم على ذنب) فقد قتلت شخصا منهم (فأخاف أن يقتلون) ثأراً له" .[۹۲]

وقفة قصيرة

إن هذا البعض قد لا يكون الوحيد الذى فسر الآيات بهذه الطريقة. ولكننا نسجل عليه وهو داعية دراسة الأمور بعقلانية وموضوعية، ما يلى:ً ۱ ـ إن هذا البعض يقول: إن احتباس الكلام لدى موسى كان إلى درجة لا يسمح له بإدارة الصراع بالأسلوب اللبق. كما أن هذا الإحتباس قد بلغ حداً لا يسمح له بالحوار والجدال. ولا ندرى كيف استطاع عليه السلام أن يحاور فرعون حينما واجهه بالدعوة التى انتهت بجمع السحرة فى يوم الزينة؟ وكيف استطاع أن يحاور بنى إسرائيل فى شأن البقرة وغيرها؟ بل كيف استطاع تأدية الرسالة التى بعث من أجلها لا سيما إن هارون الذى أرسل ليسد النقص الموجود عند موسى ـ كما يزعم هذا البعض ـ قد توفى قبل موسى (ع)، فماذا صنع موسى (ع) بنقصه الذى يعانى؟ ومن الذى قام مقام هارون فى هذا الأمر؟ً ۲ ـ هذا بالإضافة إلى أن هذا البعض يتحدث عن موسى (ع) ويصوره لنا كأنه يعترض على الله، ويدلّه على أنه غير مصيب فى إرساله، لأن ذلك سيكون أمراً عقيما، وعبثيا، ومن دون فائدة.فانظر إلى قول هذا البعض": إننى أعرف فيهم الطغيان.. مما يوحى بأن سبب مبادرة موسى باقتراح إرسال أخيه معه هو معرفته بطغيانهم. " وكأن البارى تعالى لا يعرف ذلك.ً ۳ ـ مع أن موسى (ع) حين تحدث عن خوفه من تكذيبهم، وعن أن صدره يضيق بهذا التكذيب، وأن لسانه لن ينطلق معهم فى البيان لأنهم سيتعاملون معه من موقع المعادى والحاقد، الذى لا يصغى إلى الحجة، ولا يخضع للدليل ـ نعم إن موسى (ع) حين تحدّث عن ذلك، فإنما أراد به أن يعرف من الله سبحانه أوجه معالجة الموقف فى هذه الحالات والظروف الصعبة، ولا ـ يريد أن يعرّف الله ـ والعياذ بالله ـ أن إرساله لا فائدة منه، لأن النتيجة معلومة على حد زعمه.ً ۴ ـ أما بالنسبة لاحتباس لسان موسى (ع)، إن المراد ليس هو اللكنة فى اللسان، التى تمثل عائقا عن الإفصاح فى الكلام، بل المراد هو أن قتل القبطى، وكونه قد تربى عندهم سيجعلهم يتعاملون معه بطريقة حاقدة وغير عقلانية تمنعه من الإفصاح عن مراده ولذا فهو يطلب من الله أن يهديه إلى الطريقة المثلى فى التعامل مع هذا الواقع الذى يواجهه. على أن هذا الإحتباس، لا ربط له باللباقة، وبالأسلوب،كما هو معلوم. وسيأتى المزيد من توضيح هذا الأمر فيما يرتبط بالعقدة فى لسان موسى عليه السلام فى تعليقنا على الفقرة التالية. القرآن يوحى بما لا ـ يتفق مع كون النبى أعلم الناس وأشجعهم وأكملهم فى المطلق. الرسالة تتصل بحركة الكلام فى لسانه، وطريقة التعبير فى كلامه. ضعف موسى فى طبيعة الكلمة، والمنهج، والأسلوب، وقوة هارون فى ذلك. لكنة فى لسان موسى تؤدى إلى ضعف موقفه. نقاط ضعف بشرى تتحرك بشكل طبيعى فى شخصية النبى، حتى فى مقام حمل الرسالة. لكنة موسى تمنعه عن إفهام ما يريد للناس. الجانب الغيبى لا يتدخل فى تضخيم شخصية النبى على حساب بشريته العادية. اللكنة فى لسان موسى تثير السخرية ونحوها. وبعد ما تقدم نقول: يتحدث البعض عن طلب موسى من الله أن يشد عضده بأخيه هارون، فكان مما لاحظه فى هذه القصة ما أجمله بقوله..": (واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى) فقد كان يعيش حبسا فى لسانه بحيث يمنعه من الطلاقة التى تفصح الكلمة بحيث يفهم الناس ما يريد أن يقوله.. لأن الرسالة تتصل بحركة الكلام فى لسانه، وطريقة التعبير فى كلامه. وتلك هى مشكلته الخاصة التى أراد الله أن يساعده فى حلها وترويضها وتيسيرها وتسهيل صعوباتها.. فيما يريد أن يمارسه بجهده الذاتى (واجعل لى وزيراً من أهلى هارون أخى اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى) لأن المهمة تحتاج إلى جهد آخر يشترك مع جهده فى الدعوة والحركة والانطلاق.. ليعاون أحدهما الآخر فيما يمكن أن يواجههما من مشاكل وقضايا وصعوبات، خصوصا فى جانب الدعوة فى طبيعة الكلمة والمنهج والأسلوب، الذى يتمتع هارون بمميزات جيدة لأن لسانه أفصح من لسان موسى، كما جاء فى سورة أخرى.. وتلك هى الروح

المتواضعة الجادة التى تدرس حجم المسؤولية، وحجم إمكاناتها فإذا رأت بعضا من الخلل الذى قد يصيب المسؤولية أمام ضعف الإمكانات، فإنها لا تتعقد ولا تهرب من الواقع لتلجأ إلى الذات فى عملية استغراق فى الإيحاء بالقدرة الشاملة غير الموجودة لينعكس ذلك سلبا على حركة الموقف العملى، بل تعمل على أن تستكمل القوة من جانب آخر لمصلحة العمل المسؤول.. وهذا هو ما فعله النبى موسى (ع) عندما أراد من الله أن يضيف إليه شريكا فى أمره، لأنه يعيش بعض نقاط الضعف التى يملك فيها هارون نقاط قوة.. وهذا هو الذى يوجب على العاملين فى سبيل الله، أن يواجهوه فيما يتحملونه من مسؤوليات ليعملوا على الإخلاص للدور العملى فى استكمال كل الإمكانات التى يحتاجها، ولو كانت لدى الآخرين.. لأن ما نعانيه فى ساحة العمل، هو أن بعض العاملين قد يدفعهم الشعور الأنانى بالعظمة الفارغة، فيسيئون إلى مسؤولياتهم للحفاظ على ذواتهم لأنهم لا يريدون الاعتراف بالحجم المحدود لقدراتهم، وبالإمكانات المتوفرة لدى الآخرين ["۹۳]. ويقول البعض أيضاً": وقد نلاحظ فى هذه القصة، أن النبوة لا تتنافى مع الضعف البشرى الذى يعيشه النبى ويعترف به، فيطلب إلى الله أن يقويه بإنسان آخر فى أداء مهمته لا- بواسطة تنمية قدراته الذاتية.. مما يوحى بأن الجانب الغيبى لا يتدخل فى تضخيم شخصية النبى على حساب بشريته العادية، بل يترك المسألة للطبيعة البشرية لتتكامل بطريقة عادية.. وهذا ما قد يحتاج إلى مزيد من الدراسة فيما يطلقه علماء الكلام فيما يتصل بصفات النبى، بأن يكون أعلم الناس وأشجعهم وأكملهم فى المطلق.. فإن تأكيد القرآن على نقاط الضعف البشرى فى شخصية الأنبياء، لا سيما فى شخصية موسى (ع) قد توحى بما لا يتفق مع ذلك ["۹۴]. ويقول أيضا.. ": وهناك نقطة أخرى، وهى أن الرسالة تفرض الدخول فى جدل مرير مع هؤلاء القوم يمكن أن يثيروه من شبهات، أو يطالبوه بالحجة، فيحتاج إلى التحدث بطريقة مقنعة حاسمة، بلسان فصيح.. وهذا ما لا يملكه موسى لِلَكْنة كانت فى لسانه، مما يؤدى إلى ضعف موقفه الذى ينعكس سلباً، على موقف الرسالة فيما قد يثيره ذلك من سخريةٍ ونحوها.. لذلك كان بحاجة إلى شخص آخر يشاركه المسؤولية، ليواجه مثل هذا الموقف الطارئ معه، أو ليكون بديلا عنه فى مقارعة الحجة بالحجة.. ولهذا فقد أراد أن يكون أخوه هارون معه (وأخى هارون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردءاً) أى ناصراً ينصرنى ويشد ظهرى" يصدقنى "ويشرح بفصاحته مواقع الصدق فى رسالتى، ومواطن القوة فى موقفى، (إنى أخاف أن يكذبون) فيفرض ذلك علىّ الدفاع والجدال حول مفاهيم الرسالة ومواقعها ["۹۵]. ونجد هذا البعض يقول أيضا فى موضع آخر فى تفسير قوله تعالى (إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى) ["۹۶]: ونلاحظ فى هذه الآية الإشارة إلى ما يعيشه النبى من نقاط الضعف البشرى التى تتحرك فى شخصيته بشكل طبيعى، حتى فى مقام حمل الرسالة.. فيتدخل اللطف الإلهى من أجل أن يمنحه القوة الروحية التى تفتح قلبه، بعمق على التأييد الإلهى فى أوقات الشدة الأمر الذى يعطى الفكرة بأن النبى يتكامل فى وعيه وقوته وحركته فى الرسالة ["۹۷].

وقفة قصيرة

ونقول: إننا رغم أننا لم نذكر فى العناوين المستخرجة من كلام هذا البعض ما ذكره عن الضعف البشرى فى شخصية الأنبياء، فإننا نذكّر القارئ الكريم بما يلى:ً ۱ ـ إن هذا البعض قد فسّر الآيات بطريقة أوصلته إلى أن ينسب إلى الأنبياء ما ألمحنا إليه فى العناوين التى صدّرنا بها كلامه هذا الأخير.. ونحن نذكر هنا ما يشير إلى المراد من أفصحية هارون (ع)، ليظهر للقارئ أن الآية ليست ناظرة إلى موضوع طلاقة اللسان من الأساس.. ولو سلمنا أنها ناظرة إلى طلاقة اللسان من حيث البلاغة والفصاحة الكلامية، فذلك لا يستلزم ما ذكره ذلك البعض. ونحن نشرح ذلك ضمن النقاط التالية، فنقول: أ ـ لقد طلب موسى (عليه السلام) من الله أن يشد عضده بأخيه هارون (عليه السلام). وهو طلب طبيعى، ليس فيه أية مشكلة، وهو لا يعنى وجود نقص فى شخصية النبى موسى (ع) يحتاج إلى رفعها بواسطة الاستعانة بهارون (ع)، ويدل على ذلك ما روى من أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد طلب أيضا مثل ذلك من الله تعالى فقال (ص): واجعل لى وزيرا من أهلى، عليا أخى، أشدد به أزرى.. وقد صحت الرواية بذلك من طريق الفريقين على حد تعبير صاحب الميزان [۹۸.. "] . وعن أسماء بنت عميس قالت: رأيت رسول الله (ص) بازاء ثبير وهو يقول " أشرق ثبير، أشرق ثبير، اللهم

إنى أسألك بما سألك أخى موسى أن تشرح لى صدرى، وأن تيسر لى أمرى، وأن تحلل عقدة من لسانى، يفقهوا قولى، وأن تجعل لى وزيرا من أهلى علياً أخى. أشدد به أزرى، وأشركه فى أمرى كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيرا ["۹۹] . فالمراد من الأمر فى قول موسى(ع) (وأشركه فى أمرى) غير النبوة، بدليل أن رسول الله (ص) دعا الله بأن يشرك علياً(ع) أمره مع أن عليا ليس نبيا قطعا، بل المراد هو آثار النبوة، كافتراض الطاعة وغير ذلك والله العالم. ب ـ كما أن رسول الله (ص) قد طلب من الله سبحانه حل العقدة من لسانه حيث قال (واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى) مع أن ذلك لم يكن لقلة فصاحة فيه، ولا لعقدة أو لكنة فى لسانه، ولا لكون على عليه السلام أفضل منه، وهو القائل (ص): (أنا أفصح من نطق بالضاد). وهذا يشهد بأن المراد من الفصاحة فى دعاء موسى (ع) ليس هو المعنى الذى يذكرونه فى علم المعانى والبيان، وإلا لما صح أن يدعو به أفصح من نطق بالضاد، فالمراد إذن شىء آخر وهو أنه أكثر انطلاقا فى الحديث معهم حيث لم يقتل منهم رجلا من عدوه كما فعله أخوه موسى(ع)، بالإضافة إلى جدالهم فى أمر إحسانهم لموسى وتربيتهم له (ع) وليداً كما ذكر الله تعالى حكاية ذلك فى قوله (..ألم نُرَبّك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين). وهكذا يتضح أن ذلك لا ينافى كون موسى (ع) أعلم الناس وأكملهم وأشجعهم كما يقول هذا البعض. ۲ ـ وحتى لو سلمنا ـ جدلا ـ بأفصحية هارون من الناحية الكلامية، ولم نحمل كلامه على ما ذكرناه آنفاً، أو على أن ذلك كان منه تواضعاً وهضماً للنفس، فلا مشكلة فى ذلك، لأن هذه الآية نفسها تثبت صفة الفصاحة لموسى (عليه السلام) أيضا غير أنه يمهد للحصول على مطلوبه و هو أن يكون أخوه هارون وزيرا له. وأين هذا مما ذكره هذا البعض من كون لكنة موسى تمنعه من إفهام ما يريده للناس، الأمر الموجب للنقص فى الصفات التبليغية المتوجب توفرها فى المبلغ لدين الله. فافصحية هارون (ع) كمال له، وفصاحة موسى (ع) لا تعتبر نقصا ولا تضر فى أفضلية موسى (ع)، حيث إن ملاك الأفضلية هو التقوى الناشئة عن العلم و التى تقترن بالعمل. وأما بالنسبة للصفات الجسدية ونحوها فقد ذكر العلماء أن المطلوب هو الكمال وعدم النقص، وهذا متحقق فى موسى عليه السلام. ثم إن هذه الافصحية قد حازها نبى بالقياس إلى نبى آخر لا أنها ثابتة لشخص عادىّ بالقياس إلى النبى، ليقال: لا بد أن يكون النبى أكمل من سائر الناس. فموسى وهارون (ع) أكمل أهل زمانهما لكن موسى أفضل عند الله وأكمل من أخيه فى كثير من الصفات. فكما أن أكملية موسى (ع) لا تضر فى نبوة هارون. كذلك أفصحية هارون ـ مع كون الفصاحة الكاملة موجودة عند موسى ـ لا تضر فى نبوة موسى، ولا فى أفضليته عند الله بمعرفته بالله سبحانه حتى على هارون نفسه. وإلا لكان الدعاء من الرسول (ص) بدعاء موسى (ع) بلا معنى. هذا كله، لو سلمنا ـ جدلاً ـ بأفصحية هارون (ع). فيتضح مما تقدم أن ما ذكره ذلك البعض من ضعف بشرى لدى الأنبياء، وأن موسى (ع) كان يعانى من حبس فى لسانه يمنعه من الطلاقة المفهمة لمراده غير صحيح. ملاحظة: واللافت للنظر هنا: ان الله سبحانه قد اتخذ موسى كليما، واعطاه الكرامة عن سائر الانبياء، فهل اختاره كليما لأجل لكنته هذه تعويضا له عما فيه من نقص؟ إن هذا الأمر عجيب حقاً، وأى عجيب!! و اذا كان هناك من احتمال آخر فليطلعنا عليه.ً ۲ ـ انه إذا كانت مشكلة موسى (ع) هى فى احتباس لسانه المانع له من الطلاقة المفهمة لمراده كما يقول البعض، فما هو ربط ذلك بالمنهج واللباقة فى الأسلوب؟ومن أين عرف أن منهج هارون (ع) وأسلوبه، كان أحسن من منهج وأسلوب موسى (ع)؟!!ومن اين علم ان موسى استعان بهارون كى لا يهزأ ولا يسخر منه قومه لعدم قدرته على افهامهم!؟. مع أن القرآن سجل لنا فى تساؤل بنى اسرائيل عند امره لهم بذبح البقرة موقفا معاكساً حيث اتهموه بأنه يهزأ بهم (قالوا أتتخذنا هزواً، قال اعوذ بالله ان أكون من الجاهلين).ً ۳ ـ إن قول موسى وهارون عن فرعون: (إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى) لا يستلزم وجود نقاط ضعف بشرى تتحرك فى شخصية النبى بشكل طبيعى، حتى فى مقام حمل الرسالة، كما يقوله ذلك البعض. فإن معرفتهما بشخصية فرعون، ثم ذكرهما لما يحتمل أن يواجهاه معه، ليس معناه أنهما يعانيان من وجود ضعف فى شخصيتهما. بل ذلك يعنى أنهما وهما يتحسبان لما سيواجههما به فرعون إنما يريدان إعداد العدّة لمواجهة أى احتمال.. وهذا هو غاية القوة فى مقام حمل الرسالة.. فما هو نقاط قوة فى الحقيقة أصبح ـ بنظر هذا البعض ـ نقاط الضعف فى شخصية النبى التى تتحرك بشكل طبيعى حتى فى مقام حمل الرسالة!!.

يعقوب و يوسف

اشاره

۳۶۴ ـ يعقوب والصدمة وتأثيرها المؤلم فيه. ۳۶۵ ـ يعقوب لم يفعل أى شىء يؤذى جسده. ۳۶۶ ـ العوارض الطبيعية هى التى أوجبت عمى يعقوب. ۳۶۷ ـ كان يعقوب يعيش الحزن الهادئ دون أن يؤثر على حياته. ۳۶۸ ـ ظنوا أن أباهم قد نسى يوسف.. يقول البعض: "ولكن يوسف أصر على موقفه، وعادوا إلى أبيهم من دون أخيهم، وكم كان وقع الصدمة قاسياً على يعقوب ـ عليه السلام ـ، واجه الصدمة فأثرت به تأثيراً مؤلماً، لأنها أيقظت أحزانه وأثارت أشجانه وذكرياته، فتولى عنهم (وقال يا أسفى على يوسف، وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) (يوسف: ۸۴)، وهنا ربما يتساءل البعض ويقول: كيف يجزع يعقوب، وهو نبى؟ نجيب على ذلك بأنه (عليه السلام) لم يفعل أى شىء يؤذى جسده، ولكن كان يعيش الحزن الهادئ حيث ابيضت عيناه من البكاء كنتيجة طبيعية للعوارض التى أوجبت فقدان بصره، لذلك عندما قالوا له: (تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين) (يوسف: ۸۵) أجابهم بأنه لا يشكو لهم، ولا يسبب أى مشكلة معهم (إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله) (يوسف: ۸۶) فلست إنساناً يشكو أمره للعباد، فالقادر على قضاء حاجتى، وتفريج همى وكربى هو الله، فيعقوب (عليه السلام) كان يملك الإحساس العميق بعدم اليأس، فوهبه الله معرفة أن يطل على المستقبل، لذلك على الرغم من مرور السنوات الطوال على غياب يوسف ومحاصرته بكثيرٍ من المشاكل بقى منفتحاً.. الخ [۱۰۰] . ويقول البعض أيضاً("وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) ورغم كل شىء فهو يحبس غيظه وحزنه فى نفسه، ولم يتصرف تصرف الجازعين الذين يتمردون على إرادة الله، ولكنه يعطى للحزن دوره الهادئ فى قلبه وإحساسه وشعوره، من دون أن يترك الحزن تأثيره على حياته وعلى دوره فى رسالته وحركته فى الحياة (قالوا تالله) لقد فوجئوا بذكره ليوسف الذى يقال بأنه غاب عنهم مدة ثمانية عشر عاماً، وظنوا أن أباهم قد نسيه، لأن الذكريات الماضية تذوب وتزول وتذهب (قالوا تالله تفتأ) أى لا تفتأ ولا تزال (تذكر يوسف حتى تكون حرضاً) أى مشرفاً على الهلاك قريباً من الموت (أو تكون من الهالكين) أو يؤدى بك ذلك إلى الهلاك (قال إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله) أنا لا أشكو بثى وحزنى إليكم، فأنا لا أشكو لبشر، وأنا عندما أتذكر يوسف وآسف على غيابه، فإنما أجلس فى حالة مناجاة مع الله، ولذا فإنى أرجع شكواى إلى الله وأقدم حزنى بين يديه سبحانه، فهو الذى يملك إزالة حزنى عنى ويبدله إلى فرح، وعندما أعبر عن حزنى فليس لإثارة الإشفاق على من الناس، أو لأفرض حزنى عليهم (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أعلم من الله أنه رحيم بعباده، فهو يعطى الأمل من قلب اليأس وهذا ما أعلمه من خلال معرفتى به تعالى، لذلك لم أفقد ثقتى بربى أو إيمانى به، ولا أرى أن التعبير عن الحزن يتنافى مع استسلامى له، فالتعبير عن الحزن حالة إنسانية، والإستسلام إلى الله هو حركة هذه الحالة بين يدى الله حتى تعين الإنسان على أن ينفتح على المستقبل أكثر من خلال الله، لا من خلال غيره [۱۰۱] .

وقفة قصيرة

ونلاحظ: ۱ ـ من الواضح: أن الجزع المذموم والمرفوض من قبل الشارع هو الذى يستبطن الإعتراض على الله سبحانه حين يعتبر الجازع أن ما حدث يمثل ظلماً، وتعدياً وتصرفاً غير سديد.. كما أن من الواضح أيضاً: أن إظهار الحزن الشديد لا يستبطن الإعتراض على الله بحيث لا ينفك هذا الإظهار عن ذلك الإعتراض، إذ كثيراً ما ينطلق الجزع من حب الله ومن شدة الإهتمام بالحفاظ على الدين ورموزه الكبرى، وهذا يكون جزعاً ممدوحاً، ومحبوباً له تعالى، ومندوباً إليه، وقد ورد فى الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام): (كل الجزع والبكاء مكروه سوى على الحسين) [۱۰۲] . وقد روى عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنه قال: (إن يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا الخ..) [۱۰۳] . وذلك يدل على أنهم عليهم السلام قد بكوا على الحسين حتى تقرحت جفونهم.. والقرح هو الجرح

وذلك معناه أنهم عليهم السلام قد فعلوا أمراً قد نشأ عنه أمر لم يكن ليجوز لهم فى الحالات العادية تماماً كما بكى يعقوب على فراق يوسف حتى ابيضت عيناه من الحزن. وفى زيارة الناحية المقدسة: (ولأبكينك بدل الدموع دماً). وذلك يدل على جواز فعل ما يؤدى إلى مثل الجرح والعمى، فلا معنى للمنع من ضرب الرأس بما يدميه تفجعاً على الحسين (عليه السلام).. فإن عمى يعقوب وتقرح جفون الأئمة أعظم ضرراً من إدماء الرأس أو اللطم على سيد الشهداء (عليه السلام). وعن اللطم بالخصوص نجد الإمام الرضا عليه السلام لا يعترض على دعبل حينما أنشد قصيدته. وقد جاء فيها: أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً وقد مات عطشاناً بشط فرات إذن للطمت الخد فاطم عنده وأجريت دمع العين فى الوجنات فلم يقل له إن فاطمة لا تفعل ذلك، لأنه حرام. بل نجده ـ كما تذكر بعض الروايات ـ قد زاد له بيتين فى قصيدته يؤكد أن الحزن العظيم والمستمر إلى يوم القيامة عليه هو عليه السلام. والبيتان هما: وقبر بطوس يا لها من مصيبة الحت على الأحشاء بالزفرات إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً يفرج عنا الهم والكربات كما أن النساء حين رأين جواد الحسين خرجن من الخدور.. على الخدود لاطمات، كما جاء فى زيارة الناحية المقدسة. وقد لطم النسوة خدودهن ليلة العاشر أمام الحسين (ع)، فقال الحسين (ع): يا أختاه، يا أم كلثوم، يا فاطمة، يا رباب، انظرن إن انا قتلت فلا تشققن على جيباً ولا تخمشن وجهاً ولا تنطقن هجرا [۱۰۴] فهو إنما نهاهن عن ذلك بعد موته. وعن الإمام الصادق (ع) أنه قال: وقد شققن الجيوب ولطمن الخدود الفاطميات على الحسين بن على وعلى مثله تلطم الخدود وتشق الجيوب. كما أن الحديث عن الأئمة (عليهم السلام) قد عد يعقوب من البكائين الخمسة، أو الثمانية [۱۰۵] . ويروى أن الإمام الصادق عليه السلام: جزع على ابنه إسماعيل جزعاً شديداً [۱۰۶] و أن آدم عليه السلام جزع على ابنه هابيل [۱۰۷] . ۲ ـ إن من الواضح: أن حبس الإنسان غيظه وحزنه فى قلبه لا يوجب عمى عينيه، كما زعم هذا البعض.. ولم نسمع، ولم نر إنساناً حبس غيظه وحزنه فى قلبه قد أصيب بالعمى رغم الكثرة الكاثرة فى كل هذا التاريخ الطويل، لمن يصابون بأفدح المصائب ثم يكظمون غيظهم وحزنهم.. ۳ ـ ما معنى قوله": إن يعقوب قد أعطى الحزن دوره الهادئ فى قلبه وإحساسه وشعوره، من دون أن يترك تأثيره على حياته ودوره فى رسالته وحركته فى الحياة "..ألم يصب يعقوب بالعمى فى عينيه من شدة حزنه، وهل العمى ليس له تأثير سلبى على حياة الإنسان. ۴ ـ ما معنى قول أبناء يعقوب له (تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً) أليس معنى الحرض هو (الإشراف على الهلاك قريباً من الموت) حسب تفسير هذا البعض نفسه، ثم قولهم له: (أو تكون من الهالكين). ألا يدل ذلك على أن حزن يعقوب كان ظاهراً قوياً، وليس هادئاً، ولا محبوساً فى داخل نفسه ـ حسبما يدعيه هذا البعض ـ وهل ثمة من جزع أكبر من أن يشرف الإنسان على الهلاك من شدة الحزن، أو أن يهلك بالفعل بسبب ذلك؟! وإذا كان يعقوب قد حزن على يوسف إلى درجة العمى، أو حتى اشرف على الهلاك، فما بال البعض ما فتئ يقبح الجزع على الإمام الحسين (عليه السلام) رغم ورود الرواية الصحيحة ـ عن أهل بيت العصمة فى أنه لا محذور فيه؟! ولماذا يعتبر أن مظاهر الحزن واللطم فى عاشوراء غير حضارية ولا واعية؟! بل هى من مظاهر التخلف، ومن دواعى السقوط، كما أن بعض مفرداتها محرمة لأنها بنظره من مصاديق الإضرار بالنفس؟. ۵ ـ ما معنى قول هذا البعض عن يعقوب: مجيباً على سؤال: كيف يجزع يعقوب، وهو نبى"؟! إنه لم يفعل أى شىء يؤذى جسده، ولكن كان يعيش الحزن الهادئ حتى ابيضت عيناه من البكاء، كنتيجة طبيعية للعوارض التى أوجبت فقدان بصره. "فهل إن البكاء الذى صدر من يعقوب لا يدخل فى دائرة الفعل أصلاً أم أنه فعل لكنه لم يكن من فعل يعقوب؟! وإذا كان العمى قد نشأ عن البكاء الذى هو من فعل يعقوب، فكيف يقول: إنه لم يفعل أى شىء يؤذى جسده؟! وهل العمى بسبب البكاء لا يعد أذى للجسد؟! ألم يكن العمى نتيجة لفعل البكاء؟ وكيف يمكن الجمع بين قوله": إن العمى كان نتيجة العوارض الطبيعية "وقوله": إنه قد عمى من البكاء؟! "۶ ـ إن التعبير بالصدمة بالنسبة لنبى الله يعقوب غير سديد جزماً، فإن هذا النبى المجاهد الصابر لم يفاجأ بما حدث، وقد حكى الله عنه: أنه أخبر أبناءه بخوفه على ولده، وأخذ عليهم المواثيق أن يأتوه به إلا أن يحاط بهم، وهم لم يأتوا بجديد عما كان يتوقعه، بل اقتصروا على شرح ما جرى لهم، وإنما تكون الصدمة فى أمر لم يكن متوقعاً. ۷ ـ من أين علم أن أبناء يعقوب (عليه السلام) قد ظنوا أن أباهم قد نسى يوسف (عليه السلام) فإن قولهم له: (تالله تفتؤ تذكر يوسف) يدل على أنه كان مستمراً على ذكره، مثابراً

عليه، وأنهم كانوا يعلمون ذلك وينكرونه عليه فمن أين جاء ظنهم ذاك.. إن قوله هذا يحتاج إلى إثبات قطعى ـ حسبما يقرر هذا البعض نفسه ـ وإن أى إثبات يأتى به سيكون مخالفا للقرآن، فلا بد من رده عليه.. ٣٦٩ ـ النبى يعقوب يحب ولده لجماله. ٣٧٠ ـ النبى يحب ولده لذكائه ووداعته. يقول البعض.. ": وجاء يوسف إلى أبيه.. وكان أثيرا عنده حبيبا إليه، لجماله ووداعته وصفاء روحه.. وجلس عنده يقص عليه رؤياه الغريبة التى أثارت فى نفسه القلق لما تشتمل عليه من جو يوحى بالسمو ولكنه حافل بالغموض ["١٠٨] . ويقول أيضا.. ": ولكن يعقوب يعرف أن أولاده الآخرين يحسدون يوسف على ما تميز به عنهم من جمال وذكاء ووداعة وصفاء.. وعلى ما له من المنزلة عند أبيه، كنتيجة لما يملكه من هذه الصفات وغيرها مما يجعله أهلاً للمعاملة المميزة [" ١٠٩] .

وقفة قصيرة

ونقول: أ ـ إننا لا نريد أن نرهق القارئ بالتعليق على هذه الفقرات، لكننا نلفت نظره إلى أننا ما كنا نحسب أن علاقة نبى الله يعقوب عليه السلام بولده النبى يوسف عليه السلام كانت بسبب جمال صورة ولده، أو بسبب ذكائه، ووداعته، فنحن نجل الأنبياء عن أمر كهذا. وإنما نعتقد أنه ينطلق فى حبه له مما يلمسه فيه من معان إنسانية، وصلاح وهدى، واستقامة على طريق الخير والرشاد. ب ـ وإذا كان الله سبحانه قد أعطى يوسف عليه السلام جمالا خصه به، ولم يعط سائر إخوته، فإن ذلك لم يكن بسوء اختيارهم ليستحقوا هم ذلك الإبعاد، ويستحق يوسف(ع) هذا القرب. وإنما هى مشيئة الله سبحانه التى ليس لهم أو ليوسف (ع) معها أى اختيار، أو خيار. ج ـ ولو أردنا أن نفسح المجال لموضوع الانجذاب للجمال، بحجة أن هذا يعبر عن الذوق الرفيع، ليكون هذا الأمر من المعايير والضوابط التى يعتمدها الأنبياء فى حبهم وفى ارتباطهم العاطفى بالأشياء وبالأشخاص لا سيما بعد ملاحظة ما يذكره هذا البعض عن يوسف وامرأة العزيز، فإن ذلك قد يدفع من لا تقوى لديه من أعداء الإسلام أمثال سلمان رشدى إلى كتابة" آيات شيطانية"جديدة تهدف إلى طرح وتسويق مثل أكذوبة زوجة أوريا، حينما رآها النبى داود فى حالة مثيرة كما يزعمون، وكذلك الحال بالنسبة لقضية زينب بنت جحش وما افتروه من أن النبى قد عشقها بعدما رآها بصورة مثيرة.. وغير ذلك. وهذا باب خطير، لا يمكن فتحه، ولا مجال للقبول به. عذاب يوسف (ع) فى مقاومة الإغراء. الإنجذاب إلى الحرام والقبيح لا ينافى العصمة. جسد يوسف (ع) تأثر بالجو (الجنسى). عزم على أن ينال منها ما أرادت نيله منه. همّ بها، ولكنه توقف، ثم تراجع. إيمان يوسف (النبى) يستيقظ. إستنفد كل طاقاته فى المقاومة. وأما حديث ذلك البعض عن يوسف (ع) فهو أشهر من أن يذكر، ونقتصر هنا على قوله فى بيان ما جرى لهذا النبى(ع) مع امرأة العزيز": التفسير الذى نميل إليه ونستقربه، هو الإنجذاب اللاشعورى، تماما كما ينجذب الإنسان إلى الطعام. "إلى أن قال": فالعصمة لا تعنى عدم الإنجذاب إلى الطعام المحرم، والشراب المحرم، أو الشهوة المحرمة، ولكنها لا تمارس هذا الحرام، فالإنجذاب الغريزى الطبيعى هنا لا يتحول إلى ممارسة، وتتضح الصورة أكثر عندما جمعته مع النسوة، اللاتى قلن: (حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم)، عند ذلك شعر أن الطوق بدأ يضيق ويحاصره إلى درجة لا يستطيع فيها أن يتناسى، على اعتبار أنه إستنفد كل طاقاته فى المقاومة ". "وهذا يجعلنا نشعر بالعذاب الذى كان يعيشه يوسف فى مقاومته لإغراء هذه المرأة. "ويقول: "خلاصة الفكرة: إن يوسف (ع) لم يتحرك نحو المعصية، ولم يقصدها، ولكنه انجذب إليها غريزيا، بحيث تأثر جسده بالجوّ، دون أن يتحرك خطوة واحدة نحو الممارسة ["١١٠] . وذكر فى بعض ما بثته بصوته إذاعة تابعة له": عزم على أن ينال منها ما كانت تريد نيله منه ["١١١] . ويقول(": وهمّ بها) فى حالة لاشعوريّة، فيما يتحرك فيه الإنسان غريزيا بطريقة عفوية من دون تفكير.. لأن من الطبيعى لأى شابٍّ يعيش فى أجواء الإثارة أن ينجذب إليها، تماما، كمن يتأثر بالروائح الطيبة أو النتنة التى يمر بها، أو كمن تتحرك غريزة الجوع فى نفسه بكل إفرازاتها الجسدية عندما يشم رائحة الطعام. "إلى أن قال": وهكذا نتصور موقف يوسف، فقد أحس بالإنجذاب فى إحساس لاشعورى وهمّ بها استجابة لذلك الإحساس، كما همّت به، ولكنه توقف ثم تراجع.. ورفض الحالة بحزم وتصميم، لأن المسألة عنده ليست مسألة تصور سابق، وموقف متعمد، وتصميم مدروس، كما هى المسألة عندها، ليندفع نحو خط

النهايـة، كما انـدفعت هى، ولكنها كانت مسألـة انجـذاب جسـدى يشـبه التقلص الطبيعى، والإنـدفاع الغريزى.. إنها لحظـة من لحظات الإحسـاس، عبّرت عن نفسـها ثم ضاعت وتلاشت أمام الموقف الحاسم، والعقيـدة الراسـخة، والقرار الحازم.. المنطلق من حساب دقيق لموقفه من الله، فيمـا ينطلق فيه من عقيـدة، وفيمـا يتحرك فيه من خـط، وفيما يقبل عليه من عقاب الله، لو أطاع إحساسه.. وهـذا ما عبر عنه قوله تعالى: (لولا أن رأى برهان ربّه..)، فيما تعنيه كلمة" البرهان "من الحجة فى الفكرة التى تقوده إلى وضوح الرؤية، فتكشف له حقيقـة الأمر، فيحس، بعمق الإيمان، أنه لا يملك أيـة حجة فيما يمكن أن يقدم عليه، بل الحجة كلها لله.. وربما كان جوّ هذه الآية هو جوّ قوله تعالى: (إن الـذين اتقوا إذا مسّـهم طائف من الشـيطان تـذكّروا فإذا هم مبصـرون..) وقد نسـتوحى ذلك من مقابلة كلمة (همّ بها)، لكلمة (همّت به) فقد اندفعت إليه بكل قوة وضـراوة واشتهاء، فحركت فيه قابلية الإندفاع.. وكاد أن يندفع إليها لولا يقظة الحقيقة فى روحه، وانطلاقـة الإيمان فى قلبه.. وبـذلك كان الموقف اليوسـفى، فيما هو الإنجـذاب، وفيما هو التماسك والتراجع والإنضبـاط، مستوحى من الكلمـة، ومن الجـوّ الـذى يوحـى به السيـاق معـا ["١١٢] .

وقفة قصيرة

إن آيات القرآن الكريم لا تؤيـد ما ذكره هـذا البعض، إن لم نقل: إنها تـدل على عـدم صـحته. ونحن نبين المراد من الآيات الشـريفة بمعزل عما ذكره ذلك البعض، فنقول: ١ ـ إننا قبل كل شيء هنا نذكر سؤالا وجه إلى ذلك البعض، وأجاب عليه.. والسؤال والجواب هما كما يلى: س: إذا نوى الإنسان أن يفعل فعلا سيئا مثلا، وصمم أن يرتكب فاحشة الزنا فهل يحاسب هذا الإنسان وكيف يمكن أن نتخلص من مقولـة (إنمـا الأعمـال بالنيـات) إذا كان الجواب بالنفى"؟ ج: المعروف أن الإنسان لا يحاسب على نيته إذا لم يحولها إلى واقع فالإنسان تخطر فى باله أعمال يعبرون عنها فى علم الأصول بالقول (فعل قبيـحٌ وفاعل قبيـحٌ) بمعنى أن هـذا يدل على قبح الفاعل، أى أنه إنسـان سـيئ ذاك الـذى يفكر بالجريمـة لكنه لم يفعل ["١١٣] . فهـل يلتزم هـذا البعض بنسـبة القبـح إلى نبى الله يوسف عليه السـلام؟ وهل يجوز أن يقول عنه: إنه (إنسان سـيئ) أو إنه (فاعل قبيح)؟! لا سـيما وأن هذا القائل قد صرح فى مورد آخر بأن يوسف (ع) قد عزم على أن ينال منها، ما كانت تريد هى أن تناله منه [١١٤] . ٢ ـ إن قوله تعالى: (لولا أن رأى برهان ربّه) يفيد: أنه لم يحصل منه أى شيء مما ذكره هذا البعض، فإنك إذا قلت: لولاى لوقع الطفل عن السطح، فمعناه أن الطفل لم يقع، فيوسف عليه السلام ـ إذن ـ لم ينو هذه المعصية، ولم تدخل فى دائرة اهتماماته.. فالله سبحانه ينفى أن يكون قد صدر عن النبى يوسف أى فعل قلبى، ويقول: إن هذا الأمر قد كان خارج دائرة نواياه.. ٣ ـ أضف إلى ما تقدم أن الشـيطان قد استثنى عباد الله المخلصين من إمكانية تأثيره فيهم، فقال: (لأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصين) [١١٥] ، وقال تعالى: (إنّ عبادى ليس لك عليهم سلطان) [١١٦] . وقد صرحت الآية هنـا بـأن بُعْـدَ يوسف عن هـذا الأمر، وإبعـاده له عن دائرة نواياه، إنما هو لأنه كان من عباد الله المخلصين. فقـد قال تعالى: (كـذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء، إنه من عبادنا المخلصين) [١١٧] حيث ظهر من الآية: أن سبب صرف ذلك عنه هو كونه مخلَصاً. ٤ ـ إن وجود نوايا قبيحة مرفوضة سـتكون نتيجتها سقوط الإنسان عن درجة الإعتبار وأنه سينظر إليه بعين الإحتقار والنقص، فلو أنّ إنسانا نوى الفاحشة مع امرأة محصـنة، فإنه لن يكون محترما عند الذين يعلمون منه ذلك، فكيف إذا كانت هذه النية من أحد الأنبياء المخلصين، فإنها تكون أشنع وأقبح، وقد تقدّم تصريح البعض: بأنّ من ينوى ذلك، فهو إنسان سـيء، وأن ذلك من مصاديق القبح الفاعلى على حـد تعبيره، وفقا لما عند علماء الأصول. ٥ ـ إن المخلَص ـ بالفتـح ـ هو الخالص لله، بحيث لا يكون فيه أيـة شائبـة لغيره، فمن ينجذب نحو الفاحشـة انجـذاب الجائع إلى الطعام، ومن عزم على أن يفعل ما طلبته منه امرأة العزيز، ومن تتحرك فيه قابلية الإندفاع نحو الفعل الحرام، هل يكون خالصا لله، وصافيا بحيث لا تكون فيه أيـة شائبـة؟!. ٦ ـ هذا مع العلم: أن الله سـبحانه قد قرر قبل ذلك مقام يوسف، وعلوّ درجته حيث قال: (..ولما بلغ أشـدّه آتيناه حكما وعلما، وكذلك نجزى المحسـنين) [١١٨] ولم يُشِرْ بعد ذلك، لا من قريب ولا من بعيـد ولو حتى بالعتـاب، إلى مـا ربمـا يتوهم منه عزمه على أن ينال منها ما كانت تريـد نيله منه كما يـدعيه ذلك البعض. ٧ ـ ومع

غض الطرف عن ذلك كله، فإن كلمة (همّ به) ليس معناها همّ بنكاحه، بل معناها: همّ بضربه وإيصال الأذى إليه، حيث يقال: جاء فلان وتكلم بكلام سيء، فهممت به، أى هممت بإيصال الأذى إليه أو بضربه. وقد ذكر هذا المعنى فى الروايات عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام، وأن المراد: همّ يوسف(ع) بضربها. مناقشة وردّها: قال المرجع الدينى سماحة الشيخ التبريزى وهو يرد على مقولات ذلك البعض: (إن لفظ" لولا "دال على امتناع همّه بالمعصية لرؤية برهان ربه).. فردّ عليه ذلك البعض بقوله.. ": إن التعبير الصحيح أو البليغ لهذا المعنى هو: لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها، لتفيد معنى حصول الفعل الذى يحصل بالمستقبل، فلا يصح أن نقول: (جاء زيد لولا القوم)، بل الصحيح أن نقول: (لولا القوم لجاء زيد ["]١١٩] . ونقول: إننا نسجل هنا ما يلى: إن السيد المرتضى هو ممن لا يُشكّ فى تضلعه فى علوم اللغة والبيان والفقه حتى قيل فيه": لو قيل إن المرتضى أعلم العرب بلغتهم لم نتجاوز "وهو من أبرز أعلامنا.. منذ مطلع القرن الخامس وإلى يومنا هذا.. وقد ذكر هذا العلم هنا عدة أجوبة [١٢٠] . الأول: إن الآية قد علقت ـ فى ظاهرها ـ كلمة (همّ) بذاتيهما، فقالت: (همّت به، وهمّ بها)، ولا يجوز تعلق الهمّ بالذات بمعنى الإرادة والعزم، فلا بد من تقدير محذوف، وليس بعض الأفعال أولى بالتقدير من بعضها الآخر، فهل همّ بالضرب؟ أو الإكرام؟ أو أى شيء آخر؟ ويترجح أن يكون يوسف قد همّ بالضرب، كقولك: همّ فلان بفلان، أى بأن يوقع به ضربا أو مكروها.. أما من ناحيتها، فالمحذوف هو الفعل القبيح، وإنما فرّقنا بينها وبينه فى هذا الأمر، لما ظهر من أنها قد راودته عن نفسه، فجاز عليها فعل القبيح فهمّت به، أما يوسف (ع) فلا يجوز ذلك عليه، لأنه رفض واستعصم، حسبما دل عليه القرآن.. والسبب فى أن برهان ربه قد صرفه عن ضربها هو أنه لو فعل ذلك لأهلكه أهلها وقتلوه، أو أنها تدعى عليه المراودة على القبيح، وتقذفه به، وأنه إنما ضربها لامتناعها، وسيصدق الناس عليه ذلك. وعلى هذا التفسير لا يكون جواب (لولا) متقدما عليها، بل هو مقدر ومتأخر عنها، والتقدير: همّت به وهمّ بدفعها أو ضربها، لولا أن رأى برهان ربّه لفعل ذلك. وحذف الجواب هنا كحذفه فى قوله تعالى: (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم) [١٢١] ، والتقدير لهلكتم. أضف إلى ما تقدم: أن من يقول: المراد أنه عليه السلام قد همّ بالقبيح كما همت هى به، يحتاج هو الآخر أيضا إلى تقدير جواب، كأن يقال: همت بالقبيح وهم به لولا أن رأى برهان ربه لفعله.. الثانى: أن يحمل الكلام على التقديم والتأخير، أى: لقد همّت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها، وهذا كقولك: قد كنت هلكت لولا أنى تداركتك، وقتلت لولا أنى خلصتك، أى لولا تداركى لك لهلكت، ولولا ـ تخليصى لك لقتلت، وقال الشاعر: فلا يدعنى قومى ليوم كريهة لئن لم أعجل طعنه لم أعجل وقال الآخر: ولا يدعنى قومى صريحا لحرة لئن كنت مقتولا ويسلم عامر فقدم جواب (لئن) فى كلا البيتين. ومما يشهد على ذلك أنهم يقولون: قد كان زيد قام لولا كذا كذا (و) قد كنت قمت لولا كذا (و) قد كنت قصدتك لولا أن صدنى فلان "وإن لم يقع قيام ولا قصد، وهذا هو الذى يشبه الآية. وخلاصة الأمر: أن فى الآية شرطا، ويحتاج إلى جواب، وليس تقديم جواب (لولا) بأبعد من حذف الجواب من الأساس.. وإذا جاز عندهم الحذف ـ لئلا يلزمهم تقديم الجواب ـ جاز لغيرهم تقديم الجواب حتى لا يلزم الحذف. تذكير: إن الملفت للنظر هنا: أن أبا على الجبائى المعتزلى ـ تبعا لغيره ـ هم أصحاب مقولة: أن معنى هم بها اشتهاها، ومال طبعه إلى ما دعته إليه.. وقد روى هذا التأويل عن الحسن البصرى، من علماء العامة أيضا. قال المرتضى رحمه الله": ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى: (لولا أن رأى برهان ربه)، متعلقا بمحذوف، كأنه قال: لولا أن رأى برهان ربه لعزم أو فعل "انتهى [١٢٢] . هذا مع أن قوله تعالى: (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كانت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين)، يدل على صحة تقديم لولا عليها. لعل يوسف نسى أهله بعد انقطاع أخبارهم. لعل أهل يوسف قد نسوه بعد انقطاع أخباره. رؤية يوسف لإخوته كانت بمثابة الصدمة له. ضغط الأحداث على يوسف، جعل ذكر أهله يغيب عن فكره. وفى تفسير قوله تعالى: (وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه، فعرفهم وهم له منكرون). يقول البعض.. ": ومرت الأيام.. وابتعد يوسف عن أهله.. وابتعدوا عنه.. وربما نسيهم بعد انقطاع أخبارهم عنه، وربما نسوه بعد انقطاع أخباره عنهم.. وتحول الجميع لدى بعضهم البعض إلى ذكرى تغيب عن الفكر أمام ضغط الأحداث المتلاحقة ["]١٢٣] . ويقول": أما بالنسبة ليوسف، فقد كانت ملامحهم فى ذهنه، لأنهم كانوا كباراً عندما فارقهم، ولم يحدث فى حياتهم تغيير يذكر، يبعد الصورة

البارزة لـديه. لهـذا كانت رؤيته لهم، بمثابـة الصدمـة التى أعادته إلى الماضـى، وربما يكون قـد ساهم فى ذلك أنهم كانوا قد ذكروا أسماءهم، ومواقع بلادهم عند قومهم، فمن المتعارف لدى الناس، سؤال الغرباء عن هويتهم وبلادهم ["۱۲۴] .

وقفة قصيرة

ونقول: ۱ ـ ما المبرر لطرح احتمال نسيان يوسف لأهله.. وطرح احتمال نسـيان أهله له، حتى تحولوا لـدى بعضـهم البعض إلى ذكرى تغيب عن الفكر أمام ضـغط الأحـداث المتلاحقـة؟!. وإذا كانت الـذكرى للأهل تغيب عن الفكر أمام ضـغط الأحداث المتلاحقة فهل يصح اعتبار الأهل قد نسوا ولدهم، والولد قد نسـى أهله فى حالات الإنصراف الذهنى حين الإنشغال بالعمل، وذلك يكون حتى حين يكون الولـد جالساً إلى جنب أبيه وأمه؟!. وهل الأنبياء كانوا يعانون من ضـعف الـذاكرة إلى هـذا الحد؟! وما معنى أن ينسب مثل هذا الأمر إليهم؟! ۲ ـ ما معنى تصويره لحالـة يوسف حينما رأى إخوته، فعرفهم وهم له منكرون.. على أنها كانت بمثابة الصدمة له؟!! وهل يصـح اسـتعمال أمثال هذه التعابير فى حق أنبياء الله سـبحانه؟! ۳ ـ من أين اسـتنبط هـذا الحـدث حتى أخبر عنه على أنه حقيقة واقعة؟! ومن أين عرف أن ملامحهم لم يحدث فيها تغيير يذكر؟ وما هو الدليل القطعى الذى يثبت له ذلك؟! أو فقل: ما هى الأخبار المتواترة أو غير المتواترة التى تثبت هذا؟ ۴ ـ إننا نعتقد أن يوسف الذى كان يعيش آفاق النبوة لا يمكن أن ينشغل عن أهله، وأن ينساهم مهما طال الزمن، خصوصاً بالنسبة لأبيه النبى العظيم [۱۲۵] الـذى يرتبط به روحياً وإيمانياً، ـ قبل أن يرتبط به جسدياً ـ وبصورة أعمق وأوثق من أى ربـاط آخر بنحو يتناسب مع الآفاق التى يعيشـها الأنبياء، والمسؤوليات التى يحملونها. كما أن يعقوب لا يمكن أن ينسـى ولـده لنفس السـبب الذى اشرنا إليه، وقد طال حزنه عليه حتى ابيضت عيناه من الحزن. وقد صرح القرآن بأنه لم يكف عن ذكر يوسف طيلة تلك المدة، حتى قال له ابناؤه: تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين.. فمن كانت هذه حاله كيف يقال: إن أهله نسوه.. وإذا كان بعضـهم يوشك أن ينساه فإن حزن يعقوب وبكاءه عليه يمنع من حدوث هذا النسيان. ۵ ـ قد صرح هذا البعض: "بأن يوسف قـد عرف أسـماء اخوته ومواقع بلادهم من خلال أسـئلته التى وجهها لهم، فساهم ذلك فى تـذكره لهم. " فهل يريد هذا البعض أن يقول: إن يوسف الـذى أصبح على خزائن الأرض، وصار له هـذا الشأن العظيم، إنما لم يسـتخدم موقعه ونفوذه، والوسائل المتوفرة لـديه فى السؤال عن أهله، ومعرفـة أخبـارهم، وكـذلك لم يـأت بهم من البـدو بسـبب النسـيان الـذى طرأ عليه بسـبب ضـغط الأحداث المتلاحقة؟! وهل يعقل أن لا يخطر له على بال أبداً طيلة سنين، وسنين أن له أباً وأماً، وأن له إخوة وأنهم قريبون منه.. وأنهم هم الـذين أوقعوه بالمصائب، والبلايا؟!. ألم يمر فى وهمه أى خاطر من هذا القبيل ولو حين يأوى إلى فراشه فيدفعه ذلك إلى السؤال عن منطقتهم، وعن أحـوالهم، وعن مصـيرهم؟! إن ذلـك لغريب حقـاً، وأى غريب!! إننـا نبـادر إلى القـول بـأن يوسف الـذى هو نـبى اصـطفاه الله لا ـ يمكن أن ينسـى مسؤوليته الشـرعية تجـاه أبويه على الأقـل، ولزوم التعرف على أخبارهما، لأداء واجب البر بهما وصـلة رحمهما، التى هى من الواجبات.. وإن ما جرى لم يكن يجرى فى صـراط النسـيان والغفلة ـ وحاشاه من ذلك وهو نبى الله سبحانه ـ ثم التذكر حين مواجهة الصدمة (!!) على حد تعبير البعض بل كانت الأمور تجرى فى نطاق الخطة الإلهية، والرعاية الربانية لأنبيائه ورسله، وتسديدهم فيما يعملون له من نشر راية الحق والهدى، والفلاح والصلاح بنجاح. وهكذا كان..

يونس

اشاره

يونس(ع) ليس لـديه الصبر الكـافى. الله يؤدِّب نَبِيَّه يونس (ع). يونس (ع) تهرَّب من مسؤوليـاته. الله يعتبر يونس(ع) هاربا كإباق العبد من سـيده. يونس(ع) يخرج دون أن يتلقى تعليمات من الله. يتحدث البعض عـن تأديب الله ليونـس بسـبب عدم صبره، بملاحظة حجم

يونس، فيقول بلهجة عامية": ما كان عنده الصبر الذى تحتاجه المسألة، فتفسير (فظن أن لن نقدر عليه) ليس معناها أنه ظن أن الله لا يقدر عليه، أن لن نقدر عليه، يعنى أن نضيق عليه كأنه فى هذا المجال، وما فى مانع أن الأنبياء الله سبحانه يتعهدهم بالتربية وبالتأديب فى حالة من الحالات، لا سيما إذا كانوا أنبياء فى حجم يونس، وأمثال يونس من الأنبياء المحليين الخ ["..۱۲۶] . ويتحدث عن هروب يونس(ع) من مسؤولياته، وإباقه من الله، وأنه عندما لم يستجب له فيها منهم الكثيرون: خرج مغاضبا احتجاجا على ذلك، من دون أن يتلقى أية تعليمات من الله فى ذلك منه (اعتقادا منه) [۱۲۷] بأن المسألة لا تحتاج إلى ذلك، فقد قام بدوره كما يجب، ولم يدّخر جهدا فى الدعوة إلى الله بكل الأساليب والوسائل، ولم يبق هناك شيء مما يمكن عمله. ولكن الله اعتبرها نوعا من الهروب، فيما يمثله ذلك من معنى الإباق، تماما كما هو إباق العبد من مولاه ["۱۲۸] . ثم هو يقول": نستوحى من هذه القصة الخاطفة: أن الله قد يبتلى الدعاة المؤمنين، من عباده ورسله، فيما يمكن أن يكونوا قد قصّروا فيه، أو تهربوا منه من مسؤوليات. وأن الداعية قد يضعف أمام حالات الفشل الأولى، أو أوضاع الضغط القاسية، أو مشاكل الظروف الصعبة، كنتيجة لفكرة انفعالية سريعة، أو لشعور حاد غاضب. ثم يلطف الله بهم بعد أن يتراجعوا عن ذلك، ويرجعوا إليه، فينجيهم من بلائه، ويحوطهم بنعمائه، ويسبغ عليهم من ألطافه وآلائه، لئلا يتعقد الخطأ، أو الإنفعال فى شخصيتهم، لينطلقوا إلى الحياة من روحية الصفاء الروحى، والنقاء الشعورى، من جديد، ليبدؤا الدعوة من حيث انتهوا، ويتابعوا المسيرة بعزم، وقوة، وإخلاص. ثم نلتقى فى أعماق الموقف بالابتهالات الخاشعة الخاضعة لله فى روحية الإحساس بالعبودية، التى يشعر المؤمن معها بأن الله يلتقيه فى مواقع الإنابة، مهما كانت الخطايا والذنوب، وأن الخطأ لا يتحول إلى عقدة، بل يتحول إلى فرصة للقاء بالله من جديد، فى مواقع التوبة الحقيقية الخالصة، التى يبدأ فيها التائب تاريخا جديدا، وصفحة بيضاء من حياته ["۱۲۹] .

وقفة قصيرة

إننا قبل أن نتعرض لشرح الآيات الخاصة بنبى الله يونس عليه الصلاة والسلام، نشير إلى أمرين: أحدهما: إن ذلك البعض ـ حسبما أسلفنا ـ قد استوحى من قصة يونس(ع) أمورا ترتبط بما يبتلى الله به الدعاة من عباده ورسله، وذلك يعنى: أن ما استوحاه من قصة هذا النبى ظهر له من قصته، وأنه مما ابتلى به هذا النبى نفسه، وذلك يعنى أنه يمكن أن ينال جميع الأنبياء الآخرين، كما أنه قد قرر إمكانية ابتلاء الدعاة المؤمنين من عباد الله ورسله، بمثل ما ابتلى الله يونس، فيما يمكن أن يكونوا قد قصّروا فيه، أو تهربوا منه من مسؤوليات.. وها نحن هنا نذكر النقاط التى استوحاها، وهى التالية: أ ـ الدعاة من الرسل قد يقصرون فى واجباتهم كدعاة. ب ـ الدعاة والرسل قد يتهربون من مسؤولياتهم. ج ـ قد يضعفون أمام حالات الفشل الأولى. د ـ ضعفهم أمام الفشل قد يجعلهم ينفعلون ويغضبون. هـ ـ قد يلطف الله بهم لئلا يتعقدوا من الخطأ، أو الإنفعال. و ـ يجب أن لا يتحول خطؤهم إليعقدة بل إلى فرصة للقاء الله. ز ـ توبتهم تكون بفتح صفحة بيضاء جديدة، أو تاريخ جديد. الثانى: قد ظهر أن هذا البعض يرى أن تأديب الله لأنبيائه تابع لأحجامهم!! فثمّة أحجام تستدعى التأديب وتبرره، وقد كان يونس عليه السلام من هذا النوع بالذات!! ولا ندرى إذا كان السبب فى اتخاذ يونس لهذا الحجم (!!) وهو كونه نبيا محليا(!!) الأمر الذى يجعله ـ بنظر ذلك البعض ـ غير جامع للكمالات المطلوبة، وليس فى المستوى الذى يؤهله لتقدير مسؤولياته، ويمنعه من الهروب منها!! ولكن ليت شعرى أَىُّ نبى سَلِمَ من نسبة الخطأ فى تقدير الأمور إليه، من قبل هذا البعض؟ فقد تقدم أن موسى عليه السلام – وهو من أولى العزم – وأخاه هارون (ع) قد أخطأا أو أحدهما فى تقدير الأمور.. بل قد جُعِلَ الخطأ قاعدة – لدى هذا البعض ـ نالت جميع الأنبياء حتى سيّد المرسلين وأفضل الأنبياء نبيّنا محمد(ص).

تفسير الآيات

ومهما يكن من أمر، فإننا نشير هنا إلى تفسير الآيات التى تحدثت عن يونس، فنقول: إن قصة يونس (ع) من خلال الآيات لا تدل على تلك المقولات التى أطلقها البعض، فقد تحدث الله سبحانه عن يونس(ع) فى أكثر من موضع من كتابه العزيز، ونحن نذكر أولا الآيات التى ذكرت، وهى التالية: أ ـ قال تعالى: (وذا النون إذ ذهب مغاضبا، فظن أن لن نقدر عليه، فنادى فى الظلمات: أن لا إله إلّا أنت سبحانك، إنى كنت من الظالمين. فاستجبنا له، ونجيناه من الغمّ، وكذلك ننجى المؤمنين). ب ـ وقال تعالى مخاطبا نبيّه: (.. فاصبر لحكم ربّك، ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم. لولا أن تداركه نعمة من ربه، لنبذ بالعراء، وهو مذموم. فاجتباه ربه، فجعله من الصالحين). ج ـ وقال سبحانه: (وإن يونس لمن المرسلين، إذ أبق إلى الفلك المشحون. فساهم فكان من المدحضين، فالتقمه الحوت وهو مليم، فلولا أنه كان من المسبحين، للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون. فنبذناه بالعراء وهو سقيم. وأنبتنا عليه شجرة من يقطين. وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون. فآمنوا فمتعناهم إلى حين). وهنا نذكرّ القارئ الكريم بنقاط تدل على براءة يونس(ع) مما ينسب إليه، وهى التالية: ۱ ـ كلمة مغاضباً التى تعنى حدوث فعل الإغضاب من طرفين، ـ أحدهما يونس عليه السلام ـ حيث يريد كل منهما أن يغضب الآخر، ولا يصح القول بأن المغاضبة قد كانت بين يونس(ع) وبين الله سبحانه، فإن فرض ذلك لا يليق بمؤمن صالح فضلا عن أن تكون قائمة بين الله سبحانه وبين يونس (ع)، فلم يكن ثمة سعى من يونس (ع) لإغضاب الله تعالى، ولا إرادة من الله سبحانه لإغضاب يونس (ع)، فإذا كان الله سبحانه يقول عن سائر المؤمنين: (رضى الله عنهم ورضوا عنه)، فكيف بالأنبياء الكرام، ومنهم يونس (ع)؟ إن الحقيقة هى أن المغاضبة كانت بين يونس(ع) وبين فريق آخر، والظاهر أنهم قوم يونس (ع)، الذين يئس من هدايتهم، وتنحى عنهم بعد أن علم أن العذاب سينزل عليهم. فالتجأ إلى الفلك المشحون بالناس، وكان قومه يطلبونه، ليوصلوا إليه الأذى، لأنهم كانوا يرونه قد أساء إليهم، فاعتبروه فارّا وآبقا منهم، وكانوا لا يصدقون بنزول العذاب عليهم. فلما رأوا علائم العذاب استكانوا إلى الله وخضعوا له، فكشف الله عنهم العذاب، ومتعهم إلى حين. وكان ذلك فى غياب يونس (ع)، ولم يكن يونس (ع) يعلم بذلك، وتذكر بعض الروايات: أَنَّ جبرئيل عليه السلام كان قد استثنى فى هلاكهم، ولم يسمعه يونس (ع)، فإن كان ذلك الإستثناء قد حصل حين الوحى ليونس فلا بد من توجيه الرواية أو طرحها، حتى لا يكون ثمة تقصير من قبل جبرئيل (ع) فى إيصال الوحى، ولا ـ فى يونس (ع) فى تلقيه له. وإن كان ذلك على سبيل الحديث العادى، الذى يجرى بين اثنين، فأراد جبرئيل أن يخبر يونس من عند نفسه، لا على سبيل إيصال الوحى الإلهى إليه، فلا مانع من أن يكون جبرئيل (ع) قد تعمد أن لا يسمع يونس (ع) هذا الإستثناء إذ لا يضر ذلك فى تلقى الوحى، ولا فى إلقائه، لأن هذا ليس من الوحى أساساً، ولكننا لانجد مبررا عقلانيا لتصرف كهذا من قبل جبرئيل (ع). وإن كان حديثه مع الأنبياء فى أمور ليست من الوحى الإلهى مما لاشك فيه. وقد روى أن جبرئيل كان بعد وفاة رسول الله (ص) يأتى إلى فاطمة (ع) ويحدثها بما يسليها، وكان على عليه السلام يكتب ذلك فى مصحف فاطمة(ع) [۱۳۰] . ۲ ـ قوله تعالى: (فظن أن لن نقدر عليه) أى: أن نضيق عليه، فالذى يكون آبقا وهاربا من المسؤولية لا يظن أن الله سوف لا يضيق عليه، بل هو يتوقع التضييق، وأن يلاقى جزاء هروبه هذا.. إذن الفقرة تشير إلى أنه (ع) كان واثقا من رضا الله عنه، ولم يكن آبقا منه تعالى، ولا هاربا من مسؤولياته. وكلمة ظن هنا بمعنى: عَلِمَ [۱۳۱] ، لكن بما أن العلم هو انكشاف للواقع.. وبما أن المتعلق هنا أمر مستقبلى، فإن المستساغ هو استعمال كلمة ظن بدل علمه مراعاة لهذه الخصوصية، فى الظواهر التعبيرية، وحسب. ۳ ـ إن مناداة يونس عليه السلام فى الظلمات الثلاث، اعنى ظلمة الليل، وظلمة أعماق البحار، وظلمة بطن الحوت (لا إله إلّا أنت سبحانك) تؤكد على حقيقة التوحيد الخالص لدى يونس (ع) ـ خصوصا فى هذا الموقع ـ حيث لم يتعلق بغير الله سبحانه كمنقذ له من ذلك البلاء.. فهو العالم به، وهو القادر دون سواه على إنقاذه. أما قوله: (إنى كنت من الظالمين)، فهو تعبير يشير إلى رسوخ قدم هذا النبى فى معرفة الله، فإنه يرى نفسه باستمرار مقصرا عن أداء شكر ربه، وعن قيامه بواجبه تجاهه، وعن عبادته حق عبادته، فكلمة (كنت) قد جاءت مجردة عن الزمان، والمراد بها الحديث عن خصوصية ذاته، كما يقتضيه مقام العبودية. ويشير إلى ذلك ما روى من تفسير الإمام الرضا (ع) له بقوله: إنى كنت من الظالمين بتركى مثل هذه العبادة التى أفرغتنى لها فى بطن الحوت. وبكلمة موجزة نقول: لا بد من تنزيه الأنبياء عن ارتكاب

الظلم الـذى ربما يخطر بالبال حين سـماع هذا التعبير، قبل التأمل والتعمق فى فهم المراد.. ۴ ـ إنه لو كان سبحانه هو الذى ابتلى يونس (ع) بالتقام الحوت ليؤدبه بـذلك على ما فرط منه، وعلى إباقه منه، فان المناسب أن يقول فرفعنا عنه العقوبـة، لا أن يعبر بكلمة أنجيناه من الغم فان ذلك يشير إلى أن الله سبحانه قد نجاه من بلاء ناله من غير جهة الله سبحانه. ۵ ـ إن قوله تعالى: (وكذلك ننجى المؤمنين) كأنه تعليل لإنجائه تعالى ليونس (ع)، مشيرا بذلك إلى أن إيمان يونس (ع) هو السبب فى هذا التدخل الإلهى، وهذا ما لا يتناسب مع مـا يقوله هـذا البعض من إبـاق يونس عليه السـلام كإباق العبـد من سـيده، وهروبه من مسؤولياته.. إذ لو كان الهروب من المسؤوليـة، لكان الأنسب سوق الحديث باتجاه تأكيد التوبة والإستغفار، لأنه هروب يحتاج إلى ندم وتضرع وتوبة، ثم قبول إلهى لها، فيقول مثلا، وكـذلك نرحم التائبين، ونحسن إليهم ونتوب عليهم، بدل أن يقول وكذلك ننجى المؤمنين، الظاهر فى أن انجاءه له، إنما كان جائزةً ومكافأةً له على إيمانه.. ۶ ـ أما آيات سورة القلم، التى تقـدمت فى أوائل هـذه الوقفـة، فإنما يراد بها أن يتـذرع الرسول الأكرم (ص) بالصبر، لينال بـذلك مقاما عظيما يفوق مقام يونس عليه السـلام. فان دعاء يونس (ع) وهو مكظوم أى مختنق بغيظه، لم يحط من مقام يونس، ولولا أن تـداركته نعمـة من الله لنبذ من قبل غير الله سـبحانه ـ تماما كما هى سـنّة الله فى هذه المواقع ـ بالعراء على أقبح صورة ممكنـة ولناله أعظم السوء، ولكنه لو تحمّل المزيـد لحصل على مقام أسـمى مما هو فيه.. فالله يريـد لنبيّه أن يتسامى فى مـدارج القرب ليصل إلى أبعـد منازل الكرامـة الإلهية، ولا يريد له أن يقف عند هذا الحد، ويرضـى بما ناله، وبما وصل إليه، كما كان الحال بالنسـبة إلى يونس (ع)، فالتشبيه إنما هو فى هـذه الناحيـة. فالآيات إذن ما هى إلّا إرشاد من الله للرسول إلى هـذه الخصوصـية، التى لا يسـتلزم تركها تنزلا عن المقام الذى هو فيه، غير أن فعلها له آثاره الكبيرة فى نيل أسمى درجات القرب والكرامة. ۷ ـ فيونس (ع) إذن واقع فى مأزق، فلحقته نعمـة الله فنجا، ولو كان المراد قبول توبته، لكان الأنسب التعبير بالرحمـة بدل النعمة. وقوله: (وهو مذموم) لا يراد به الذمّ من قبل الله سبحانه كما ألمحنا إليه. ۸ ـ قد ظهر أن الإباق إلى الفلك المشحون، لم يكن إباقا من الله سبحانه، ولا هروبا من المسؤولية، بل هو إباق إليه، من موقع المسؤولية فى مواجهة تبعاتها. ۹ ـ وقوله تعالى: (فلولا أنه كان من المسبحين) يشير إلى عدم إباق يونس(ع) من الله تعالى، لأن من كان كل حياته من المسـبحين، حتى اسـتحق بذلك معونة الله له، فإنّه لا يهرب من ربّه، ولا يتمرد عليه. ۱۰ ـ إن معنى أبق العبد: ذهب بلا خوف، ولا كد عمل، أو اسـتخفى، ثم هرب [۱۳۲] ، هـذا هو المعنى اللغوى لكلمة أبق، فليس فيه أن هروبه لا بد أن يكون من مولاه، على صـفة التمرد، والخروج عن زى العبودية. نعم قد فسّر فى الشرع بذلك، فان الآبق شرعا (مملوك فرّ من مولاـه، تمردا أو عنادا لسوء خلقه) [۱۳۳] . ۱۱ ـ قوله: (وهو مليم) أى يلوم غيره، لاـ أنه يلوم نفسه، فان هـذه الكلمـة هى اسم فاعل من (ألام) بمعنى (لام)، أو بمعنى (أتى ما لا يسـتحق اللوم عليه)، وتلك إشارة أخرى تؤكد عدم اسـتحقاق يونس(ع) لأدنى لوم، ولو كان آبقا من ربّه لاسـتحقّ أشـدّ اللوم بل العقاب بلا ريب. يونس اسـتنفد تجاربه فى الـدعوة إلى الله. يونس لم يفكر بالمرحلة الجديدة من عمله. يـونس لم ينتظر نتائـج التجربـة الأـخيرة. يونس يعيش جو الحيرة. أراد يونس أن يخرج من جو الغم والحزن والحيرة ليجـد ملجأ جديدا. ظن يونس أن لن يضـيق الله عليه فجاءت النتيجة عكس ما كان يتصوره. يونس خرج من دون أن يستأذن الله فى ذلك. يونس يقول ظلمت نفسـى فى تقصـيرى فى أمر الـدعوة من غير قصد. أنا عائد إليك يا رب لتكشف عنى أجواء الحيرة. كان خروجه السـريع سرعة انفعالية فى اتخاذ القرار. قد لا يكون خروج يونس تهرباً من المسؤولية. يقول البعض": ولكن المراد هنا من كلمة (نقدر) المعنى الـذى يلتقى بالتضـييق، أو بالتحديـد كما فى قوله تعالى: (وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه) (الفجر: ۱۶) وهكذا يكون معنى الآية، إن هـذا العبـد الصالـح خرج مغاضـباً لقومه، وهو يظن أنه قـد ملك حريته، بعـد أن انتهت مهمته باسـتنفاد كل تجاربه فى الـدعوة إلى الله وعـدم تجـاوب قـومه معـه، واسـتحقاقهم العـذاب على ذلـك، وقرب نزولـه عليهـم، فلم يفكر بالمرحلـة الجديـدة من عمله، ولم ينتظر عودتهم إلى الإيمان من خلال التجربة الأخيرة التى قد تحقق نتائج كبيرة على هذا الصعيد، وهى مسألة تهديدهم بالعذاب الذى ثبت ـ بعـد ذلك ـ أنه كان الصدمـة القوية التى أرجعتهم إلى عقولهم، فانفتحت قلوبهم على الإيمان بالله وبرسالاته من جديد. كما حدثنا الله عن ذلك فى آية أخرى. لقد كانت لحظة انفعال تختزن الغضب لله، ولكنها لم تنطلق للتفكير بالمستقبل فى آفاق الدعوة إلى الله، التى

تعمل على أن تطل على الآفاق الواسعة من عقل الإنسان وروحه وقلبه لتنتظر منه انفتاحة إيمان، ويقظة روح، وخفقة قلب.. وفى هذا الجو كـان خروجه السريع، سرعة انفعالية فى اتخاذ القرار، وقد لا يكون ذلك تهرباً من المسؤولية، وحباً للراحة، وابتعاداً عن أثقال الرسالة ومشاكلها، فربما كان الجو يتحرك فى حالة شديدة من الحيرة والغم والحزن، مما يريد معه أن يخرج من هذا الجو الخانق ليجد لنفسه ملجأً جديداً، أو موقعاً آخر للدعوة، أو لأى مشروع جديد، فى هذا الإتجاه، وهو يظن أن الله لن يضيق عليه أمره، فى رزقه، وفى حركته، وجاءت النتيجة غير ما كان يتصوره أو ينتظره، فالتقمه الحوت، بعد أن وقعت القرعة عليه، وعاش فى ظلمات البحر، وجوف الحوت، وظلمات الهم والغم، وانفتحت أمامه من جديد، آفاق إيمانه الواسع، فعاش روحيته مع الله فى ابتهال وخشوع، وبدأ يتذكر لطف الله به ورعايته، وتكريمه إياه من خلال ما اختصه به من رسالته وما سهل له من سبل الحياة، وهداه اليه من وسائلها، وكيف خرج من دون أن يستأذن الله فى ذلك، أو ينتظر ما يحدث لقومه، فانطلقت صرخته المثقلة بالهم الكبير الروحى والرسالى الذاتى، من كل أعماقه، فى استغاثة عميقة بالله وحده لا سيما فى مثل ظروفه التى لا يملك أحد فيها أن يقدم إليه شيئاً. (فنادى فى الظلمات أن لا ـ إله إلا ـ أنت) فلا ملجأ لأى هارب أو ضائع أو حائر إلا إليك، ولا ملاذ إلا أنت، فأنت القادر على كل شىء، والرحيم لكل مخلوق، والعليم بكل الخفايا والمهيمن على الأمر كله و الغافر لكل ذنب، والمستجيب لكل داع، والمغيث لكل ملهوف، والمفرج عن كل مهموم ومكروب.. وليس لى غيرك اسأله كشف ضرى والنظر فى أمرى، فأنت ربى وسيدى ومولاى وملاذى فى كل الأمور، (سبحانك) إذ يختزن قلبى وعقلى ووجدانى الإحساس بعظمتك فى كل مواقع العظمة فى مجالات التصور، وفى حركة القدرة فى الواقع، فى مظاهر الخلق والإبداع.. فيتحول ذلك إلى تسبيح منفتح خاشع مبتهل إلى الله، (إنى كنت من الظالمين) فقد ظلمت نفسى فى تحركى، أو تقصيرى فى سبيل الدعوة، من غير قصد، ولا عمد، وها أنذا ـ يا رب ـ راجع إليك بكل قلبى وعقلى وحياتى، لتتقبلنى بكل لطفك ورضوانك ورحمتك، ولتكشف عنى فى كل أجواء الحيرة والغم التى تغمرنى بالآلام والمشاكل، فهل تستجيب لى؟ إنك انت الذى تستجيب كل الدعوات لمن دعاك ["١٣٤"].

وقفة قصيرة

ونقول: ١ ـ إن ثمة إصلاحاً طرأ على عبارة هذا البعض وهو: أنه كان قد جزم فى الطبعة الأولى من كتابه" من وحى القرآن "بأن الله سبحانه قد اعتبر ما فعله يونس تهرباً من المسؤولية، لكنه فى هذه الطبعة قال: قد لا يكون ذلك تهرباً من المسؤولية. ولعله قد ظن أن الناس سوف يعتبرونه قد اصلح وتراجع عن مقولته السابقة، الظاهرة فى الإخلال بالعصمة للأنبياء.. ولكن الحقيقة هى أن ما فعله هنا قد ظاهر إصراره الشديد على الطعن بعصمتهم (عليهم السلام) حيث قد نبهنا فى الأبحاث السابقة لهذا الكتاب ـ وربما أكثر من مرة ـ إلى أن احتمال صدور المخالفة من النبى لا ينسجم ولا يجتمع مع اليقين بعصمته، مهما كان ذلك الاحتمال ضعيفاً، حتى ولو بنسبة واحد بالمئة.. فإن عبارة": قد لا يكون ذلك تهرباً "تعنى أن احتمال أن يكون تهرباً، لا يزال باقياً أيضاً. ولا يحتمل فى حق المعصوم أن يتهرب من المسؤولية فى أى من الظروف والأحوال، لأن احتمال ذلك فى حقه معناه: أننا لسنا على يقين من عصمته.. وذلك واضح.. ٢ ـ من اين علم هذا البعض: أن يونس لم ينطلق للتفكير بالمستقبل فى آفاق الدعوة إلى الله، التى تعمل على أن تطل على الآفاق الواسعة من عقل الإنسان وروحه وقلبه، لتنتظر منه انفتاحة إيمان، ويقظة روح، وخفقة قلب ـ على حد تعبيره؟! فإن هذا الكلام يمثل إخباراً غيبياً عن ضمير يونس، وعن خلجات قلبه، كما أنه يمثل إدانة خطيرة له، فلماذا يسىء الظن ولا يحسنه بهذا النبى الفانى فى الله، والباذل نفسه، وكل حياته ووجوده فى سبيله؟! أم أن الله أطلعه على قلب نبيه بعد آلاف السنين، فانبرى ليخبرنا بهواجسه واهتماماته، وبنجواه، وخلجات قلبه، وما فيه إدانة بل إهانة له؟! إننا نعتقد أن جميع الأنبياء لا يفكرون بمصالحهم كأشخاص، وإنما يفكرون فى مستقبل الرسالة، ويخططون له، ويتحملون مسؤولياتهم فى ذلك. ٣ ـ أضف إلى ذلك: أن هذا البعض قد جزم بأن يونس (عليه السلام) قد خرج من دون أن يستأذن الله فى ذلك، أو ينتظر ما يحدث لقومه، ولا ندرى من أين، وكيف جاز له الجزم بهذا

الخبر التاريخي وهو الذى لا يقبل بخبر الواحد، بل يشترط التواتر أو كل ما يفيد الجزم واليقين بالأخبار التاريخية سواء من حيث السند أو من حيث الدلالة.. كما أننا قد قلنا فيما ذكرناه سابقاً من قصة يونس (ع): إن قومه هم الذين كانوا يرونه آبقاً منهم وإننا لننزه ساحته وهو النبى المعصوم عن أن يعمل عملاً ـ من تلقاء نفسه، ومن دون أن يتحقق من رضا الله سبحانه وتعالى فيه، فإن ذلك مما ينافى انقياده لله سبحانه، ويخلّ بأهليته لمقام النبوة والرسالة.. ۴ ـ إننا نعتقد: أن الأنبياء لا يقومون بتجارب فى حقل الدعوة إلى الله سبحانه، لأن هذا التعبير (تجربة ـ تجارب) له إيحاءات سيئة ـ وهو يؤمن بالإيحاءات، وكتابه موضوع على أساسها ـ لا مجال للإلتزام بها، من حيث إنه يختزن أن من يمارس التجربة لا يملك المعرفة التامة بجدوى ودقة ما يقوم به.. كما أنه يختزن معنى الخطأ فى إصابة الواقع.. إن الأنبياء لا يقومون بتجارب، و إنما يعملون بوظيفتهم الشرعية التى لا يشكون فى أنها المعالجة الصحيحة والدقيقة.. غير أن حالة استكبار قومه ـ كما هو الحال فى استكبار إبليس ـ وجحودهم، هو الذى يمنع من أن يؤثر هذا البلسم الشافى أثره. ۵ ـ وقول هذا البعض": إن يونس (عليه السلام) لم يفكر فى المرحلة الجديدة من عمله "وإنه": لم ينتظر نتائج التجربة الأخيرة "ما هو إلا ـ رجم بالغيب، لا يملك دليلاً قطعياً يثبته ـ حسب ما يشترطه هذا البعض ـ وهل يمكن أن يجد دليلاً يثبت على أنبياء الله القصور والتقصير فى مسؤولياتهم؟! أضف إلى ذلك أنه هو نفسه يقول": إن النفى يحتاج إلى دليل، كما الإثبات يحتاج إلى دليل. "۶ ـ إن الله لم يضيق على يونس، بل كان الله الذى وثق به يونس هو الذى هون عليه المشكلات التى واجهها، وذلل المصاعب والمصائب التى حلت به وحفظه، ورعاه.. فكان الله معه فى كل صغيرة وكبيرة، وكان ظن يونس علماً صحيحاً وقطعياً، قد تحقق كما أراد يونس صلوات الله وسلامه عليه. ۷ ـ إن يونس لا ـ يمكن أن يقصر فى أمر الدعوة وهو النبى والمسؤول الأول فيها وعنها، وذلك معلوم وواضح. ۸ ـ إن كلام هذا البعض عن حيرة يونس لا يمكن قبوله، فإنه كان يعرف تكليفه الإلهى والشرعى بدقة، وينفذ ما يريده الله منه دون زيادة أو نقيصة. ولا يمكن أن نتصور نبياً حائراً، ولا يدرى ما هو تكليفه الشرعى، ولا يعرف كيف يقوم بواجبه، وكيف ينجز مسؤولياته. ۹ ـ إن كلامه عن الخروج من جو الحزن والغم والحيرة ليجد لنفسه ملجأً آخر يعطى: أن يونس إنما كان مهتما بنفسه كشخص.. او على الأقل هو يحتمل ذلك فى حقه ـ كما ويحتمل أن يكون بصدد البحث عن موقع آخر للدعوة. فلماذا لا يكون واضحاً وصريحاً فيما يريد أن ينسبه إلى يونس ليعرّف القارئ مراده بدقة، ويحفظه من غائلة الريب والشك فى أنبياء الله سبحانه وتعالى. درجات الأنبياء فى الكمال تتفاوت حسب مواقعهم الإيمانية. استعجال يونس العذاب لقومه بسبب ضعفه البشرى. استسلام الأنبياء للضعف البشرى تابع لدرجاتهم. يونس لم يصبر لتبلغ الرسالة مداها فى تحقيق شروط النجاح، أو نهاية التجربة. ليس ضروريا أن يكون الاستسلام للضعف فى حجم المعصية. ويقول البعض": من إيحاءات الآية: وقد نستوحى من هذه الوصية للنبى أن لا يكون كصاحب الحوت الذى ضاق صدره بتكذيب قومه، فاستعجل العذاب لهم، ولم يصبر على الامتداد فى تبليغ الرسالة لتبلغ مداها فى تحقيق شروط النجاح أو نهاية التجربة. قد نستوحى من ذلك، أن الأنبياء يستسلمون لنقاط الضعف البشرى تبعا لدرجاتهم.. وقد لا يكون من الضرورى أن يكون ذلك فى حجم المعصية، لأنهم ربما انطلقوا من معطيات إيمانية فى الغضب لله ولرسوله ولكن ذلك يعنى أن درجاتهم فى الكمال تتفاوت حسب تفاوت مواقعهم الإيمانية الروحية ["۱۳۵] .

وقفة قصيرة

قد شرحنا هذه الآيات فيما مضى من هذا الكتاب.. وأوضحنا أن الحديث فيها عن صبر يونس لا يتجه إلى اتهام يونس بالاستسلام للضعف البشرى وعدم صبره إلى أن تبلغ الرسالة مداها فى تحقيق شروط النجاح أو نهاية التجربة ليقول لنا البعض بعد ذلك: هل إن ذلك فى حجم المعصية أم لا؟.ً ۱ ـ ولكن الذى لفت نظرنا هنا هو قول هذا الرجل": قد لا يكون من الضرورى أن يكون ذلك فى حجم المعصية، لأنهم ربما انطلقوا من معطيات إيمانية الخ. "..فإن هذا الكلام يستبطن احتمال المعصية فى حق يونس عليه السلام كما يفهم من قوله ": قد لا ـ يكون من الضرورى. "!!وقوله": لأنهم ربما انطلقوا. "وهذا الأمر مرفوض فى حق الأنبياء حتى على مستوى

الاحتمال.ً۲ ـ ولفت نظرنا أيضا: ما أطلقه فى حق الأنبياء من أن استسلامهم لنقاط الضعف البشرى يكون تبعا لدرجاتهم. فلو فرضنا جدلاً: أنهم يستسلمون لنقاط الضعف البشرى، فمن أين استنتج أنهم يختلفون فى درجات الاستسلام هذه تبعاً لدرجاتهم، فما هى القرينة فى الآية المباركة التى تدل على ذلك؟ فالآية قد جاءت خطابا للنبى (ص) وهى تدل إذن على أن ذلك ممكن فى حق نبينا (ص) كما هو ممكن فى حق يونس (ع) مع علمنا باختلاف الدرجة فيما بينهما. هذا بالإضافة إلى أن هذا البعض يزعم عدم ثبوت تفضيل النبى (ص) على سائر الأنبياء [۱۳۶] ثم يشرح حقيقة ما فضل الله به بعض الأنبياء على بعض فيقول..(": ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) [۱۳۷] فيما ميزناهم به من مواقع العمل، وطبيعة المعجزة، ونوعية الكتب، من قاعدة الحكمة التى أقام الله عليها الحياة [۱۳۸] .ً۳ ـ ولفت نظرنا أيضا ما زعمه من أن استعجال يونس العذاب لقومه، إنما هو لأن صدره قد ضاق بتكذيبهم. فهل ذلك يعنى أن يونس عليه السلام كان متسرعا، وأن المسألة قد انطلقت من ضعف يونس الذى ألجأه إلى مواجهة ألوف من الناس بالعذاب الماحق، وبالخطر الداهم والساحق، الأمر الذى يعنى أن قومه قد ذهبوا ضحية ضعفه البشرى.؟! وهذه تهمة خطيرة فى حق أنبياء الله صلوات الله عليهم. والأدهى من ذلك أن الله سبحانه قد جارى نبيه هذا الضعيف فى ذلك حتى رأوا نذير العذاب بالفعل..ً۴ ـ ثم هو ينسب إلى نبى من أنبياء الله أنه لم يصبر على الامتداد فى تبليغ الرسالة، حتى تبلغ مداها فى تحقيق شروط النجاح أو نهاية التجربة. وهذا معناه تسجيل تهمة على هذا النبى أنه لم يقم بمهمة التبليغ الرسالى على الوجه الأكمل والأمثل، لأنه لم يصبر على الرسالة لتحقق شروط النجاح. مع أنه هو نفسه يسلم بعصمة النبى فى مقام التبليغ، ولا بد أن يكون ذلك يشمل صورتى الخطأ والتقصير فى التبليغ على حد سواء.

داود و سليمان و زكريا و يحيى و عيسى

اشاره

قضية داود (ع)كقضية آدم (ع). داود (ع) يستسلم لعواطفه فى قضائه. داود (ع) يعتمد على ما لا يصح الإعتماد عليه فى القضاء. داود (ع) يخطىء فى إجراء الحكم. الله هو الذى أراد لداود (ع) أن يقع فى الخطأ. خطأ داود (ع) كانت له نتائج سلبية. الخطأ لا يتنافى مع مقام النبوّة. ويقول البعض عن قصة حكم داود (ع) بين الخصمين": وهكذا أطلق داود الحكم، وتدخل فى تفسير المسألة من ناحية اعتبارها مظهرا من مظاهر الإنحراف الإجتماعى فى العلاقات العامّة فى الحقوق المتنازع عليها بين الناس.. ولم يكن قد استمع إلى الطرف الآخر مما تقتضيه طبيعة إدارة الحكم فى جانب الشكل والمضمون، فعليه أن يدرس الدعوى، من خلال الإستماع إلى حجة المدعى ودفاع المدّعى عليه.. لأن مسألة الغنى والفقر، والكثرة والقلة، لا يصلحان أساسا للحكم على الغنى الذى يملك الكثير لحساب الفقير الذى يملك القليل أو لا ـ يملك شيئا فى دائرة الحق المختلف فيه.. ولكن المشاعر العاطفية قد تجذب الإنسان إلى الجانب الضعيف فى الدعوى، لتثير فيه الإحساس بالمأساة التى يعيشها هذا الإنسان من خلال ظروفه الصعبة بينما يعيش الإنسان الآخر الراحة والسعة فى أجواء اللامشكلة، مما يجعل من الحكم على الضعيف تعقيدا لمشكلته بينما لا يمثل الحكم عليه لمصلحة الضعيف مشكلة صعبة بالنسبة إليه.. هذا بالإضافة إلى أن طبيعة الواقع الذى يتحرك فى حياة الناس تستبعد أن يكون هذا الفقير معتديا على الغنى، لا سيما فى هذا الشىء البسيط، بينما يمكن أن يكون الغنى فى جشعه وطمعه معتديا على الفقير من موقع قوته، كما هى حال الأقوياء بالنسبة إلى الضعفاء.. (وظن داود إنما فتّناه) أى أوقعناه فى الفتنة، أى فى البلاء والإختبار الذى يفتتن به الإنسان فيكون معرضا للخطأ من خلال طبيعة الأجواء المثيرة الضاغطة المحيطة به وانتبه ـ بعد إصدار حكمه لمصلحة صاحب النعجة، إلى استسلامه للمشاعر العاطفية أمام مأساة هذا الإنسان الفقير، وخطأه فى عدم الإستماع إلى وجهة النظر الأخرى (فاستغفر ربّه) على هذا الخطأ فى إجراءات الحكم الشكلية (وخرّ راكعا وأناب) أى رجع إلى الله وتاب إليه وأخلص إليه. قصة داود أمام علامات الاستفهام فغفرنا له ذلك الخطأ

الـذى لم يؤد إلى نتيجة سـلبية كبيرة فى الحياة العامة ولم يصل إلى الموقف الحاسم فى تغيير الواقع (وإن له عندنا لزلفى) وهى المنزلة والحظوة (وحسن مـآب) فيمـا يرجع إليه من رحمـة الله ورضوانه. "..إلى أن قـال فى جملـة نقـاط ذكرهـا": النقطـة الثانيـة: كيف نفهم المسألة فى دائرة فكرة عصـمة الأنبياء، أمام تصـريح الآية بالإسـتغفار والرجوع إلى الله بعد الفتنة التى لم يسـتطع النجاح فيها، فأخطأ فى إدارة مسألة الحكم فى الجانب الإجرائى منه.. ربما تطرح القضية، على أساس أن الخصمين إذا كانا من الملائكة، فإنها لا تكون تكليفا حقيقيا، بل هى قضـيّة تمثيليـة على سبيل التـدريب العملى ليتفادى التجارب المسـتقبلية فيما يمارسه من الحكم بين الناس،.. تماما كما هى قضـية آدم التى كانت قضـية امتحانية لا تكليفا شـرعيا، فلم تكن هناك معصـية بالمعنى المصطلح، وبذلك يكون الإستغفار مجرد تعبير عن الإنفتاح على الله والمحبـة له، والخضوع له فيما يمكن أن يكون قـد صدر عنه من صورة الخطيئة، لا من واقعها، وأما إذا كان الخصـمان من البشـر، فقد يقال بأن القضاء الصادر من داود لم يكن قضاء فعليا حاسـما بل كان قضاء تقديريا، بحيث يكون قوله: (لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه)، بتقـدير قوله: لو لم يأت خصـمك بحجّة بيّنـة. ولكن ذلك كله لا يمنع صدور الخطأ منه، فإنّه لم ينتبه إلى أن الخصـمين ملكان، بل كان يمارس القضاء بالطريقـة الطبيعية على أساس أنهما من البشـر.. وبذلك فلم تكن المشـكلة هى إنفاذ الحكم ليتحدث متحدث بأن المسألة قد انكشـفت قبل إنفاذه، أو أنها لم تكن واقعية بل كانت تمثيلية، بل المشكلة هى الخطأ فى طريقـة إجراء الحكم.. فلا بـدّ من الإعتراف بأن مثل هذه الأخطاء لا تتنافى مع مقام النبوّة، لا سـيّما إذا كانت الأمور جارية فى بداياتها مما قـد يراد به الوقوع فى الخطأ من أجل أن يكـون ذلك بمثابـة الصدمة القويّة التى تمنع عـن الخطأ فى المسـتقبل. وتابع هذا البعض فقال: وقد أكّد الإمام الرضا (ع) ـ ذلك ـ فيما روى عنه فى عيون أخبار الرضا، قال الراوى وهو يسأله عن خطيئة داود(ع): يا بن رسول الله مـا كـانت خطيئته فقـال: ويحـك إن داود إنمـا ظن أنه ما خلق الله خلقا هو أعلم منه، فبعث الله إليه الملكين فتسوّرا المحراب فقالا: (خصـمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط، إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحـدة فقـال أكفلنيهـا وعزّنى فى الخطـاب) فعجّل داود على المـدعى عليه فقال: (لقـد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه)، ولم يسأل المدعى البيّنة على ذلك ولم يقبل على المدعى عليه فيقول له: ما تقول؟ فكان هذا خطيئة رسم الحكم لا ما ذهبتم إليه. وقد ذكرنا فى هـذا التفسير أن علينـا أن نأخـذ الفكر فى طبيعـة العقيـدة من نصوص القرآن الظـاهرة، لا ـ من أفكـار خارجـة عنه، مما قـد تتحرك به الفلسفات غير الدقيقة ["١٣٩] .

آيات حكم داود

قـال الله تعـالى: (إصبر على مـا يقولون واذكر عبـدنا داود ذا الأيـد إنّه أوّاب. إنّا سـخّرنا الجبال معه يسـبّحن بالعشـىّ والإشـراق. والطير محشورة كلٌّ له أوّاب. وشـددنا ملكه وآتيناه الحكمـة وفصل الخطاب. وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوّروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصـمان بغى بعضـنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط. إنّ هذا أخى له تسع وتسـعون نعجـة ولى نعجـة واحدة فقال أكفلنيها وعزّنى فى الخطاب. قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإنّ كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضـهم على بعض إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم، وظن داود إنما فتّناه فاستغفر ربّه وخرّ راكعا وأناب. فغفرنا له ذلـك وإنّ له عنـدنا لزلفى وحسن مـآب. يا داود إنّا جعلناك خليفـة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضـلّك عن سبيل الله ان الذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) [١٤٠] .

وقفة قصيرة

قد ذكر العلامة الطباطبائى أن اكثر المفسـرين يقولون: إن الخصمين كانا من الملائكة، وأيّد رحمه الله ذلك ببعض الشواهد، فلم يكن

هناك نعجة ولا متخاصمان فى عالم المادة، لأن القضية إنما هى فى ظرف التمثل، ولا تكليف هناك، فلا توجد خطيئة ولا حكم، ولا غير ذلك فى عالم الشهود.. وأما على قول بعض المفسرين من أن المتخاصمين كانا بشرا، فينبغى أن يؤخذ قوله تعالى: (لقد ظلمك) الآية.. قضاء تقديريا، أى إنك مظلوم لو لم يأت خصمك بحجةٍ بيّنة [١٤١] . وإنما ذلك للحفاظ على ما قامت عليه الحجة من طريقى العقل والنقل: أن الأنبياء معصومون بعصمة من الله، لا يجوز عليهم لا كبيرة ولا صغيرة، على أن الله صّرح قبل هذا بأنّه آتاه الحكمة، وفصل الخطاب، ولا يلائم ذلك خطأه فى القضاء [١٤٢] . ولو أغمضنا النظر عمّا قاله العلاّمة الطباطبائى فإننا نقول: ١ ـ إن افتراض الخطأ فى ما جرى لداود (ع) على النحو الذى يقوله ذلك البعض، معناه عدم مصداقيّة كونه أسوة وقدوة، ومعناه أنه يحكم بين الناس بغير الحق، وأنه يتبع الهوى فى أحكامه مما ترتب عليه آثار سلبية باعترافه هو نفسه، لكنه قال إنها غير أكيدة، مع أن الله سبحانه قد قال عن داود: (.. وشددنا ملكه، وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) ثم تلتها الآيات التى تتحدث عن نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب وذلك يشير إلى أن الآيات التى تحدثت عن قضية النعاج التسعة والتسعين لم يرد الله منها تخطئة داود (ع)، فان من آتاه الله فصل الخطاب ـ الذى هو تفكيك الكلام الحاصل من مخاطبة واحد لغيره، وتمييز حقه من باطله، وينطبق على القضاء ـ لا يعقل أن يخطئ فى نفس ما آتاه الله إيّاه. أضف إلى ما تقدّم: أن دعوى: كون داود (ع) قد استعجل فى الحكم انسياقا مع عاطفته، أو نحو ذلك ينافى الحكمة التى آتاه الله إياها، لأنها وضع الشىء فى موضعه، كما أنه ينافى القضاء العادل بالحق الذى أعطاه الله إيّاه أيضا.. ٢ ـ إنّه يلاحظ: أن أحد الخصمين قد طرح سؤالا لا يتضمن ادعاء ملكية، ولا يتضمن شيئا خلاف الشرع، حيث ادعى أن أخاه صاحب التسعة والتسعين نعجة قد طلب منه أن يجعلها تحت تكفله، وألحّ عليه فى ذلك، ولم يدّع أنّه اغتصبها منه، أو أنه ادّعى ملكيتها، أو أى شىء آخر، ومجرّد طلب تكفّل شىء للاستفادة من منافعه ليس حراما.. ٣ ـ إن قول داود عليه السلام: (لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه)، لا يدلّ على أنه كان فى مقام إصدار حكم.إذ يمكن أن يكون ذلك مجرد إخبار له بالواقع الذى عرفه داود (ع) عن طريق الوحى أو عن أى طريق آخر.. ٤ ـ وأما قوله تعالى: (فظن داود إنما فتنّاه) فيراد به ـ والله أعلم ـ: أنه ظن أن الله سبحانه قد أرسل إليه من يسأله هذا السؤال، وقد أراد سبحانه امتحانه بذلك، كما انه قد ظن أن مبادرته إلى إخبار السائل بما علمه لم تكن هى المطلوب، بل لعل المطلوب هو رسم الحكم بطريقة محاكمة قضائية. وهكذا يتضح أنه لا يصح قول هذا البعض إن داود لم يستطع النجاح فى هذه الفتنة فأخطأ. ٥ ـ وربما يكون المتخاصمان قد تخيّلا أن ما قاله داود (ع) قد كان حكما قضائيا منه، من موقع كونه حاكما وقاضيا، لا إخبارا عن معرفة حصلت له من موقع كونه نبيا، لا سيّما وأنهما قد طلبا منه أن يحكم بينهما، فأخبرهما بالواقع، ولم يستجب لطلبهما بإصدار الحكم.. ولعل هذا هو السبب فى عدم اعتراض صاحب النعاج التسعة والتسعين، وعدم دفاعه عن نفسه، ولم يذكّر داود (ع) بأن له الحق بذلك. والنتيجة لما تقدّم هى: أ ـ إن من الطبيعى أن يفكر داود (ع) بأن هذه القضية قد تكون امتحانا له، فطلب من الله سبحانه أن يستر له ما قد يراه الناس تقصيرا، وهو ليس كذلك فى الواقع، وأن يعود عليه بالرحمات والألطاف، فكان له ما أراد. ب ـ إن داود(ع) لم يبادر إلى تشكيل محكمة لفصل القضية قضائيا، بل اكتفى بإخبار الخصمين بحكم المسألة. وأخيرا فالرواية إن كانت موافقة لحكم العقل القطعى فلا مانع من الأخذ بها، وإلا فهى مطروحة أو مؤولة، ولا فرق فى ذلك بين كونها صحيحة السند أو لا. ولا ننسى الإشارة أخيرا إلى تناقض كلامه عن آدم (ع) فى هذا المقام حيث نفى عنه المعصية هنا، مع كلامه المتقدم فى صدر الكتاب والذى قال فيه: إن معصية آدم كمعصية إبليس". إستعراض الخيل "شغل سليمان (ع) ففاتته الصلاة. نقاط الضعف فى الأنبياء لا تنافى العصمة. سليمان ابتعد عن الخط الرسالى قليلا. الضغط الإلهى أعاد سليمان (ع) إلى الخط. سليمان (ع) يضرب أعناق الخيل وسوقها ليؤلم نفسه فيما تحبه. يقول البعض عن سليمان (ع) فى تفسير قوله تعالى: (إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد"): المراد بالخير: الخيل، فيما قد تطلق عليه هذه الكلمة من المعنى، وبذلك يكون المعنى، أنه استبدل حب الخيل عن ذكر الله حتى شغل عن صلاته (حتى توارت بالحجاب) أى حتى غابت الشمس، وفاتته صلاة العصر بسبب ذلك.. وهذا هو المشهور بين المفسرين، من أن استعراض الخيل أمامه امتدّ بحيث شغله عن صلاته. وقد أثار بعض المفسرين احتمال تعلق (وحبه لها عن ذكر ربى)، بـ(حب الخير) بلحاظ

انطلاقه عن أمر الله، ليكون استعراضه لها وحبه لها عملا عباديّا ليتهيّأ بها للجهاد فى سبيل الله، وبذلك يكون الشاغل له عن عبادة الله، عملا يختزن فى داخله عبادة الله. ولعل الأساس فى هذا التوجيه التفسيرى، هو الخروج بعمل سليمان عن كونه مخالفا لموقعه الرسالى، فى انشغاله باستعراض الخير عن عبادة الله الواجبة فى وقت معين.. ولكن ذلك لا يفيد شيئا فى هذا الجانب، لأن صلاة العصر إذا كانت موقتةً بوقت معين، بحيث يذهب وقتها بغروب الشمس وتواريها بالحجاب، كما يظهر من بعض الروايات، فإن الإنشغال عنها المؤدى إلى تركها، بعمل آخر مرضى لله، موسّع فى وقته، غير مبرر شرعاً. ولهذا فقد يكون من الأقرب إبقاء الآية على ظاهرها الذى يوحى بان سليمان كان فى مقام توبيخ نفسه أو الاعتذار إلى الله عما حدث له، مما لا يتناسب مع التوجيه المذكور الذى قد لا يكون له معنى، إلا أن يقال، إن ذلك بلحاظ أهمية الصلاة وبذلك يكون قد قدم المهم على الأهم فى الوقت الذى يتسع لها جميعا، مع كون تقديم الصلاة أفضل، بلحاظ الوقت.. كيف نفهم حدود العصمة؟ وقد نلاحظ فى هذا المجال، أن مسألة حدود العصمة، فيما يراد من خلاله تأكيد القيمة الأخلاقية المنفتحة على الله فى القيام بما يحقق رضاه فى أفق محبته.. لا يكفى فيها التركيز على ترك المعصية، بل لا بد فيها من الإنفتاح على العمق الروحى الذى يتناسب مع قيمة النبوّة فى جانب القدوة الرسالية منها.. ..وقد ينبغى دراسة الأسس التى يحاول الكلاميون الذين يتبنّون مسألة عصمة الأنبياء بالشكل المطلق، لنتعرف ماذا يمكن لنا أن نواجه به الظواهر القرآنية التى تمنح الجانب الإنسانى قيمةً واقعية فى تقييم شخصية النبى، بالمستوى الذى لا يبتعد عن الإخلاص فى الصدق الواعى فى خط الرسالة، مع إفساح المجال لبعض نقاط الضعف الإنسانى أن تنفذ إلى حياته، بشكل جزئيٍّ طبيعىّ.. (ردّوها علىّ) أى الخيل ـ على ما هو الظاهر ـ فى عملية استعادة للإستعراض ولكن بروحية أخرى (فطفق مسحا بالسوق والأعناق) قيل فى معناه: إنه شرع يمسح بيده مسحا بسوقها وأعناقها ويجعلها مسبلة فى سبيل الله جزاء ما اشتغل بها عن الصلاة. وقيل: المراد بمسح أعناق الخيل وسوقها ضربها بالسيف وقطعها، والمسح القطع، فهو، غضب عليها فى الله لما شغلته عن ذكر الله فأمر بردّها ثم ضرب بالسيف أعناقها وسوقها فقتلها جميعا. " ويتابع البعض كلامه فيقول": ويعلق صاحب الميزان على هذا الوجه بأن هذا الفعل مما تتنزه عنه ساحة الأنبياء عليهم السلام فما ذنب الخيل لو شغله النظر إليها عن الصلاة حتى تؤاخذ بأشد المؤاخذة فتقتل تلك القتلة الفظيعة عن آخرها مع ما فيه من إتلاف المال المحترم" [١٤٣"] . ويذكر فى موضع آخر [١٤٤] أن الروايات التى تؤكد على هذه القصة بهذا الشكل تنتهى إلى كعب الأحبار، بالإضافة إلى الإغراق فى التفاصيل التى تدخل فى دائرة الأعاجيب. أمّا تعليقنا على ذلك، فان الظاهر من الآية قد يؤكد فكرة ضرب أعناقها وسوقها، لأن مسألة تسبيلها فى سبيل الله لا يتوقف على ردها عليه وكما أنه لا يفسر مسح أعناقها وسوقها، فان من المتعارف مسح الخيل على نواصيها كما أن هذه الروايات تلتقى مع ظهور الآية فى ردّ الفعل الذى قام به سليمان إزاء انشغاله بها عن الصلاة، مما جعله يفكر بالخلاص منها بقتلها، من غير ضرورة لأن يكون ذلك على سبيل الإنتقام منها، أو إتلافها كمالٍ محترم لا يجوز إتلافه بل قد يكون ذلك بمثابة ضغط على نفسه التى أحبت الخيل بهذا المستوى الأمر الذى يريد إيلامها فيما تحبه بهذه الطريقة، مع ملاحظة أن ذلك حلال فى شريعته لأن الخيل كانت تذبح كالأنعام، للطعام، والله العالم. (ولقد فتنّا سليمان وألقينا على كرسيّه جسدا) إن هذه الآية توحى بوجود فتنة واختبار فى حياة سليمان، لتوجيه بعض أوضاعه التى يريد الله له أن يركزها على أساس من الإستقامة فى الفكر والعمل، فيما يبتلى الله به عباده ورسله من أجل أن يربيهم على الثبات فى مواقع الإهتزاز من خلال حركة التجربة فى الواقع العملى فى حياتهم التى يراد لها أن تطل على حياة الآخرين من موقع القيادة الرسالية.. وربما توحى الآية من خلال قوله (ثم أناب)، بأنه ابتعد عن الخط قليلا، فيما هو القرب السلوكى من الله، ثم عاد إليه بعد أن رأى الضغط عليه، فيما ابتلاه به من ناحية فعلية [١٤٥"] .

عرض الآيات

قال الله تعالى: (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أوّاب. إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد. فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب. ردّوها على فطفق مسحا بالسوق والأعناق. ولقد فتنّا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثمّ أناب. قال ربّ

اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنّك أنت الوهّاب. فسخّرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب. والشياطين كل بنّاء وغوّاص. وآخرين مقرنين فى الأصفاد. هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب. وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) [١۴۶] .

وقفة قصيرة

إننا بالنسبة إلى الآيات الشريفة، نذكر القارئ بما يلى: ١ ـ قال السيد المرتضى: ظاهر الآية لا يدل على إضافة قبيح إلى النبى، والرواية إذا كانت مخالفة لما تقتضيه الأدلة لا يلتفت إليها لو كانت قوية ظاهرة فكيف إذا كانت ضعيفة واهية [١۴٧] . ٢ ـ وإذا رجعنا إلى الآيات الكريمة نفسها نجدها تصرح بان عرض الخيل على سليمان (ع) قد كان بالعشى، ولا دلالة فيها على أن العرض قد حصل فى حين كانت الشمس ظاهرة.. ٣ ـ إن ضمير ردّوها يرجع إلى الصافنات (وهى الخيل) وكذلك ضمير توارت بالحجاب، فما معنى إرجاع الضمير إلى الشمس، وهى لم تذكر فى الكلام.. ۴ ـ إن عبارة (أحببت حب الخير) قد أريد به بيان نوع الحب الذى أحبّه، فهو لم يحب حب الشهوات، أو حب الدنيا الذى هو باطل وغير مشروع، بل كان حبه من نوع حب الخير، إذن، فليست كلمة (حب الخير) مفعولا به (لأحببت). وقوله (عن ذكر ربى) بيان لمنشأ ذلك الحب، وأنه حب ناشئ عن ذكر الله سبحانه.. ۵ ـ إن قول سليمان(ع): (إنى أحببت) الآية.. قد جاء تفريعاً بالفاء على قوله (عرضت).. أى أن الخيل عرضت عليه فقال هذا القول، ولعله ليدفع أى تصور خاطئ عنه يريد أن يتهمه بان استعراضه للخيل قد كان من منطلق حب الهوى وحب الدنيا ولذّاتها، فأوضح لهم سليمان (ع) أن الأمر ليس كذلك، بل هو من منطلق حب آخر، هو حب الخير، وتقوية الدين، لأن الخيل من أهم وسائل الجهاد، ومن أسباب القوة للمؤمنين على أعدائهم. ۶ ـ وحين انتهى العرض، أمر الموكلين بالخيل بأن يردّوها عليه، فطفق يمسح سوقها وأعناقها إيناسا لها، وتحببا وإعجابا بها. ٧ ـ وقد ظهر مما تقدّم: أنه ليس فى الآيات ما يشير إلى قتل الخيل. ٨ ـ إن تعلق نفس سليمان بالخيل، لا يخوله أن يقطع قوائمها ورؤوسها، فهل يصح أن يكون هو المذنب، والخيل هى التى تعاقب؟!! ٩ ـ قال السيد المرتضى: إن الله تعالى ابتدأ الآية بمدحه والثناء عليه، فقال: (نِعْمَ العبد إنّه أوّاب)، وليس يجوز أن يثنى عليه بهذا الثناء، ثم يتبعه من غير فصل بإضافة القبيح إليه، وأنه تلهّى بعرض الخيل عن فعل المفروض عليه من الصلاة [١۴٨] . ١٠ ـ هل يمكن لنبى معصوم أن ينسى واجبا مكلفا به إذا كان أهم من العمل الذى يتصدى له؟ وإذا لم يكن أهم فلماذا يقطع أرجل الخيل ورؤوسها؟. ١١ ـ لو كان المقصود أنه آثر حب الخيل وقدّمه على ذكر ربه، فالمناسب أن يأتى بكلمة (على) لا بكلمة (عن). الولاية التكوينية لسليمان: (خدمات غير عادية). سليمان احتاج هذه الخدمات لمشاريعه العمرانية وتنقلاته، وحاجاته الإنسانية والاجتماعية. ونقول: يقول البعض عما أكرم الله به نبيه سليمان بن داود عليه السلام.. ": وهذه إطلالة سريعة على النبى سليمان الذى جعل الله له ميزة معينة فى الخدمات غير العادية التى هيأها الله له فيما كان يحتاجه لتنقلاته أو مشاريعه العمرانية، أو فى حاجاته الإنسانية والاجتماعية".

وقفة قصيرة

نلاحظ هنا أمرين: أحدهما: أنه سمى الولاية التكوينية لنبى الله سليمان عليه السلام بـ (الخدمات غير العادية)..! ثانيهما: أنه جعل ذلك من باب الخدمات التى يحتاجها سليمان (ع) فى تنقلاته وفى مشاريعه العمرانية الخ.. والسؤال هو: هل كان لدى سليمان(ع) عليه السلام حاجات إنسانية اجتماعية، ولم يكن لدى غيره من الأنبياء حاجات كهذه؟. وهل كان سليمان (ع) بحاجة إلى تنقلات، ولم يكن غيره من الأنبياء بحاجة إلى ذلك؟. وهل كان لدى سليمان (ع) مشاريع عمرانية، ولم يكن لدى أى من الأنبياء حتى نبينا الأكرم (ص) مثل هذه المشاريع؟ وإذا كانت بشرية سليمان (ع) لم تمنعه من الحصول على هذه الخدمات غير العادية، فهل إن بشرية نبينا الأكرم (صلى الله عليه وآله) قد منعته منها؟ وما هو الفرق بين بشرية هذا وذاك يا ترى؟.. هذا وأين التحدى فى كل هذه الخدمات غير

العاديـة المعجزة. فـإذا كانت المعجزة لا تحصل فى غير موارد التحـدى ـ كما صـرح بـه البعض ـ فلماذا حصـلت كل هـذه المعجزات لسـليمان ولداود عليهما السـلام.؟! معركة أو (إشكال) بين الله تعالى والنبى زكريا. زكريا يعتقد باستحالة أن يولد له. فوجئ زكريا لأنه لم يحسب أن يتم الأمر بهذه السـهولة. ربما يتصور أن دعاءه مجرد تمنيات. زكريا ينطلق فى سؤاله ربه بما يشبه الصراخ العنيف. زكريا يعتقـد أن الله لاـ يتـدخل فى الأـمور بشـكل غير عـادى. زكريا لا يطمئن إلى أن ما يلقى اليه هو الوحى الا بآيـة ومعجزة. زكريا يتفاجأ بالقدرة الإلهية فى مخالفة السـنن. يقول البعض(": يا زكريا إنا نبشـرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) فقد أراد الله أن لا يخيّب أملـك فيه ورجـاءك فى رحمته فرزقـك ولـدا ذكرا سويا، ومنحه اسـما لم يحمّله أحـدا من قبله.. فماذا تريـد بعـد ذلك.. وقد أكرمـك الله بكرامته التى يكرم بهـا عبـاده الصـالحين، وأنبياءه المرسـلين.. زكريا يتساءل متعجبا (قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقـد بلغت من الكبر عتيا) فقـد غيرنى الزمان إلى الحالة التى لم يبق لى معها شـىء من الحيوية تماما كالعود اليابس الذى لا خضـرة فيه ولا حياة، فكيف أن أهب الحياة لغيرى فى مثل هذه الظروف المسـتحيلة. وكأن زكريا قد فوجئ بأمر لم يكن منتظرا لأنه لم يحسب أن المسألة تتم بمثل هذه السهولة، وأن الدعاء يستجاب بهذه السرعة، وأن ما كان مستحيلاً فى نظره أصبح واقعاً فى حياته.. وربمـا كـان يتصور أن دعـاءه بالولـد يـدخل فى نطاق التمنيات التى يتحـدث بها الإنسان إلى ربه، من دون أن يكون له طمع كبير فى حصولها، لا لأنه يشك فى قدرة الله على ذلك بل لأنه لا يعتقد أن الله يتدخل فى الأمور بشكل غير عادى لمصلحة شخص معين، بعد أن جعل الحياة كلها خاضـعة للسـنن الكونيـة فى وجود الأشـياء وفى حركتها العامـة والخاصة.. وهذا هو ما جعل السؤال ينطلق منه فيما يشـبه الصـراخ العنيف، فيما توحى به الآيـة (قال كذلك قال ربك) وهذا هو ما سـمعه من الصوت الخفى الذى كان يتحدث إليه من دون أن يرى أحـدا أمـامه.. فليس هو الله الـذى كان يكلمه بل هو شـخص آخر غير الله، قـد يكون ملكاً، أو يكون أى شـىء آخر (هو علىّ هيّن) فلن يصعب على الله أن يبدع الحيوية فيك وفى زوجتك لتستطيعا إنجاب ولد، بعد هذا العمر الطويل) وقد خلقتك من قبل ولم تك شـيئا(فكيف تواجه المسألـة بما يشـبه المفاجأة.. وربما أراد زكريا أن يعيش الطمأنينـة القلبيـة التى توحى إليه بأن هذا الوحى الذى يلقى إليه، بالواسـطة، فيما يسـمع من صوت، لا يرى صاحبه، هو وحى الله فأراد أن يسـتوثق لقناعته، فطلب آية لا يسـتطيع غير الله أن يحققها، لأنها تتصل بوحدانيـة القـدرة لديه. (قال رب أجعل لى آية) ترتاح إليها نفسـى ويطمئن لها قلبى، فأعرف أن هذه البشارة، المعجزة، هى منك، وحـدك، لا من غيرك لتكون المعجزة فى حياتى هى الدليل على المعجزة القادمة و (قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) وذلك بأن يحتبس لسانك فلا تقـدر على النطق فى هـذه المدة، من دون علة أو صدمة، ولكن بقدرة الله، فتلك هى الآية المطلوبة فى الدلالة على أن كل ما بك وما ينتظرك فهو من الله [۱۴۹] .

وقفة قصيرة

إن هذا البعض يطرح أمورا لم نعرف ما هى المبررات لطرحه لها بهذه الطريقة، فنلاحظ ما يلى: ۱ ـ إنه يذكر: أن زكريا عليه السلام لم يطمئن إلى أن ذلك الـذى يكلمه هو ملك يوحى إليه من عنـد الله، حتى طلب معجزة تركّز عنده القناعة، وترتاح إليها نفسه، فكان له ما أراد.. وهـذا الأمر يطرح أموراً: أولها: إن ذلك يجعل كثيراً من موارد الوحى المشابه تتطلب إظهار معجزة تبعث الطمأنينـة فى نفس الموحى إليه فى أن يكون الـذى يكلمه هو جبرئيـل. الثـانى: إننـا لم نعرف من أين عرف ذلـك البعض أن طلب الآيـة قـد كـان لأجل الحصول على الطمأنينـة لزكريـا عليه السـلام بحقيقـة الوحى. فلعـل الآيـة كانت لأجل أمر أو أمور أخرى غير ذلك، مثل أن يقنع قومه بالحقيقـة التى سـيفاجئهم بها. الثالث: من أين عرف ذلك البعض: أن زكريا عليه السـلام لم يكن يعرف طبيعـة الذى كان يكلمه، هل كان ملكا أو غيرها؟ ومن أين عرف ذلك البعض أيضا أنه كان على شـكل صوت لا يرى صاحبه؟ فليس فى الآية ما يدل على ذلك. ومن الممكن أن يكون ذلك الوحى قـد جاء به الملك الـذى يعرفه، ولم يزل يأتيه طيلـة عشـرات السـنين التى مضت من نبوته، حيث كـان قـد بلغ من الكبر عتيـا، حسب نص الآيـات القرآنيـة الـتى هى مـورد البحث. على أن قوله فى الآيـة (كـذلك قـال ربـك) ليس

بالضرورة أن يقوله غير الله، فلعل ربه هو الذى كلمه بهذه الطريقة. ٢ ـ من أين عرف ذلك البعض أن السؤال قد انطلق من زكريا بما يشبه الصراخ العنيف.. فيما توحى الآية!! حتى إن المرء ليخال أن ثمة مشادة أو معركة كلامية يفتعلها زكريا (ع) مع أنه فى مقام يتكلم فيه مع ربه والمقام مقام بشارة؟ ولا ندرى كيف انتهى هذا الإشكال دون عزل زكريا عن منصبه!. وكيف توحى الآية بذلك؟ وأى كلماتها يوحى بالصراخ العنيف؟! ٣ ـ من أين عرف أن زكريا (ع) كان لا يعتقد أن الله يتدخل فى الأمور بشكل غير عادى لمصلحة شخص معين؟ فلعله كان يعتقد أنه تعالى يفعل ذلك، لكنه أراد بسؤاله أن يعرف إن كانت حالته ستكون هى الأخرى من بين مفردات ذلك أم لا.. ومن الواضح: أن زكريا (ع) كان يعرف أن ولادة إسماعيل (ع) كانت بعد شيخوخة أبيه إبراهيم. وكان يعرف أيضا أن النار كانت بردا وسلاما على إبراهيم، حينما ألقى إبراهيم فيها. ويعرف أيضا ما جرى لمريم (ع)، وهى ترى المعجزات حين حملها بعيسى (ع) وولادتها له، كتساقط الرطب الجنىّ عليها فى غير أوانه.. وأوضح من هذا كله أنه عليه السلام كان كلما دخل على مريم المحراب (وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا، قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة). ..وهو نفسه يعرف قصة يونس والحوت، ويعرف ما جرى لأهل الكهف، وغير ذلك مما لا يكاد يحصى.. ٤ ـ وأما قوله: إنه كان يعتقد باستحالة أن يولد له، ثم قوله: إنه ربما كان يتصور أن دعاءه بالولد كان يدخل فى نطاق التمنيات.. من دون أن يكون له طمع كبير فى حصولها. ثم قوله: إن زكريا كان يعتقد: أن الله قد جعل الحياة كلها خاضعة للسنن الكونية فى وجود الأشياء وفى حركتها العامة والخاصة. إن ذلك كله يرد عليه: أن من يعتقد ذلك لا يمكن أن يكون له ادنى طمع فى استجابة دعائه. فما معنى ذلك الدعاء إذن؟ وما هو المبرر لتلك التمنيات التى تصبح مجرد خيالات لا مورد لها من نبى يفترض فيه أن يفكر فيما ينفع ويجدى؟. ٥ ـ لا ـ نعرف المبرر لأن يكون زكريا(ع") لا ـ يعتقد أن الله يتدخل فى الأمور بشكل غير عادى لمصلحة شخص معين، بعد أن جعل الحياة كلها خاضعة للسنن الكونية فى وجود الأشياء وفى حركتها العامة والخاصة. "ومن قال إن ما حصل له كان منافيا للسنن الكونية؟!. فهل كان زكريا يجهل كل تلك التدخلات الغيبية فى الشؤون العامة والخاصة التى لا تكاد تحصى، بدءا من قضية الطوفان ومروراً بما جرى على إبراهيم (ع)، وموسى (ع)، وعيسى (ع)، ونوح (ع)، ويونس (ع)، ولوط (ع)، وصالح (ع)، وسليمان (ع)، وداود (ع).. وغير ذلك مما ذكره الكتاب العزيز. أم أنه عليه السلام كان ـ والعياذ بالله ـ يذهب مذهب اليهود والضالين الذين قال الله عنهم: (وقالت اليهود، يد الله مغلولة، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان، ينفق كيف يشاء) [١٥٠] . يحى ليس نبياً. يقول البعض": أولئك الذين أنعم الله عليهم فكيف جزاء من بعدهم: (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيّا الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتيا لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا) [١٥١] . (اولئك الذين أنعم الله عليهم) وهم هؤلاء الذين تقدمت الإشارة إليهم، فيما قصه الله من أمرهم، بالإجمال أو التفصيل، وهم زكريا ويحيى ومريم وعيسى وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون وإسماعيل وإدريس الذين انعم الله عليهم بالإيمان الخالص التوحيدى الذى ينفتح على الله بروحية العبد الطائع الذى أخلص لله فى العقيدة، وفى الطاعة واعطى من فكره وعمله الرضا لله، فلم يغضب عليه لتمرده ولا لضلاله ومن النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح من البقية الصالحة من المؤمنين الخالصين الذين آمنوا بنوح النبى واتبعوه من ذرية ابراهيم واسرائيل الذين امتدت النبوة فيهم وتحولت إلى خط متحرك فى الدعوة إلى الله والجهاد فى سبيله (وممن هدينا واجتبينا) من الذين هداهم الله بما أفاض عليهم من نور البصيرة، وانفتاح العقل، وصفاء الروح، ومسؤولية الحركة، واستقامة الطريق، ووضوح الهدف، وتقوى الفكر والعمل. وقد يكون المراد من كل هؤلاء هم النبيون الذين أنعم الله كما قد يلوح من عنوان الآية التى حددت المشار إليهم بالنبيين، ولكننا عندما نلاحظ ذكر اسم مريم، ويحيى، وهما ليسا من الأنبياء فقد نستوحى من ذلك ان المسألة اشمل من ذلك وتكون الإشارة إلى هؤلاء على أساس

انهم يمثلون النموذج الأكمل للمهتدين الذين انعم الله عليهم بالإيمان والتقوى، واجتباهم لرسالته ولدينه (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) فيما يمثله السجود من خضوع لله فى الشعور العميق بالعبودية، وفيما يعبر عنه البكاء من إحساس بالروحية الفياضة الخاشعة إمام خوف الله، ومحبته فى انفعال إيمانى عميق بالمضمون الروحى لآيات الله، والإشراق الفكرى لمعانيها.. وهكذا كان هؤلاء الرواد طليعة البشرية [۱۵۲].

وقفة قصيرة

ومن الواضح: أن يحيى عليه السلام كان من أنبياء الله المرسلين، كما صرح به القرآن، حيث يقول لزكريا: (إن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين) [۱۵۳] وراجع الآيات التى نزلت فى سورة الأنعام (۸۳ ـ ۹۰) حيث عدت يحيى عليه السلام فى جملة الأنبياء. هذا البعض يرى: أن يحيى عليه السلام لم يكن نبيا وذلك مخالف لصريح القرآن، ولإجماع المسلمين كافة. ولا ندرى السبب فى حكمه هذا، وقد كان يحيى (ع) معاصرا لعيسى (ع).. إنكار نبوة عيسى وهو فى المهد صبيا رد كلام الأئمة فى الاستدلال بالآية على إمامة الجواد(ع). يقول البعض.. ("قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا) وهكذا أراد أن يتحدث إليهم عن صفته المستقبلية فيما يريد الله أن يمارس من دور أو يقوم به من مسؤولية، فهو مهما أحاط به من أسرار فى خلقه وفى قدراته لا يبتعد عن عبوديته لله ["۱۵۴].

وقفة قصيرة

إن من الواضح أن كلمة (آتانى الكتاب) تدل على أن ذلك قد حصل فى الماضى أى أن الله سبحانه قد أعطاه ذلك فى وقت سابق على موقفه هذا الذى يكلمهم فيه. وقد استدل الأئمة (ع) بهذه الآية بالذات على إمامة الإمام الجواد (ع) فى صغره وفقا لما هو ظاهرها الذى هو حجة فراجع [۱۵۵]. كما أنه لا شك فى صلاحيتها للاستدلال على إمامة الإمامين الهادى والمهدى (ع)، فتأمل وتنبّه. أضف إلى ذلك أن كلمة جعلنى وآتانى إذا كانت تتحدث عن المستقبل، فإن قوله: وجعلنى مباركا أيضا هى إخبار عن المستقبل، وهى تشعر بنفى البركة الفعلية عنه، مع أن كونه مباركا بالفعل وفى كل لحظات حياته، مما لا شك فيه ولا شبهة تعتريه، فلماذا هذا الإشعار بأمر لا حقيقة له؟! فما معنى حمل الآية على أن عيسى (ع) أراد أن يخبرهم عن أنه سيحصل على درجة النبوة فى المستقبل. وأن الله سيؤتيه الكتاب، وسيجعله نبيا. وقد كان بالإمكان أن يقول: سيؤتينى الكتاب، وسيجعلنى نبيا، وسيجعلنى مباركا. مع عدم وجود قرينة حالية و لا مقالية على إرادة زمن الاستقبال فى الآية. بل فى صحيحة يزيد الكناسى قال: سألت أبا جعفر (ع) أكان عيسى بن مريم(ع) حين تكلم فى المهد حجّة لله على أهل زمانه؟ فقال: كان يومئذ نبياً حجّة لله غير مرسل. أما تسمع لقوله حين قال: (إنى عبدالله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركاً أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا) [۱۵۶].

النبى الأكرم محمد

ثقافة ومعارف نبينا الأعظم

اشاره

النبى لا ـ يعرف اللغات. النبوة لا تقتضى التفوق المطلق فى كل شىء. لا مانع من التفوق كميزة شخصية لا كميزة نبوية قيمة. التفوق الشخصى فى أكثر الصفات لا فى جميعها. يقول البعض": وتتحدث بعض الآيات عن موضوع العلم باللغات، لتشير إلى أن ذلك وارد

بالنسبة إلى النبى، وذلك فى قضية اتهام الكفار للنبى، بأن هناك إنساناً يقوم بتعليمه، فيجىء الرد القرآنى عليها حاسما، على أساس أن هذا الشخص الذى ينسبون إليه تعليم النبى من الأعجميين، بينما نجد القرآن عربيا مبينا.. فكيف يمكن أن تصح التهمة.. ومن الطبيعى أن هذا الرد لا يصلح لإفحام الكفار إلا إذا كان النبى لا يعلم لغة هذا الأعجمى.. لأنه ـ فى هذه الحالة ـ لا يستطيع أن يفهم منه، أو يقوم بمهمة الترجمة لما يمليه عليه ذلك من أحاديث التوراة والإنجيل وغيرهما. قال تعالى: (ولقد نعلم أنهم يقولون: إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين) (۱۶/۱۰۳) إننا نتحفظ فى ذلك، فى إطار الفكرة التى تربط النبوة بالتفوق المطلق فى كل شىء، لأن النبوة لا تقتضى ذلك الذى يقررونه كله.. ولكننا لا نمانع فى أن يكون للنبى أكثر الصفات المذكورة من ناحية واقعية موضوعية.. كميزة شخصية خاصة، لا كميزة نبوية حتمية فى حساب الحكم العقلى القاطع ـ كما يقولون" .[۱۵۷]

وقفة قصيرة

ونقول: ۱ ـ إن الآية التى استدل بها لا ربط لها بمسألة معرفة النبى (صلى الله عليه وآله) باللغات؛ لأنها إنما تتحدث عن دعواهم: أن هذا القرآن المعجز لهم فى بلاغته الفائقة هو من صنع إنسان بعينه، فهو ليس وحياً من الله سبحانه، ولا هو من إنشاء النبى محمد (صلى الله عليه وآله).. وكأنهم لا يريدون نسبة ذلك إليه، لأن ذلك يستبطن الإعتراف له بالتفوق عليهم، حين قام بما عجزوا هم عنه، كما أنهم يدعون: إن منشئ القرآن هو رجل أعجمى ـ وربما يقصدون أنه من أهل الكتاب، لأنهم كانوا مبهورين بهم، ويعتبرونهم هم مصدر المعارف الدينية، وينظرون إليهم نظر التلميذ إلى معلمه، وعلى هذا الأساس فإنهم ينسبون ما جاءهم به من معارف دينية، وتفصيلات إيمانية وغيرها إليهم، على اعتبار أنه لابد أن يكون قد أخذه من واحد من هؤلاء. فجاء الرد القرآنى الإلهى على هذه الدعوى الزائفة ليقول: إن هذا القرآن لا يمكن أن يكون من إنشاء بشر، بل البشر يعجزون عنه، فكيف إذا كان هؤلاء البشر لا يعرفون اللغة العربية، وهذا القرآن لسان عربى مبين؟!. ولم تتحدث الآية عن أمر الترجمة لما يمليه ذلك الأعجمى على النبى (صلى الله عليه وآله) من أحاديث التوراة والإنجيل. ۲ ـ ما هو المبرر لحكمه بأن النبوة لا تقتضى التفوق المطلق على سائر البشر من غير الأنبياء؟!، فإن النبوة إذا كانت اصطفاءً إلهياً، واجتباءً ربانياً، فما هو معنى أن يختار الله سبحانه ـ المفضول ويترك الفاضل؟! كما قرره هذا البعض ـ حسبما نقلناه عنه فى هذا الكتاب ـ وكيف رجح ذاك على هذا؟!. ما دام أن من يرى لنفسه امتيازاً على غيره فى أى مجال كان، ولو فى مجال اللغات، سيجد فى نفسه حالة من الترفع والإباء عن الإنقياد وإخلاص الطاعة لذلك الغير الأقل منه، ولن يكون ذلك السخى بكل شىء، حتى بروحه وولده امتثالا لأوامره. بل سيجد نفسه غالياً ونفيساً لا يدرك الآخرون قيمته، ولذلك يفرطون فيه خصوصاً وأن ذلك النبى سيكون معذوراً بجهله، الذى اذا فتح بابه فإن احتمالاته سوف ترد فى مختلف الشؤون والحالات.. نقول هذا بغض النظر عما يستند إليه علماؤنا من أدلة قاطعة وبراهين ساطعة، ومنها الروايات الكثيرة، والمتنوعة بدرجة كبيرة، مما دل على أكملية الأنبياء والأوصياء على البشر جميعاً فى جميع الحالات والشؤون، وعلى تفوقهم عليهم فى مختلف العلوم والفنون، حتى أن الله سبحانه قد علم أنبياءه حتى منطق الطير، والحيوان، وسخر لهم الريح، وعفاريت الجان. ولهذا البحث مجال آخر.. ۳ ـ إن الآية إنما تنفى علم النبى باللغات من خلال تعلمه إياها من البشر.. فلو أنه (صلى الله عليه وآله) قد علم اللغات بواسطة التعليم الإلهى، فإن ذلك يكون دليلا على ارتباطه بالغيب.. وكفى فى ذلك دليلا على أنهم مبطلون فى ما يوجهونه إليه من اتهامات. وبنفس هذا التقرير نجيب على السؤال الذى يطرح عن أمّية النبى (ص)، حيث نقول: إن المقصود: هو أن الناس يرون أمّية رسول الله (ص)، فإذا جاء وحى معجز، وعلم غيبى، واطلاع عظيم على أسرار الخلق والخليقة ومعرفة باللغات وعلم مفاجئ بالقراءة والكتابة فإن ذلك لابد أن يبهرهم، ويقهر عقولهم، ويضطرهم للبخوع والتصديق بنبوته، وليس المراد أنه لابد أن يبقى أمياً عاجزاً عن القراءة والكتابة إلى آخر حياته، كما ربما يتخيل البعض. ۴ ـ يضاف إلى جميع ذلك: أن العرب هم الذين ادعوا: أن أهل الكتاب قد علّموا النبى هذا القرآن، وإذا كان الذى

قصدوه ذا لسان أعجمى، فإن الرد يكون عليهم، بأن هذا القرآن لسان عربى مبين، فكيف يحسن ذلك الأعجمى الترجمة بهذا المستوى من الإعجاز، ويعجز العربى نفسه عن إنشاء مثل هذا القرآن. مهمة الأنبياء هى ـ فقط ـ التبشير والإنذار ـ الله يعلم الأنبياء ما يحتاجونه فى نبوتهم، لا أزيد من ذلك. لا دليل على لزوم كون النبى (ص) أعلم الأمة فى كل شىء. قد يعلم الله نبيه ما يحتاجه فى مهمته الرسالية ـ وقد لا ـ يعلمه. ليس من الضرورى أن يعلم النبى علم الذرة والكيمياء. علم الذرة والكيمياء والفيزياء، لا ـ صلة لها برسالات الأنبياء. سئل البعض: النبى أو الإمام إما أن يكون هو الأعلم أو لا ـ يكون، فإذا لم يكن الأعلم، فهناك من يستحق هذا المنصب غيره لأنه أعلم وأفضل منه. وإن كان هو الأعلم، فبناء على ذلك يجب أن يكون أعلم أمته، وأعلم السابقين واللاحقين، وذلك طبعا بلطف من الله، وهذا يعنى أيضاً أن يكون مستوعباً لآخر العلوم والمكتشفات، وبالتالى يكون لديه علم الغيب، فكيف يكون ذلك؟ فأجاب": نحن نتكلم استناداً إلى القرآن، فالله أرسل الأنبياء مبشرين، ومنذرين (وما نرسل المرسلين إلا ـ مبشرين ومنذرين) (الانعام: ٤٨)، (وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً) (الفرقان: ٥٦)، (يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً) (الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦)، والله يعلم نبيه، ويعلم أولياءه من الغيب، ما يحتاجونه فى نبوتهم، وليس من الضرورى أن يعلموا الغيب كله، كما يقول السيد المرتضى.. فليس من الضرورى أن يعلم النبى علم الذرة، وعلم الكيمياء، وعلم الفيزياء، لأنها ليست ذات صلة برسالتهم، أما وجوب ان يكون النبى أعلم الأمة، فى كل شىء حتى ما لا علاقة له بمهمته الرسالية، ولكن الله قد يعلمه من ذلك ما يحتاجه فيه أو إذا أراد علم، فليس لدينا دليل على هذا ["١٥٨] .

وقفة قصيرة

ونلاحظ هنا ما يلى: ١ ـ اذا كان الله سبحانه قد أرسل أنبياءه مبشرين ومنذرين، فلا يعنى ذلك أن مهمتهم محصورة فى ذلك.. وما ورد من ذلك فى بعض الآيات القرآنية لابد أن يتكامل وينضم إلى ما ورد فى الآيات الأخرى، كقوله تعالى: (هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم، يتلو عليهم. آياته ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة) [١٥٩] . وفى هذا الكتاب تبيان كل شىء. وقوله تعالى: (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان، ليقوم الناس بالقسط، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد، ومنافع للناس، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله لقوى عزيز) [١٦٠] . وقال سبحانه: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً و نذيراً) [١٦١] . والمراد بكافة للناس، أى من يكف الناس عن تجاوز الحدود.. وقال: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) [١٦٢] . وقال: (يسألونك عن الأنفال، قل الأنفال لله والرسول) [١٦٣] . وقال سبحانه: (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى، إن الله قوى عزيز) [١٦٤] . وكل ذلك يدل على أن مهمة الأنبياء لا ـ تقتصر على التبشير والإنذار، بل فيها سلطة، وتحتاج إلى نصرة بالغيب. وسيكون فيها غلبة من موقع العزة والقوة.. كما أن جعل الانفال والخمس لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، واعتباره كافة ومانعاً للناس عن تجاوز الحدود، واعطاءه مقام الشفاعة، وإعطاءه مقام الشهادة على الخلق.. ان كل ذلك وسواه مما يضيق المقام عن تعداده يعنى أن النبى ليس مجرد بشير ونذير، وشهادته على الخلق تستدعى أن يملك قدرات يستطيع من خلالها أن يطلع على أعمال الخلائق الجوارحية والجوانحية، ومنها عقائدهم ونواياهم وأحاسيسهم ومشاعرهم من حب وبغض وحقد وحسد ورأفة وقسوة قلب وما إلى ذلك مما يدخل فى دائرة الأمر والنهى.. وذلك ليستطيع أن يشهد عليهم، (رسولاً ـ شاهداً عليهم) [١٦٥] (يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) [١٦٦] وكذلك الإمام، وكذلك السيدة الزهراء ـ عليها السلام ـ باعتراف هذا البعض، ولأجل ذلك فإننا لا نستغرب إذا سمعنا، وقرأنا أن النبى (صلى الله عليه وآله) كان يرى من خلفه، كما يرى من أمامه، وأنه تنام عيناه، ولا ينام قلبه.. وأنه يرفع للإمام عمود من نور فيرى أعمال الخلائق، وأنها تعرض عليه دورياً.. وأنه (صلى الله عليه وآله) كان يكلم النمل، والشجر والحجر، وأنواع الحيوانات، وكل قوم بلغتهم.. وإلى آخر ما هنالك مما يفوق حد الحصر والإحصاء. ولو كانت القضية تنتهى عند حدود التبشير والإنذار اللذين قد يقوم بهما حتى غير النبى. أو حتى لو كان الأمر ينتهى عند حدود الشهادة، لم يكن ثمة حاجة إلى أن يخلق الله أرواح النبى والأئمة قبل خلق

الخلق بألفى عام، وأن يجعلهم أنوارا معلقين بساق العرش، فإن هذا وسواه كثير مروى فى كتب الفريقين من سنة وشيعة. ولم يكن ثمة حاجة إلى المعراج.. ولا كان لدى وصى سليمان علم من الكتاب يأتى به بعرش بلقيس من اليمن إلى بيت المقدس.. وكذلك فإن سليمان وداود (عليهما السلام) لم يحتاجا إلى علم منطق الطير، ولا ـ إلى أن يلين الله الحديد لداود، ولا ـ إلى تسخير الريح وغيرها لسليمان.. فإن التبليغ والإنذار، وحتى حكومة الناس بالعدل لا تحتاج إلى شىء مما ذكرناه.. لو كانت مهمة الأنبياء محصورة بذلك ومقصورة عليه.. ٢ ـ إن ما أوكله الله إلى أنبيائه لا يعرف عن طريق العقل فلا بد من النقل فيرد السؤال: ما هى الآية أو الروايات المفيدة للقطع ـ حسب ما قرره ذلك البعض ـ التى دلت هذا البعض على أن النبى والإمام لا يحتاجان إلى علم الذرة والكيمياء، والفيزياء؟! أو أن ذلك ليس ضرورياً لهما فى مهماتهما التى أوكلها الله إليهما؟!، وفى معارفهما؟! وفى ما يرتبط بتكوين شخصية النبى والإمام؟!، وفى مقام إعدادهما لهذا المقام؟!. ٣ ـ ما الدليل الذى أقامه هذا البعض على: أنه لا يجب أن يكون النبى والإمام أعلم الأمة فى كل شىء.. فإن النفى عنده يحتاج إلى دليل يفيد اليقين بالنفى ولا يكفى مطلق الحجة. ٤ ـ إن غاية ما عند هذا البعض هو قوله": ليس لدينا دليل على هذا "فالذى ليس لديه دليل على الإثبات هل يكون عدم دليله على الإثبات دليلا على النفى؟!.. ٥ ـ ان هذا البعض يدعى أن علوم الذرة والكيمياء والفيزياء لا ـ صلة لها برسالتهم.. ومن الواضح أن نفى الصلة بين الرسالات وبين العلوم المذكورة يحتاج إلى اطلاع على حقائق الكون، ومعرفة الغيوب بصورة مباشرة وذلك غير متيسر لنا نحن البشر على الأقل فهل هو متيسر لهذا البعض؟! وعلى كل حال، فإن السؤال يبقى هو السؤال: ما هو الدليل على نفى هذه الصلة، فإن هذا البعض نفسه يقول: إن" النفى يحتاج إلى دليل كما الإثبات يحتاج إلى دليل. "النبى لم يكن ملما بتاريخ الأنبياء قبل النبوة. قلة وعى النبى للمشاكل التى تواجهه هى بسبب جهله بتاريخ الأنبياء. لو كان ملماً بتاريخهم لتصرف على سنة الله فى رسله ورسالاته. لو كان ملماً لعرف كيف يخطط على ضوء تجارب الأنبياء. الله أراد لكل مرحلة أن تستفيد من التاريخ الرسالى للمرحلة السابقة. الاستفادة لكل مرحلة لا تتحقق الا بالوحى الإلهى الذى يقص عليه أنباء الرسل. الله لم يكن قد زوّد رسوله بكل تعليماته وتشريعاته وتوجيهاته. القرآن يؤكد جهل النبى بالأديان السماوية قبله. النبى كان له مستوى ثقافى عال. المستوى الثقافى للنبى هو من خلال تجاربه. المستوى الثقافى للنبى هو من خلال تأملاته. المستوى الثقافى للنبى هو من خلال ملكاته الفكرية والروحية. ويقول البعض فى تفسير قوله تعالى: (وكلا ـ نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك)(١٣/١٣٠). وقوله: (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك، ورتلناه ترتيلا)(٣٥/٣٣). ـ يقول ـ ما يلى": وربما كان المراد به التقوية للروح النبوية فى حركة التفاصيل ليواجه المواقف من خلالها بالصلابة الثابتة التى لا تهتز أمام التحديات من خلال الحديث عن تاريخ الأنبياء الذى لم يكن ملما به قبل نزول القرآن ليزداد بذلك وعيا للمشاكل التى تعيش فى حركة الرسالة فى الواقع، وليتصرف ـ من خلال ذلك ـ على سنة الله ورسله ورسالته ليعرف كيف يخطط الخطة فى اتجاه الوصول إلى الهدف على ضوء تجارب الأنبياء فى واقع النبوات، لأن الله أراد للتاريخ الرسالى أن تقدم كل مرحلة تجربتها للمرحلة الأخرى، وأن يوحى كل نبى من خلال تاريخه بنتاج حركته للنبى الآخر، ولن يكون ذلك إلا بالوحى الإلهى الذى يقص عليه أنباء الرسل ما يثبت به فؤاده. أما فى الآية الثانية فإنها تتحدث عن جزئيات التحديات فى التطورات السلبية أو الإيجابية التى تعيشها الرسالة، ويواجهها الرسل فى التجربة الرسالية فى الحرب والسلم، لتمنح كل موقف حكمه، ولكل مشكلة حلها، ولكل معركة سلاحها، ولكل تجربة درسها، لأن الله كان ينزل آياته تبعاً لحاجة الواقع الذى يبحث عن الأجوبة فى أكثر من علامات الاستفهام، ولم يكن قد زود رسوله بكل تعليماته، وكل تشريعاته وتوجيهاته له وللمسلمين، ولذلك كان النبى (ص) يردد كلمته المأثورة ـ عند إلحاح المسلمين عليه فى إصدار الموقف الحاسم ـ (إنى أنتظر أمر ربى) لأن ذلك هو الذى يعمق فى نفوس المسلمين أن النبى لم يصدر فيما يبلغه أو يعالجه من موقف ذاتى، بل من وحى إلهى، حتى لا تختلط لديهم شخصية الذات فى تصورهم للجانب الذاتى للرسل مما قد يملكون الحرية فى قبوله أو رفضه ـ كما يتخيلون ـ وشخصية الرسول فى حديثه عن الله مما لا ـ بد لهم أن يقبلوه من دون مناقشة على اساس الخط الشرعى الإسلامى الذى جاء فى قوله تعالى: (وما كان لمؤمن ولا ـ مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من

أمرهم)(۳۳/ ۳۶). ولـذلك كانوا يسألونه ـ حسب روايـة السـيرة ـ عن كل ما يصـدره: هل هو رأى ارتأيته أو هو وحى من الله ليحددوا موقفهم منه على أسـاس تحديـد ذلك، لكننا نرى أن النبى (صـلى الله عليه وآله وسـلم) لم يكن له شخصـيتان فى حركته الرسـاليـة فى الشؤون الخاصـة والعامـة، لأنه كان يمثل التجسـيد الحى للرسالة فهو القرآن الناطق الذى يتمثل القرآن الصامت فى كل سـيرته قولاً أو تقريراً: (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى) (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيها شـجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسـهم حرجاً مما قضـيت ويسـلموا تسليماً)(۴/۶۴). (لقـد كـان لكـم فى رسـول الله أسـوة حسـنة لمن كـان يرجـو الله واليـوم الآـخر وذكر الله كثيراً)(۳۳/۳۱). فهـو القـدوة والأـسوة فى كـل شـىء فكيـف يكون له شخصـيتان فى سـلوكه العملى مع النـاس، لتختلف فيه شخصـية الإنسان عن شخصـية الرسول، أما تثبيت الله للـذين آمنوا فإنه يحصل من خلال القرآن الـذى يعمق فيهم الإيمان بالله، ويفتح لهم آفاق المعرفة بالله، وبخلقه وبمنهجه ورسالته وشريعته ["..۱۶۷] . ويقول فى مورد آخر": وعلى ضوء ذلك كله لا بـد لنا من استيحاء القرآن فى سيرة النبى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لنبدأ من ثقافته قبل النبوة، هل درس الانجيل فى تلك المرحلة؟ وهل كان مطلعاً على التفاصـيل التاريخيـة للأنبيـاء، وهل كان يقرأ أو يكتب؟ إن الصورة القرآنيـة تؤكـد أن النبى (صـلى الله عليه وآله وسـلم) لم يكن ملماً بـذلك كله، فقـد جـاء فى القرآن الكريم قوله تعالى: (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمـة، وعلمك ما لم تكن تعلم)(۱۱۳ ["")۱۶۸] . ويسـأل هـذا البعض أيضاً: ما المسـتوى الثقافى الـذى كان عليه النبى (ص) قبل نبوته؟ فيجيب": لا بـد لنا من استيحاء القرآن فى سـيرة النبى محمد (ص) لنبدأ من ثقافته قبل نبوته، فالصورة القرآنية تؤكد أن النبى (ص) لم يكون (كذا) ملماً بالاديان السماوية التى جاءت من قبله، وانه لم (كـذا) يجيـد القراءة أو الكتابـة فقـد جاء فى القرآن الكريم: (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمـة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً) (النساء/۱۱۳). (وكـذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صـراط مسـتقيم) (الشورى: ۵۲). (وما كنت لـديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصـمون) (آل عمران: ۴۴). (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لـديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) (يوسف: ۱۰۲). (ومـا كنت ترجوا أن يلقى إليـك الكتاب إلا رحمـة من ربك فلا تكونن ظهيراً للكافرين) (القصـص: ۸۶). (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقـد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون) (يونس: ۱۶). وهكذا جاء القرآن ليؤكد أن النبى (ص) لـم (كـذا) يمـارس القراءة والكتابـة: (ومـا كنـت تتلو مـن قبله من كتـاب ولاـ تخطه بيمينـك إذا لارتـاب المبطلـون) (العنكبوت: ۴۸). وقـد كان ذلك كحجـة على النبوة فى عمقها الغيبى لأن هذه الشـمولية الثقافية لا يمكن أن تكون منطلقة من الجهد البشـرى من إنسـان لم تكن له أيـة تجربـة ثقافيـة من خلال اطلاعه على مصادر المعرفـة الكتابيـة أو غيرها. ولكن ليس معنى ذلك أن النبى (ص) كان لا يملك المسـتوى الثقافى العالى من خلال تأملاته وتجاربه والألطاف الإلهيـة عليه فى ملكاته الفكريـة والروحيـة من خلال إعداد الله له للمهمة الكبرى فى الرسالة الإسلامية ["۱۶۹] .

وقفة قصيرة

ونقول: ۱ ـ ان الصورة القرآنية تؤكد أن النبى (صـلى الله عليه وآله) كان يعرف ملة أبيه إبراهيم شيخ الأنبياء (عليه السلام)، وكان متبعاً لها وملتزماً بها قال تعالى: (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا، وما كان من المشـركين) [۱۷۰] . ۲ ـ إن الآيات التى استشهد بها على أقواله لاتـدل على ما يرمى اليه، وذلك لأن بعضـها ـ كآيـة سورة النساء: ۱۱۳ وفيهـا: (وعلمك ما لم تكن تعلم) يـدل على أن ما عند رسول الله (صـلى الله عليه وآله) من معارف إيمانية ومن حكمة وكتاب إلهى هو من الله سبحانه، وقد علم الله سبحانه نبيه بالإضافة إلى ذلك أموراً لم يكن (صـلى الله عليه وآله) عالماً بها.. وذلك لا يعنى: أن النبى (صـلى الله عليه وآله) لم يكن ملماً بالأديان قبل أن يبعثه الله رسولاًـ إذ إن قوله تعـالى: (علمـك مـا لم تكن تعلم) لم تبين لنا متى علمه ذلك، كما أنها لم تحـدد الأمور التى علمه إياها، فهل علمه الأديان السـماوية التى سـبقته؟!، أو أنه علمه التفاصـيل التاريخية لحياة الأنبياء؟!، أو علمه أسـرار الخلق والخليقة، وألف باب

من العلم يفتح له من كل باب ألف باب.. وهى التى علمها (صلى الله عليه وآله) لأمير المؤمنين على (عليه الصلاة والسلام)؟!. إن ذلك لم يتضح من الآية.. فكيف اتضح لذلك البعض أن المقصود هو هذا دون ذاك؟! على أن قوله(ص): (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين). وكونهم أنواراً بعرشه محدقين او معلقين بساق العرش قبل خلق الخلق بألفى عام يشهد بأن علمهم سابق حتى على خلق الخلق فلماذا العجب إذن إذا حدثت فاطمة أمها وهى فى بطنها وما إلى ذلك؟!.. ٣ ـ وأما آية سورة الشورى ٥٢ فإن قوله: (ما كنت تدرى ما الكتاب ولا ـ الإيمان) لا ـ يريد به نفى ذلك عنه قبل بعثته كرسول، وإلّا لزم أن يكون (صلى الله عليه وآله) ـ والعياذ بالله ـ كافراً قبل البعثة، لأنه نفى عنه صفة الإيمان أيضاً.. وذلك لا يمكن أن يصح. مما يعنى: أن المراد بالآية أنه (صلى الله عليه وآله) إنما تلقى الوحى بواسطة الروح من قبل الله سبحانه.. فقولهم: إنها أساطير الأولين اكتتبها، وقولهم: إنما يعلمه بشر، ونحو ذلك، باطل لا يصح. فالمراد بالآية: أنك يا محمد لولا وحينا لك بواسطة الروح، وهو جبرئيل لم تكن تدرى ما الكتاب. ولولا هدايتنا لك بالفطرة، وبحكم العقل الصر يح لم تكن تدرى ما الايمان. ويبقى سؤال: متى كان هذا الوحى له (صلى الله عليه وآله).. ويأتى الجواب: أن الروايات قد دلت على أنه (صلى الله عليه وآله) قد كان نبياً قبل أن يكون رسولاً بل دلت الروايات على أن نبوته قد بدأت من حين ولادته (صلى الله عليه وآله وسلم). ٤ ـ وأما آية سورة آل عمران /٤٤: (وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم)، فهى واضحة الدلالة على أن المراد أن الوحى هو الذى أعلمك يا محمد بأنهم قد ألقوا اقلامهم أيهم يكفل مريم إلخ.. ولولا الوحى فإنك لا تستطيع معرفة ذلك، أما متى كان هذا الوحى فقد أشرنا إلى أن الروايات هى التى تحدِّد ذلك فقد يكون منذ الولادة حيث بدأت النبوة، وقد يكون بعدها. ٥ ـ وكذلك الحال بالنسبة لآية (١٠٢) من سورة يوسف، وهو قوله تعالى: (ذلك من انباء الغيب نوحيه إليك..) فإنها دالة على أن معرفته (صلى الله عليه وآله) بتلك الأخبار الغيبية إنما كانت عن طريق الإنباء والوحى، لكنها لا ـ تعين لنا متى كان ذلك، فلعله كان قبل سنوات من البعثة، لكنه لم يؤمر بإبلاغه إلى أن يحين وقته، وقد حان وقته الآن.. ٦ ـ ونفس هذا الكلام يجرى بالنسبة للآية (٨٦) من سورة القصص: أعنى قوله تعالى:(وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب إلا رحمة من ربك)، فإن المراد بها أن إنزال القرآن عليه كان رحمة من الله، فرجاؤه إنما هو سبيل رجاء الرحمة الإلهية. ولا دليل يثبت أن حدوث هذا الرجاء كان حين البعثة، فلعل رجاءه هذا قد بدأ فى أول لحظات حياته، ومنذ امتلك الشعور والإدراك. ٧ ـ أما آية سورة يونس: (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به) فإنها تدل على أنه إنما أذن الله سبحانه له فى تلاوة القرآن عليهم بعد مضى وقت طويل قبل ذلك..، ولكن ذلك لا يعنى أن القرآن قد نزل عليه فى أول يوم بعثته إليهم كرسول، فلعله نزل عليه قبل سنين كثيرة، لكن الله لم يأذن له بتلاوته عليهم إلا فى هذا الوقت.. ٨ ـ وأما آية سورة العنكبوت (٤٨): (وما كنت تتلو من قبله من كتاب، ولا تخطه بيمينك).. فلا تدل على أنه لم يكن يعرف القراءة، بل هى تتحدث عن التلاوة التى هى إلقاء الكلام ولو عن ظهر قلب. فالمقصود: أنه لم يتل أياً من كتب السابقين.. كالتوراة والإنجيل ونحوهما قبل أن ينزل القرآن عليه، فالقرآن هو أول كتاب تلاه وألقاه. بل هى لا تدل أيضاً على أنه لم يكن يعرف الكتابة، لأنها إنما تتحدث عن أنه (ص) لم يكن يخط الكتب السالفة بيمينه.. فكيف يتهمونه بأمر ما رأوه قد مارسه، ولا يوجد أى دليل على أنه اطلع على أى كتاب سابق.. لا من خلال تلاوته له، ولا من خلال كتابته لمضامينه، فما هو المبرر لاتهامه بأنه قد استفاد من تلك الكتب إلا مجرد الحدس والتخمين، والرجم بالغيب. الأمر الذى من شأنه أن يسقط اتهاماتهم عن أية قيمة، لعدم وجود أساس معقول لها. فاتضح مما تقدم: أن ما ذكره فى معنى الآيات ليس هو المعنى النهائى، الذى لا محيص عنه فيها، بل إن هناك معانى محتملة، وقريبة لها، فلا مبرر للإستدلال بها. هذا.. وقد أشرنا فيما سبق أن أمّية النبى لا تعنى نقصاً فيه، بل هى غاية الكمال، لأنها تعنى أن هذا الذى لم يقرأ ولم يكتب ها هو فى لحظة واحدة يصبح عارفاً أدق المعرفة وأشملها لعلوم ولأمور لم تمر عليه من قبل.. حتى إن لم يكن يقرأ فصار يقرأ ولم يكتب فصار يكتب مع عدم تعلمه لهذه الأمور من قبل.. مما يدل على أن قد حدث له حدث فريد، وهو اتصاله بالغيب وصدقه فيما يدعيه من الوحى الإلهى، فعدم معرفته بالقرآءة والكتابة وعدم تلقيه معارفه عن طريقها غاية الكمال له.. لأنه قد أصبح يملك أدق المعارف والعلوم وأوسعها من دون الإستعانة بكتابة أو قرآءة وهذا غاية الكرامة والفضل، ولكن جهلنا نحن بالقرآءة

والكتابة يعد نقصاً فينا لأننا نحرم والحالة هذه من نيل المعارف ونبقى فى دائرة الجهل. ٩ ـ إن العبارة الأخيرة لهذا البعض تشير إلى أن مصدر معارفه (ص) قبل النبوة هو تأملاته، والألطاف الإلهية عليه فى ملكاته الفكرية والروحية. ومن الواضح: أن ذلك لا يكفى فى اعتباره (ص) مثقفاً، فضلاً عن أن يملك المستوى الثقافى العالى على حد تعبير هذا البعض رغم تحفظنا الشديد على مثل هذه التعابير بالنسبة للأنبياء (عليهم السلام) فإن التأمل، والملكات الفكرية والروحية للنبى لا تجعله عالماً بما جرى للسابقين، ولا مطلعاً على شىء من التفاصيل التاريخية لمن سبقه من الأنبياء، كما أن ذلك لا يجعله ملماً بالأحكام والشرائع والحقائق الدينية وغيرها وبالآيات السماوية التى جاءت أو نزلت من قبله.. بل يكون علماء أهل الكتاب والحالة هذه، وكذلك غيرهم أعلم منه فى ذلك، لأنهم يملكون ولو مقداراً ضئيلاً من تلك المعارف مهما كان مشوباً بغيره من الأباطيل. ١٠ ـ ولو سلمنا: أن التأملات والملكات الفكرية تجعله عالماً، فإن علم الأنبياء يصبح منوطاً بمراتبهم المعنوية، فهى التى تؤهلهم لخوارق العادات، حتى مثل الإتيان بعرش بلقيس، بإذن الله.. وما إلى ذلك مع أن النص القرآنى يقول: (عنده علم من الكتاب) مما يشير إلى أن هذا العلم الذى حصل عليه من الكتاب، لا من التأمل، هو الذى مكّنه من الإتيان بالعرش من اليمن إلى بيت المقدس. ١١ ـ لا ندرى لماذا فقد النبى (صلى الله عليه وآله) هذه المعرفة.. وقد كان حرياً بأن يكون عالماً بالشىء الكثير من ذلك، ولو من خلال معاشرته لجدّه عبدالمطلب، وعمه أبى طالب، وسواهما من الناس الذين عرفوا شيئاً من تواريخ الأنبياء السابقين، وما عرفوه وألموا به من تعاليم الأديان السماوية.. قبل البعثة لا تجربة ثقافية للنبى (ص). عناوين الشكّ فى شخصية النبى (ص). يقول البعض": عندما ندرس حياة النبى تبدو لنا هذه الحياة بسيطة، ليست فيها أية حالة ثقافية، وإن القرآن كان أمينا فى نقل الأفكار المضادة تماما كما هو أمين فى نقل الأفكار المناصرة، لقد استطاع القرآن أن يحدثنا بأمانة عن عناوين الشك فى شخصية النبى الذى لم يستطع أن يحصل تجربة ثقافية كافية قبل النبوة أو اية معلومات تاريخية يستطيع من خلالها التأثر بما قبله من الأنبياء ["١٧١] .

وقفة قصيرة

ونقول إن النبى قد كان نبيا منذ صغره، ولقد قرن الله به (ص) من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره [١٧٢] . وعلى هذا الأساس، فإنه لولا هذا الوحى الإلهى، وهذا الملك المسدد له، فإنه (ص) لم يكن يدرى ما الكتاب ولا الإيمان، قال تعالى: (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا، ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا، وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) [١٧٣] وذلك هو معنى قوله تعالى: (ووجدك ضالا فهدى). إذن.. فما معنى وجود عناوين للشك فى شخصية النبى (ص)، استطاع القرآن أن يحدّثنا عنها بأمانة؟!! وإذا كان الله قد قرن به ملكا يسدده منذ أن كان فطيما، ويسلك به سبيل المكارم، فما معنى عدم حصوله على تجربة ثقافية كافية قبل نبوّته؟!!.. عتاب يكشف عن الخطأ غير المقصود للتصرف. المصلحة الغالبة كانت فى عدم الإذن لهم. النبى يخالف الأولى فى التصرف. وسائل النبى فى تعامله تخطئ وتصيب كوسائل القضاء. النبى يخطئ فى رصد الأشياء الخفية. عدم وضوح وسائل المعرفة توقع النبى فى الخطأ. الغيب محجوب عن النبى، إلا فيما يوحى إليه. القرآن يتحدث كثيراً عن مخالفة الأولى للانبياء. الأنبياء يخالفون الأولى بسبب غموض ظواهر الأشياء. يقول البعض: فى تفسير قوله تعالى: (عفا الله عنك لم أذنت لهم) ["١٧٤] : لأن مثل هذه الكلمة تستعمل فى مقام العتاب الخفيف الذى يكشف عن طبيعة الخطأ الغير مقصود [١٧٥] للتصرف، كما أن الحادثة لا تحمل فى داخلها أية حالة من حالات الذنب، فالنبى يملك أمر الحرب، فيأذن لمن يشاء بالخروج أو لا يأذن، فليس للمسألة واقع خارج نطاق إرادته، وليست هناك أوامر إلهية فى مسألة خروج هؤلاء، وعدم خروجهم، ليكون تصرفه (عليه السلام) مخالفة لها، بل كل ما هناك أن الله أراد أن يضع القضية فى نصابها الصحيح من المصلحة الغالبة فى ترك الإذن لهم ليفتضح أمرهم ويتبين زيفهم بشكل واضح، فيتعرف المسلمون على حقيقتهم، فيرفضوهم من موقع الحقيقة الداخلية التى تنكشف من خلال تصرفاتهم فالمسألة تدخل فى دائرة مخالفة ما هو الأولى فى التصرف،

وليس فى ذلك انتقاص من عصمته وانسجامه مع الخط الذى يريد الله له أن يسير فيه. فقد ترك الله للنبى (صلى الله عليه وآله) مساحة يملك فيها حرية الحركة من خلال ما يدبِّر به أمر الأمة بالوسائل العادية المألوفة التى قد تخطئ فى بعض مجالاتها، لا بالوسائل الغيبية التى لا يملكها بطريقة ذاتية، لم يكشفها الله له بشكل مطلق، تماما كما هى الحال فى ممارسته القضاء بين الناس حيث قال: (إنما أقضى بينكم بالأيمان والبينات ["]١٧٦] . معنى خطأ النبى" وليست هناك مشكلة أن يقع الخطأ، فى ما هو الواقع فى رصد الأشياء الخفية من خلال غموض الموضوع لعدم وضوح وسائل المعرفة لديه، ما دام الغيب محجوباً عنه، إلا فى ما أوحى به الله إليه من أسرار علمه، وهذا ما أراد القرآن تأكيده فى أكثر من آية فى توضيحه لكثير من حقائق الامور بعد وقوعها وتحركها فى دائرة خلاف الأولى، فى ما كان وجه الصلاح غامضاً فيه من جهة ظواهر الأشياء، كما فى هذه المسألة التى أراد الله أن يوحى من خلالها بالحقيقة إلى نبيه، الذى أذن لهم فى عدم الخروج انطلاقا من سمو أخلاقه، وسعة صدره، ومواجهته الحالة بالرفق واللين، من خلال ما حدثنا الله به عن أسلوبه فى الحياة، ولكن القوم لم يكونوا بالموقع الذى يستحقون فيه ذلك، وهكذا كان خطابه لنبيه بأسلوب العتاب المحبب" لِمَ أذنت لهم "فى ترك الخروج، فقد اعتبروا ذلك حجة لهم أمام المسلمين الآخرين فى تأكيد صدقهم فى الإيمان، وانسجامهم مع خط الطاعة لله وللرسول ["]١٧٧] .

وقفة قصيرة

ونقول: ١ ـ إن ما ذكره هذا البعض هنا عن خطأ النبى الكريم (صلى الله عليه وآله)، مردود عليه ومنبوذ إليه فإن الخطأ ممنوع على النبى حتى لو لم يكن هناك أمر ونهى إلهى صريح.. ويزيد الإصرار على رفض هذه المقولات أنه قد قرر أن النبى لم يكن يعرف المصلحة والمفسدة فيما أقدم عليه فكانت النتيجة أن أقدم النبى (ص) على ترك الأولى، فتركه للأولى ناشئ والعياذ بالله عن جهله به، إلى آخر ما ذكره.. ٢ ـ إن الكثيرين حين لا يهتدون إلى معرفة الوجه فى تعابير الآيات القرآنية فى العديد من الموارد التى تتحدث عن بعض مواقف الأنبياء وحركتهم وتصرفاتهم، يلجأون إلى القول: بأن هذا التصرف المنسوب للنبى أو الولى هو من قبيل مخالفة الأولى فى مقام التصرف، ومخالفة الأولى لا تنافى العصمة.. مع أن هذا الكلام غير سديد، فإن مخالفة الأولى إن كانت ناشئة عن الجهل بوجوه الحسن والقبح، وبما ينبغى أن يكون عليه.. فنحن نجل الأنبياء عن أن يكونوا غير قادرين على التميز بين الأمور التى لا يحتاج التميز ومعرفة الراجح منها إلى أكثر من التدبر فى جهات الحسن الظاهرة فى هذا العمل أو ذاك، والموازنة بينهما.. وإن كان النبى والوصى يدرك رجحان هذا على ذاك، ولكنه يتبع هواه فى الأخذ بالمرجوح منهما، فالمصيبة تكون أفدح، وأعظم، والخطب أمرّ، وأدهى. وإن كان يأخذ بالمرجوح من دون سبب سوى الإستهتار، وعدم المبالاة.. فإن ذلك أيضاً مرفوض فى حق الأنبياء، والأولياء، فلا يقبل فى حقهم أن يكونوا يرجحون غير الراجح، أو يرفضون الأخذ بما هو أولى بالأخذ، فإن ذلك يكشف عن عدم وجود توازن فى شخصية هذا الإنسان المعصوم، وعن أنه يفقد الضوابط والمعايير التى يفيده الإلتزام بها ومراعاتها فى هذه الحياة.. وما أعظمها من كارثة، وما أخطره من نقص أن يكون الإنسان غير قادر على اختيار الأفضل والأمثل.. ومن يكون هذا حاله كيف يصح أن يختاره الله ليكون الأسوة والقدوة، والمربى، والحافظ.. فقد يتخلى عما هو الأولى فى أشد المواقف حساسية، وأعظمها خطراً، كما يذكرونه بالنسبة لآدم (عليه السلام). وبعبارة أخرى: إن اختياره للمرجوح لا ينسجم مع حكمته، وعقله، ومع توازن شخصيته، كما أن الله سبحانه لا يمكن أن يختاره نبياً، ولا ولياً خصوصاً إذا كان ثمة من يختار الراجح والأولى ويترك المرجوح، فإن اختيار ذاك على هذا ينافى الحكمة، والتدبير، والرحمة بالبلاد وبالعباد.. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.. ومهما يكن من أمر فإن العلماء إذا غفلوا عن هذا الأمر، وتحدثوا عن إمكانية مخالفة النبى للأولى فإنهم بمجرد أن نلفت نظرهم إلى هذه المحاذير سوف يبادرون إلى التخلى عن قولهم ذاك لصالح القاعدة التى يلتزمون بها. ولكن هذا البعض بملاحظة هذا الكم الهائل من المقولات قد اتخذ له منهجاً آخر، وتكوّنت لديه نظرة أخرى للأنبياء وقد جاءت مقولاته هذه منسجمة مع هذه النظرة وذلك المنهج، فلا يصح قياس أمره عليهم وما ذكرناه عنه فى هذا

الكتاب خير شاهد على ذلك. ۳ ـ إن قياس هذا البعض سلوك الأنبياء، وتعاملهم مع الناس، ومع الله، ومع أنفسهم، وفى جميع المواقع، على أمر القضاء بين الناس قياس مع الفارق.. فإن الله سبحانه قد شاء أن يعتمد نبيه، ووليه وسائل معينة فى القضاء، لأن الإعتماد على الغيب فى القضاء وفقاً للتحليل التاريخى ـ حسب مصطلح البعض ـ من شأنه أن يفسح المجال أمام قضاة السوء، وحكام الجور لأن يدّعوا على الناس ما ليس بحق، وتكون حجتهم هى: أن النبى (صلى الله عليه وآله) قد فعل ذلك، ونحن خلفاؤه، ونجلس فى موقعه، ونقوم بمهماته، فإذا كان هو يقتل القاتل، ويقيم الحد على السارق، استناداً إلى علمه، ومن دون حاجة إلى شهود فنحن أيضاً نفعل ذلك.. فيأخذون الناس بهذا الأمر، ويقتلون من يشاؤون، وينكلون بالناس حسبما يشتهون، ويستفيدون من هذا الغطاء الشرعى ـ بحسب ظواهر الأمور ـ لتأكيد سلطانهم، والقضاء على خصومهم ومعارضيهم، وابتزاز الناس فى أموالهم، وأعراضهم و ومواقفهم، وما إلى ذلك.. وقد يكون هذا مدخلاً للقضاء على كل عناصر الفضل والخير والدين، وإبادة قوى الصدق، والإيمان، والصلاح، والتخلص من كل ما يخافون منه.. ۳ ـ أما بالنسبة لمعنى الآية، فإننا قد بيّناه فيما سبق من هذا الكتاب فراجع.. النبى لا يملك أية مقومات ذاتية كبيرة. النبى لا يملك أية قدرات شخصية مطلقة. الدرس الفكرى: أن لا نغرق انفسنا بالأسرار العميقة التى يحاول البعض إحاطة شخصية النبى بها. يحيطون النبى بالأسرار للإيحاء بأنه يرتفع فوق مستوى البشر. النبى ليس فوق مستوى البشر فى إمكاناته الذاتية. النبى ليس فوق مستوى البشر فى قدراته الكبيرة. هو فوق البشر بأخلاقه، وخطواته، ومشاريعه المتصلة برسالته. علينا أن نشعر أن النبى قريب منا بصفاته البشرية التى هى اساس التمثل والإتباع، والإقتداء. الأبحاث السائرة فى هذا الإتجاه، إنحراف عن الخط القرآنى فى دراسة شخصية النبى. الله قد يطلع النبى على بعض غيبه، مما قد يحتاجه فى نبوته من علم المستقبل، أو خفايا الأمور. التصور القرآنى ينفى فعلية علم النبى للغيب من الناحية الوجودية. النبى ليس مجهزاً فى تكوينه البشرى بالقدرة على علم الغيب. الله يطلع رسله على الغيب بطريقة التعليمات التدريجية. ليس علمه بالغيب منطلقاً من قدرة تتحرّك بالفعلية، بحيث يعلم بالغيب كلما أراد من خلالها. يقول البعض(": إن اتبع إلا ما يوحى إلى) وهكذا أراده أن يقف بينهم عبداً خاشعاً بين يديه، لا يملك أية مقومات ذاتية كبيرة، أو أية قدرات شخصية مطلقة، رسولاً أميناً على الدور الذى أوكله الله إليه، فهو ينتظر أمر الله ووحيه فى كل صغيرة أو كبيرة ليتبعه، ويبلغه للناس، وربما كان الحديث عن الإتباع موحياً بالصفة المطيعة المتواضعة التى تجسدها شخصيته ليكون فى ذلك بعض الإيحاء لهم بالطاعة لله، والإستغراق فى دور العبد المطيع الذى يتمثل حركة العبد (النبى)، فى شخصية العبد المؤمن، وإذا كان التوجيه الإلهى يفرض على الرسول أن يقدم نفسه إلى الناس بهذه الصفة فقد نجد فيه الدرس الفكرى الذى يريدنا أن لا نغرق أنفسنا بالأسرار العميقة التى يحاول البعض أن يحيط بها شخصية النبى، للإيحاء بأنه يرتفع فوق مستوى البشر فى إمكاناته الذاتية، وقدراته الكبيرة، بل بصفته الرسالية من حيث أخلاقه، وخطواته، ومشاريعه المتصلة برسالته. وذلك هو السبيل للتعامل مع شخصية الأنبياء، والأولياء، بالأسلوب القريب إلى الوعى الإنسانى العادى، فى ما يمكن للإنسان أن يعيشه، ويتصوره ويتمثله فى نفسه، ليشعر بأن النبى قريب منه بصفاته البشرية المثلى التى يمكن أن تكون أساساً للتمثل، والإتباع، والإقتداء، وفى ضوء ذلك، نجد فى الأبحاث السائرة فى هذا الإتجاه انحرافاً عن الخط القرآنى الذى يرسم للناس فى دراستهم لشخصية النبى (ص)، وهنا نقطة، وهى مسألة نفى النبى فى حواره مع المشركين علمه بالغيب، فقد جاء فى الميزان، قال: المراد بنفى علم الغيب، نفى أن يكون مجهزاً فى وجوده بحسب الطبع بما لا يخفى عليه معه ما لا سبيل للإنسان بحسب العادة إلى العلم به من خفيّات الأمور كائنةً ما كانت [۱۷۸] . وهذا هو التصور القرآنى الصحيح الذى يؤكد نفى الفعلية لعلم الغيب من الناحية الوجودية بمعنى أن يكون مجهزاً فى تكوينه البشرى بالقدرة الخاصة لعلم الغيب بحيث يتحرك نحوه ـ فى فعليته ـ بشكل طبيعى، بل المسألة هى أن الله قد يطلعه على بعض غيبه مما يحتاجه فى نبوته من أمور المستقبل، ومن خفايا الأمور كما فى قصة عيسى (ع)، (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم) (آل عمران:۴۹) ونحو ذلك، ولعل هذا هو الذى أشار إليه أمير المؤمنين على (ع) فى إخباره بالمغيبات عن سؤاله: (هل هذا علم بالغيب؟) فى تصورهم للمعنى الذاتى من خلال القدرات الخاصة التى يملكها فى ذلك. فأجاب: (وإنما هو تعلم من ذى علم) [۱۷۹] وهذا هو الذى عبر عنه بعض المفسرين (هو علم

الغيب بالعرض) أى تعلم من عالم الغيب. وخلاصة الفكرة: هى أن الله كان يطلع رسله بطريقة التعليمات التدريجية المحدودة على الغيب كما فى قوله تعالى: (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا) (سورة الجن:٢٦) ولم يكن علم الغيب منطلقاً من قدرة تتحرك بالفعلية ليعلم بالغيب كل ما أراد من خلالها بحيث إن الله أعطاه ذلك من خلال القاعدة المنتجة للعلم فى نفسه.. والله العالم [١٨٠].

وقفة قصيرة

إننا نسجل هنا ما يلى: ١ ـ من أين؟ وكيف علم هذا البعض أن النبى لا يملك مقومات ذاتية كبيرة، أو قدرات مطلقة، أو أن الأنبياء ليسوا فوق مستوى البشر فى قدراتهم الذاتية وإمكاناتهم. فإن ذلك من الأمور التكوينية، ومن الغيبيات التى لا يعرفها إلا الله سبحانه..، وهو يشترط فى معرفة الأمور التكوينية والغيبية وغيرها، قيام الدليل القطعى، الموجب لليقين التام، ولا يكفى فيها مطلق ما هو حجة.. ٢ ـ إذا كان النبى (صلى الله عليه وآله) أفضل من البشر، وإذا كان الله سبحانه قد خلقه هو والأئمة قبل خلق الخلق بألفى عام، وجعلهم أنواراً بعرشه محدقين، وإذا كانوا أنواراً فى الأصلاب الشامخة، والأرحام المطهرة. وإذا كان النبى شاهداً على الخلق يرى أعمالهم الجوارحية، والجوانحية، ويشهد عليهم بها وإذا كان يرى من خلفه كما يرى من أمامه، وإذا كانت تنام عيناه، ولا ينام قلبه، ثم ما روى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أنه قال لعلى (عليه السلام): (يا على ما عرف الله حق معرفته غيرى وغيرك. وما عرفك حق معرفتك غير الله وغيرى) [١٨١] وما إلى ذلك، وهو كثير جداً. فإن النتيجة تكون هى أن هناك أسراراً عميقة تحيط بهم (عليهم السلام) لا ندرك كنهها، ولا ضير فى أن نغرق أنفسنا بها، إذا كان الله ورسوله، والأئمة الأطهار (عليهم السلام) هم الذين أخبرونا عنها فى محاولة لشد أنظارنا إليها، وإطلاعنا عليها لحكمة هم يعرفونها. ٣ ـ إن شعورنا بأن النبى (ص) قريب منا بصفاته البشرية، وكون ذلك هو أساس التمثل، والإتباع، والإقتداء صحيح، ولكنه لا يمنع من اعتقادنا أيضاً بوجود قدرات، وإمكانات غير عادية لدى هذا النبى (صلى الله عليه وآله) فى جهات أخرى من شخصيته، وحياته. بل قد يسهم وعينا لهذه الحقيقة فى الحرص على الإتباع له، والتأسى به.. فى الجهات العملية، فى دائرة السلوك، والأخلاق، والمواقف الرسالية، والإلتزام العقيدى، والإيمانى، وغير ذلك.. ٤ ـ إن الخط القرآنى فى دراسة شخصية النبى يرتفع بهذه الشخصية إلى مراتب لا تبلغها أوهام البشر، حين يأخذ نبيه فى رحلة المعراج إلى السماوات العلى، حتى بلغ (عليه الصلاة والسلام) سدرة المنتهى. وأما الآيات التى يستند اليها هذا البعض فى إبعاد الأنبياء عن مواقع الكرامة الإلهية.. فقد فسرها العلماء، وبينوا معانيها.. بطريقة صحيحة، ومنسجمة مع كل المقاييس التى ارتضاها القرآن، وأكدها، والتزم بها الإسلام، وأيدها، وقد يجد القارئ الكريم فى هذا الكتاب بعضاً من ذالك. ٥ ـ وأما أن الله سبحانه قد يطلع نبيه على بعض غيبه، مما قد يحتاجه فى نبوته، فهو كلام صحيح.. ولكنه لا يمنع أيضاً من أن يطلعه على جميع غيبه، فإن قوله تعالى:(عالم الغيب والشهادة فلا يطلع على غيبه أحداً، إلا من ارتضى من رسول) لم يحدد فيه مقدار الغيب الذى يطلع الله عليه بعض رسله، بل إن سياق الآية ـ على غيبه ـ ظاهر فى إمكانية أن يطلع الله بعض رسله على كل غيبه. فمن أين أتانا هذا البعض بالتخصص بخصوص ما يحتاجه النبى فى نبوته؟!، ومن اين جاء بكلمة (بعض) فى قوله: (بعض غيبه)؟!. ٦ ـ وأما أن التصور القرآنى ينفى فعلية علم النبى للغيب من الناحية الوجودية، أى أنه ينفى وجود قدرة ذاتية تمكنه من العلم كلما أراد، وساعة يشاء.. فذلك أيضاً غير صحيح، فإن التصور القرآنى يعطينا إمكانية أن يعلم الله نبيه بجميع غيبه كما ألمحنا إليه آنفا. ولكنه ينفى أن تكون النبوة من حيث هى نبوة تقتضى علم الغيب بصورة ذاتية.. ولا ينفى إمكانية أن يكون الله قد جهز نبيه بقدرة يستطيع بها الإطلاع على الغيب ساعة يشاء، وفى كل ما يريد.. وقد دلت الأخبار الواردة عن المعصومين (عليهم السلام) على ذلك.. ٧ ـ من أين علم هذا البعض: أن الله يطلع أنبياءه على الغيب بصورة التعليمات التدريجية، فإن هذا يحتاج إلى دليل يقينى، ولا يكفى فيه مطلق الحجة.. كما يقول هذا البعض نفسه. إذ لعل الله قد أطلع رسوله على غيبه كما هو مفاد الآية، لكى يرفع بهذا العلم مقامه، ويكرمه به. لكنه منعه من إخبار الناس به، فصار ينتظر أمر ربه فى إبلاغ كل حدث يريد إبلاغه للناس. ٨ ـ على أن نفيه وجود قدرة تمكن النبى من علم الغيب يحتاج إلى دليل.. حسبما قرره هذا

البعض نفسه، فأين هو دليله القطعى ـ حسب رأيه ـ الذى أقامه على هذا النفى؟

معجزات رسول الله المعراج و شق القمر

اشاره

إنكـار معجزة شق القمر للرسول (ص). لاـ فائـدة من إرسـال الآيات فى هـذا الزمان. الحـديث المتواتر إذا لم يوثق ببعض رجال سـنده يتحول إلى خبر واحـد. لا يوجـد أساس يقينى للالتزام بروايات شق القمر. وقوع شق القمر مخالف للظواهر القرآنيـة. يقول البعض.."": كيف نفهم انشـقاق القمر من الآيـة؟ أمـا انشـقاق القمر فقـد، جاءت الروايات لتؤكـد أن معناه يعبّر عن آيـة كونيـة، فى نطاق المعجزة المقترحـة من قبـل المشـركين على النبى (ص) لإثبـات نبوته، وقيل: إن أهل الحـديث، والمفسـرين اتفقوا على قبولها، ولم يخالف فيه منهم إلا الحسن وعطاء والبلخى حيث قالوا إن معنى قوله: (وانشق القمر) سـينشق القمر عند قيام الساعة،وإنما عبَّر بلفظ الماضـى لتحقق الوقوع. أما تعليقنا على ذلك، فهى أن المسألـة لا بد أن تُناقش من نقطتين: النقطة الأولى: من زاوية الإسـتغراق فى مضـمون النصوص فى ذاتهـا من حيث إمكانهـا ومعقوليتهـا، وفى سـند النصوص من حيث وثاقتهـا وصـحتها. النقطـة الثانيـة: من زاويـة المقارنـة بين هـذه النصوص المفسـرة للقرآن بذلك، وبين المفاهيم القرآنية العامة فى مسألة المعجزة الحسـية الكونية وغير الكونية، الخارقة للعادة، سواءً كانت مقترحـة أو غير مقترحة، على أساس القاعدة القائلة بأن علينا عرض الأحاديث على ما جاء به القرآن من حقائق بمقتضـى الظهور الواضـح، لأـن مـا خـالف كتـاب الله فهو باطـل أو زخرف. أمـا النقطـة الأـولى: فقـد تحتـاج إلى عرض بعض هـذه الروايـات كنموذج للمجموع، ففى رواية أنس بن مالك، قال الإمام احمد: حدثنا معمر، عن قتادة عن أنس بن مالك قال: سأل أهل مكة النبى (ص) آية، فانشق القمر بمكـة مرتين فقال: اقتربت الساعـة وانشق القمر. ومن روايـة جبير بن مطعم، قال الإمام احمد: حدثنا محمد بن كثير، حدثنا سليمان بن كثير عن حصـين بن عبـد الرحمن، عن محمـد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: انشق القمر على عهـد رسول الله (ص) فصار فلقتين، فلقة على هذا الجبل وفلقة على هذا الجبل فقالوا: سـحرنا محمد، فقالوا: إن كان سـحرنا فانه لا يسـتطيع أن يسـحر الناس كلهم. وفى أمالى الشـيخ ـ أبى جعفر محمد بى الحسن الطوسـى، بإسناده عن عبيد بن على عن الرضا عن آبائه عن على ـ عليهم السلام ـ قال: انشق القمر، بمكة فلقتين فقال رسول الله (ص): اشهدوا اشهدوا. وقد ذكر فى الميزان أن علماء الشيعة ومحدثيهم تسلموا الخبر بانشقاق القمر لرسـول الله (ص) مـن غير توقـف. ونقـل فى روح المعـانى عن السـيد الشـريف فى شـرح المواقـف وعن ابن السـبكى فى شـرح المختصـر أن الحـديث متواتر لاـ يمترى فى تواتره. ولكننـا لاـ نسـتطيع إحراز التواتر من خلال هـذه الأخبار التى لم يكن رواة بعضـها موجودين فى زمن الإنشـقاق المفروض ليكونوا شـهوداً عليه، مما يعنى أنهم نقلوه عن أشـخاص آخرين لا نعرف وثاقتهم، الأمر الـذى قـد يجعـل منهـا أخبار آحاد لا تثبت بها مثل هـذه الأمور كما قرر فى علم الأصول.. وقـد يكون التسالم على قبولها ناشـئا من الاجتهاد التفسيرى فى معنى الآية على أساس أن الآية الثانية تفسـر ذلك فيكون الإعتماد على القرآن فى توثيق المضمون الخبرى لا على طبيعة الخبر. فـإذا تجاوزنـا ذلك، إلى موضوع الإمكان، فلا بـد أن نسـلم بأنه من الأمور الممكنـة فى ذاتها، وقـد حـدثنا القرآن عن انشـقاق السـماء ونحو ذلك من الحوادث التى تتصل بتبـدل الظواهر الكونيـة وتغيّرها عما هى عليه، فإذا صح الخبر فيها ثبت وقوعها. أما النقطة الثانيـة، فقـد أثير حولها الإشـكال من جهـة الآيات الكثيرة التى تنفى صدور الآيات المعجزة لا سـيما المقترحة مـن قبل الناس كمـا فى قوله تعـالى: (ومـا منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كـذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقـة مبصـرةً فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) [۱۸۲] فإن مفاد الآيـة يوضّـح بأن الإرسال بالآيات لا يحقق أيـة نتيجـة فى دائرة الإيمان، لأن السابقين الـذين أرسـلت الآيات إليهم لم يتجاوبوا معها، ولم ينتفعوا بها، بالرغم من كل ما تثيره فى نتائجها من تهاويل الخوف باعتبار أن نزول الآية التى لا يعقبها الإيمان يؤدى إلى نزول العـذاب. ويتأكـد الإشـكال فى الآيـات المقترحـة التى أراد الله من رسوله أن يعرفهم امتناع اسـتجابة الله لهم فى طلبهم إياها،

وهو القـادر على ذلك لأنه المهيمن على الكون كله، فيما يريـد أن يخلقه من ظواهر غير موجودة، أو فيما يريـد أن يغيّره من حالٍ إلى حـال فى الظواهر الموجودة، فـان الأـمر خاضع لحكمته لا لاقتراحهم.. أمّا النبى الـذى تُقـدَّم إليه تلك الطلبات فليس قادراً على ذلك، لأـن بشـريته تمنعه من قـدرته على ذلك كما أن صـفة الرسالـة لا تجعل له دوراً فى تغيير الظواهر من حوله. ولعلّ هـذا الجو هو الـذى يتمثل للإنسان القارئ للقرآن فى ملاحقته لخطوات الرسالـة أمام التحديات الموجهة إليها من المشـركين.. وفى ضوء ذلك قد نلاحظ اختلاـف هـذا التفسـير مع المفـاهيم القرآنيـة العامـة فيكون الحـديث المتضـمن لها حـديثا مخالفا للظواهر القرآنيـة. وقـد أجاب هؤلاء المفسـرون للآيـة بما ذكر، بأن الآيـة التاليـة لها تؤكد بأن المقصود من انشـقاق القمر، هو ما حدث على يد الرسول (ص) فى مكة فيما رواه المفسـرون، وذلك لأن الظاهر من قوله تعالى: (وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سـحر مسـتمر) أنها آية واقعة قريبة من زمان النزول، أعرض عنها المشـركون كسائر الآيات التى أعرضوا عنها وقالوا: سـحر مبين. وقد يورد عليهم بأن الآية الثانية لا تدل على أنها من توابع الفكرة التى تثيرهـا الآيـة الأـولى.. بـل ربمـا كـانت الأـولى عنوانـاً للأـجواء التى توحى بيوم القيامـة، فيما يراد إثارته من تـذكير هؤلاء المشـركين وغيرهم به، لتنطلق الآيات بعـدها لتتحدث عن سـلوكهم المنحرف عن الرسالة الذى يعرّضـهم للنتائج الصـعبة على مستوى العـذاب فى نار جهنم.. وبـذلك يكون الحـديث عن ردهم الآيات بأنها سـحر مسـتمر مماثلا لكل الآيات التى تتحدث عن تهمة النبى (ص) بأنه ساحر من دون أن تكون مرتبطـة بحادثـة معينة.. وقد نلاحظ، فى هذا المجال، ضـرورة التدقيق فى كلمة (مسـتمر) التى تعنى انطلاق التهمـة قبل الآيـة لتكون مسـتمرة بعـدها.. مما قـد يتنافى مع انطلاق تهمـة السـحر من خلالها. وقد أجاب بعض المفسـرين عن اسـتلزام نزول الآيـة للعـذاب بعـدها فى حالـة الكفر، بـأن ذلك لا يشـمل كل الناس الموجودين آنـذاك، بل الجماعات المقترحـة لها المكذبـة بنتائجهـا، وقـد أهلـك الله هؤلاـء وهم صـناديد مكـة. إلى أن قـال: علامـات اسـتفهام حول معجزة انشـقاق القمر " ويتساءل الرافضون لهـذا التفسـير، إن القمر لو انشق كمـا يقـال، لرآه جميع النـاس ولضـبطه أهـل الأرصاد فى الشـرق والغرب لكونه من أعجب الآيات السـماوية، ولم يعهـد فيما بلغ إلينا من التاريـخ والكتب الباحثـة عن الأوضاع السـماوية له نظير، والـدواعى متوفرة على اسـتماعه ونقله. وأجيب بما حاصـله، أن من الممكن أولاً: أن يغفل عنه فلا دليل على كون كل حادث أرضـى أو سماوى معلوماً للناس محفوظاً عنـدهم يرثه خلف عن سـلف. وثانياً: أن الحجاز وما حولها من البلاد العربية لم يكن بها مرصد للأوضاع السـماوية، وإنما كان ما كان من المراصـد بالهند والمغرب من الروم واليونان وغيرهما، ولم يثبت وجود مرصد فى هذا الوقت ـ وهو على ما فى بعض الروايات أول الليلـة الرابعـة عشـرة من ذى الحجة سـنة خمس قبل الهجرة. على أن بلاد الغرب كانت تختلف بالأفق مع مكة مما يوجب فصـلًا زمانياً معتـداً به وقـد كـان القمر، على ما فى بعض الروايات، بـدرا وانشق فى حوالى غروب الشـمس حين طلوعه، ولم يبق على الانشـقاق إلاّ زمانـاً يسـيراً ثم التأم فيقع طلوعه على بلاـد الغرب وهو ملتئم ثانيـا. وقـد يُجـاب عن هـذا بـأن من الممكن التسـليم بالفكرة التى يثيرها الجواب الثانى.. أما بالنسـبة إلى الجواب الأول فليس هناك مجال للتسـليم به.. لأن مسألـة انشـقاق القمر بالطريقـة التى تثيرها الروايات تمثل حادثاً خطيراً لم يعهـده الناس فى حياتهم، مما يجعل إمكان غفلـة البعض عنه لا تبّرر غفلـة الأكثر لا سـيما فى تلك المناطق التى يلتقى فيها الناس بالقمر فى مراقبـة دائمـة له باعتباره مصـدر الضوء البارز فى لياليهم التى لا يملكون فيها إلا الطرق البدائيـة فى مصادر النور.. ولذلك فإن هذا الحدث لو كان لذاع وشاع وملأ الأسـماع، كما يقولون، ولاستمر الحديث عنه مدة طويلة.. ولكان يوماً تاريخياً يخلّده النـاس فيمـا يؤقتون به الأـمور على طريقتهم المعروفـة فى حسـاب التاريـخ بالأيـام التى تحمل حـدثاً كبيراً لا يختلف الناس فيه لضـخامة الأثر الـذى يتركه فى حياتهم. وفى ضوء ذلك كله، فإننا نتحفظ فى المسألـة لأننا لا نجد أساساً يقينياً للالتزام بهذه الروايات، كما لا نجد ظهورا قرآنيا فى تحديد الموضوع بزمان الرسالة [".١٨٣] .

وقفة قصيرة

١ً ـ إن هـذا البعض يقول: إن أخبـار وقوع انشـقاق القمر فى عهـد رسول الله (ص) متواترة: ونقـل لنـا عن كتـاب" الميزان: " أن علماء

الشيعة ومحدثيهم قد تسلموا الخبر بانشقاق القمر لرسول الله (ص) من غير توقف. ثم إن هذا البعض قد ناقش فى تواتر هذه الأخبار بأن بعض رواتها لم يكونوا موجودين فى زمن الانشقاق،مما يعنى أنهم نقلوها عن أشخاص آخرين، لا نعرف وثاقتهم، فتكون أخبار آحاد،ولا تثبت هذه الأمور بخبر الواحد. ونقول: أ ـ لا ندرى كيف يصبح الحديث المتواتر من أخبار الآحاد، إذا لم تثبت وثاقة بعض رواته؟! فهل يعتبر فى الخبر المتواتر وثاقة رواته؟! وهل يعتبر أن يكون جميع الرواة معروفين لدينا أو موجودين فى زمن الحادثة؟! حسبما يشير إليه قوله: (لم يكن رواة بعضها موجودين فى زمن الإنشقاق المفروض، ليكونوا شهوداً عليه؛ مما يعنى أنهم نقلوه عن أشخاص آخرين، لا نعرف وثاقتهم الأمر الذى قد يجعل منها أخبار آحاد). وإذا كان رواة بعضها غير موجودين حين حصول الحدث، فإن رواة الباقى المتواتر نقله كانوا موجودين آنئذ. ومن اين له أن من شروط التواتر هو وثاقة الرواة؟ وأين قرأ ذلك وما الذى دله على هذا فانكر ما يثبت به؟ ب ـ إن هذا الأمر، أعنى انشقاق القمر، ليس من أصول العقائد، التى يتوقف عليها الإسلام والإيمان، ليحتاج ثبوته إلى القطع واليقين، وإنما هو حدث تاريخى خارق للعادة له مساس بالعقيدة، يثبت بما هو حجة شرعية كأى حدث حصل فى التاريخ خارق للعادة ينقل لنا عن النبى (ص) قولاً أو فعلاً، أو كرامة إلهية له (ص).. فإن مثل هذه الأمور لا تحتاج إلى أكثر من ذلك لا سيما عند هذا الرجل الذى لا ينفك يدعى أنه يلتزم بحجية خبر الواحد من باب طريق العقلاء. نعم، لو كان ذلك من المعجزات التى يتوقف على إثباتها إثبات نبوة النبى مثلا احتاج ذلك إلى الثبوت القطعى. وهذا من الأمور البديهية والواضحة لدى العلماء. ٢ ـ إن هذا البعض قد قبل بالمناقشة التى تقول؛ (لو كان الانشقاق قد وقع لكان اللازم نزول العذاب، لأن هذه معجزة اقترحها المشركون، وقد استجاب الله لاقتراحهم حسب الفرض، فحيث لم يؤمنوا فإن اللازم هو نزول عذاب الاستئصال عليهم، كما هو الحال فى الموارد المشابهة). ونقول: أ ـ قال الله سبحانه: (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدّون عن المسجد الحرام وما كانوا اولياءه إن اولياؤه إلا المتقون، ولكن أكثرهم لا يعلمون) [١٨۴] . فهذه الآية تعطينا أن الله لم يكن لينزل عليهم العذاب ونبى الله الأكرم (ص) موجود فيما بينهم. ب ـ إن هذا البعض نفسه قد ذكر ثلاث روايات عن وقوع حادثة شق القمر، ويلاحظ أن اثنتين منها لم تذكرا أن أهل مكة قد اقترحوا على الرسول ذلك،فاذا طرحنا الرواية الثالثة،لأجل ضعف سندها، ولم نحمل المطلق على المقيد، لأجل ذلك، فإن ذلك لا يحتم علينا رفض الروايات المطلقة التى تنسجم مع الظهور القرآنى، إذ لعلها كرامة أكرم الله بها نبيه ابتداء منه تعالى بهدف إقامة الحجة على المشركين تماما كما هو الحال فى تسبيح الحصى فى يديه، وسجود الشجر له، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة، وتكليم الحيوانات له (ص)، وغير ذلك. ج ـ ولنفترض أننا حملنا مطلق الروايات على المقيد منها، وقلنا إن انشقاق القمر قد حصل باقتراح منهم فكما أنه لا يجب على النبى (ص) قبول كل اقتراح فلا يجب أيضاً أن يرد كل اقتراح. و مع هذا فليس كل آية مقترحة توجب نزول العذاب، بل ما يوجب ذلك هو ما يكون اقتراحا يمثل التحدى له من قبل عامة الناس، بحيث يكون عدم ظهور الآية دليلاً لهم على كذب النبى فى مدّعاه ـ والعياذ بالله ـ ويتم حسم القضية بهذه الطريقة من الأساس. أما إذا كان اقتراحاً من أفراد لا بعنوان التحدى العام له، ولرسالته، فلا يجب أن ينزل العذاب بسبب ذلك. وكذا لو كان هذا التحدى ليس حاسما كما ذكرنا. ولم يظهر أن القضية فى موضوع شق القمر كانت مستجمعة لهذين الشرطين. ٣ ـ وأما استدلاله على أن العذاب لابد أن ينزل بعد الآية المقترحة بآية (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها، وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) [١٨۵] . فهو استدلال باطل، وذلك لما يلى: أ ـ إن ما ذكرناه آنفا كافٍ فى إبطال هذا الإستدلال. ب ـ إن قوله تعالى: (وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) يدل على أن باب إرسال الآيات لم يغلق، وإنما هو مفتوح حين يريد الله تعالى تخويفهم بإظهار قدرته وهيمنته. ج ـ إن قوله فى تفسير هذه الآية: إن إرسال الآيات لا فائدة فيه.. لو صح: لاقتضى أن لا يكون سبحانه قد أرسل الآيات فى السابق أيضاً، فإنه إذا كانت الآيات بلا فائدة ولا تحقق نتيجة، فكيف يفعل الله سبحانه أمراً لا فائدة فيه، وإن كانت مفيدة فى السابق فما الذى منع من فائدتها الآن. ۴ ـ وبعدما ذكرنا يظهر بطلان قوله عن عدم وقوع انشقاق القمر حسبما تقدم نقله من كتابه": وفى ضوء

ذلك قد نلاحظ اختلاف هذا التفسير مع المفاهيم القرآنية العامة، فيكون الحديث المتضمن لها حديثا مخالفا للظواهر القرآنية."
وكيف انفرد فى فهم هذه المخالفة مع أن علماءنا جميعا تسلّموا هذه الاخبار بلا توقف، فيدور الامر بين الطعن فيما فهموه جميعا بلا توقف هذا من جهة، أو الطعن فى صحة فهمه هو من جهة أخرى، والأمر موكول إلى القارئ المنصف لا سيما بعد ظهور عدم صحة ما استند اليه فى فهم هذا وهو لزوم نزول العذاب فى المعجزات المقترحة. ٥ ـ قال فيما تقدم": وقد نلاحظ فى هذا المجال ضرورة التدقيق فى كلمة مستمر، التى تعنى انطلاق التهمة قبل الآية لتكون مستمرة بعدها،مما قد يتنافى مع انطلاق تهمة السحر من خلالها."
وقد اعتبر ذلك مؤيداً لمقولة أن يكون المراد بالآية الأولى التذكير بالأجواء التى توحى بيوم القيامة. ويكون قوله تعالى: (وإن يروا آية يعرضوا..) الخ.. من قبيل قولهم عنه إنه ساحر دون أن تكون مرتبطة بحادثة معينة. ونقول: أ ـ إن التدقيق فى كلمة مستمر لا يجديه نفعا، لأن مقصودهم بها أن هذا الذى يرونه من انشقاق القمر ما هو بزعمهم إلا استمرار لممارساته السحرية التى رأوا العديد من مفرداتها، فهذه الحادثة قد جعلتهم يجددون اتهامهم إياه بهذه التهمة الباطلة. وتكون تهمة السحر له قد انطلقت من هذه الحادثة بالذات، ولكنها تهمة لاحظ من أطلقها مجموعة أحداث أراد أن يبرر بها عودته لإطلاق هذا الاتهام بالذات. ب ـ إن من الواضح أن اعتبار الآيات فى سياق واحد أولى من فصلها عن بعضها البعض، لا سيما إذا جاءت الرواية لتؤكد وحدة هذا السياق، وترابط الآيات بعضها مع بعض. فالإصرار على تجاهل الرواية الواردة عن أهل البيت عليهم السلام وعن غيرهم الصالحة للقرينية على وجود هذا الارتباط السياقى أمر لا مبرر له على الاطلاق. ٦ ـ قد دافع عن القول: بأن غفلة الناس عن هذا الأمر الخطير، وهو انشقاق القمر، تدل على عدم حصوله. ونقول فى دفاعه هذا: إن ما ذكره من دلائل وشواهد لا يصلح لذلك، وذلك لما يلى: أ ـ إن هذا الإنشقاق قد حصل فى نصف الكرة الأرضية حيث يوجد الليل دون النصف الآخر حيث يوجد النهار. ب ـ فى هذا النصف قد لا يلتفت اكثر الناس إلى ما يحصل فى الأجرام السماوية، إذا كان ذلك بعد نصف الليل، حيث الكل نائمون. ج ـ لربما يكون فى بعض المناطق سحاب يمنع من رؤية القمر. د ـ إن الحوادث السماوية إنما تلفت النظر إذا كانت مصحوبة بصوت كالرعد، أو بأثر غير عادى كقلة نور الشمس فى الكسوف، إذا كان لمدة طويلة نسبيا. هـ ـ هذا كله عدا عن أن السابقين لم يكن لهم اهتمام كبير بالسماء وما يحدث لأجرامها. و ـ لم يكن ثمة وسائل إعلام تنقل الخبر من أقصى الأرض إلى أقصاها بسرعة مذهلة لتتوجه الأنظار لما يحدث. ز ـ إن التاريخ الموجود بين أيدينا ناقص جداً، فكم كان فى تلك المئات والآلاف من السنين الخالية من كوارث، وزلازل، وسيول عظيمة، أهلكت طوائف وأمماً، وليس لها مع ذلك فى التاريخ أثر يذكر، بل إن زرا دشت ـ وقد ظهر فى دولة عظيمة وله أثر كبير على الشعوب على مدى التاريخ ـ لا يعرف أين ولد وأين مات ودفن، بل يشك البعض فى كونه شخصية حقيقية أو وهمية. ٧ ـ وبعد ما تقدم نقول: إنه لا يجب أن يعرف جميع الناس بانشقاق القمر، ولا أن يضبطه التاريخ بشكل دقيق. بل اللازم هو معرفته من قبل من ظهرت هذه المعجزة عنده من أجل إقناعه. ٨ ـ إن إنكاره لمضامين الأحاديث التى أجمع عليها المسلمون سوى من استثناهم هذا البعض ـ وهم فقط ثلاثة أشخاص: الحسن البصرى، وعطاء، والبلخى ـ إن إنكاره له ـ استنادا إلى هذه الاستبعادات، الاستنسابية مع وجود هذه المعطيات التى قدمناها ليس له ما يبرره. ٩ ـ قول هذا البعض: (إن الأرصاد لم تسجل هذا الأمر ولا اشارت اليه..) لا يفيد شيئا،لأن هذا الأمر لا حاجة فيه إلى أرصاده، لأن الأرصاد كانت موجودة عند غير العرب، وكانت من القلة بمكان.. وليس ثمة ما يشير إلى أن القائمين عليها كانوا فى تلك الساعة فى حالة رصد للسماء ولما يجرى فيها. ١٠ ـ إن من الواضح أن إنكار شق القمر سوف يقطع الطريق على الخوض فى أمر رد الشمس إلى على عليه السلام الثابت هو الآخر بالرواية الصحيحة سندا عند السنة فضلاً عن الشيعة، فإن الاستنسابات والاستحسانات، التى أريد لها أن تنفى حادثة شق القمر تصلح لنفى حادثة رد الشمس لأمير المؤمنين أيضاً..
وربما نجد فى كلام هذا البعض ما يشير بخصوصه إلى هذا الإنكار أيضاً. ولكننا لا نثير ذلك هنا، لأننا أخذنا على عاتقنا الإقتصار فى أقاويله على ما هو مكتوب ومطبوع. الكثير من الخيال فى خصوصيات الرواية المتواترة. فى الروايات ما لا يستطيع الباحث تفسيره بطريقة معقولة فهو من الخيال. الزمن لا يسمح بتغطية جميع الحوادث المذكورة فى الإسراء والمعراج. المسألة الإعجازية تبقى فى

دائرة القدرة البشرية المحدودة للنبى (ص). قدرات النبى (ص) تخضع لعامل الزمان والمكان. إذا كان الإسراء بالجسد فهو يخضع للقدرات البشرية. إذا كان الإسراء بالجسد ففى الروايات خيال وإلا فلا خيال. ويقول البعض: قصة الإسراء وقد أجملت الآية الأولى من هذه السورة مسألة الإسراء ولم تفصل شيئاً من حوادثها.. ولكن الروايات المتواترة أفاضت فى الحديث عن ذلك، ربما كان فى الكثير مما ذكر فى خصوصياتها الكثير من الخيال فيما نلاحظه من بعض القضايا التى قد لا يستطيع الباحث تفسيرها بطريقة معقولة. لا سيما فيما أفاض فيه المحدثون عن قصة المعراج، الذى يذكرون انه كان فى ليلة الإسراء فى الوقت الذى لا يسمح مثل هذا الزمن القصير فى تغطية ذلك كله لأن المسألة إذا كانت تحمل الإعجاز فى طبيعتها فإنها تبقى فى دائرة القدرة المحدودة للنبى فى خصوصيات بشريته التى تخضع لعامل الزمان والمكان فى حركته الزمانية والمكانية، إذا كان الإسراء بالجسد كما هو المعروف فيما بينهم ["۱۸۶] .

وقفة قصيرة

۱ ـ لا ـ ندرى كيف يحكم هذا البعض على مضمون رواية متواترة أن فى الكثير من خصوصياتها الكثير من الخيال؛ ثم يجعل ذلك ذريعة لردها خصوصاً قصة المعراج. فإن تواتر الرواية يعنى قطعية صدورها عن المعصوم، فاذا كانت خصوصياتها متواترة ايضاً فإن تلك الخصوصيات تثبت ايضاً. بل إنها حتى لو لم تكن متواترة فإن ذلك لا يبرر له وصف تلك الخصوصيات بأنها خيال، كما سيأتى لأن ثبوتها بما هو حجة بخبر الواحد مثلا يكفى فى لزوم التسليم بها والأخذ بمضمونها. فهل هذا الخيال هو خيال المعصوم؟!. أم هو خيالنا نحن فى فهم وتقييم كلامه (ع)، وما بيَّنه لنا من حقائق!؟ ۲ ـ إن عدم قدرة البعض على تفسير أو استيعاب بعض القضايا لا يبرر له اعتبارها أموراً خيالية، بل عليه أن يترك المجال لمن يملك القدرة على فهم هذه القضايا من خلال ما يعرفه من ضوابط ومعايير إيمانية وعلمية قادرة على وضع الأمور فى نصابها الصحيح. ۳ ـ إن ما أفاض فيه المحدثون من تفاصيل فى قضية المعراج، إنما هو من الأمور التوقيفية الممكنة التى يفترض أن يأخذوها من المعصوم المطلع على هذه الأمور التى لا يدركونها بعقولهم، مادام انها ترتبط بعالم الغيب. ۴ ـ إن الظاهر هو أن هذا البعض لم يستطع تفسير ما يذكر من تفاصيل فى قضية الإسراء، فضلا عن قضية المعراج فلجأ إلى الاستبعاد والانكار. ۵ ـ انه إذا كان الإنسان يرى فى منامه أحداثاً تفصيلية تحتاج إلى مساحة زمنية واسعة ـ نعم يراها ـ فى زمن قصير للغاية. فلماذا لا تختصر القدرة الإلهية الزمان الحقيقى فى نطاق تجسيد الحدث الزمانى للأجسام التى تحتاج إلى الزمان والمكان. فإن سيطرة القدرة الإلهية على الحركة فى المادة الزمانية مما لا يصح إنكاره..؟ بل إننا نجد هذا الإنسان قد تغلب على كثير من المصاعب، واختصر المسافات إلى درجة كبيرة ومذهلة، فكيف بخالق هذا الوجود كله، الذى جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم (ع) ومكّن آصف بن برخيا وصى النبى سليمان عليه السلام الذى عنده علم من الكتاب أن يأتى بعرش بلقيس، وما إلى ذلك. وليكن الشاهد الحى على إمكانية الاسراء والمعراج، هو حدوث نظائر كثيرة له حين تتدخل القدرة الإلهية. ومن ذلك طىّ الأرض للإمام على عليه السلام، حينما جاء من المدينة فى الحجاز إلى المدائن قرب بغداد فى العراق، ليتولى تجهيز سلمان الفارسى ودفنه.. [۱۸۷] . وكذا طىّ الأرض للإمام الجواد عليه السلام حيث ذهب من المدينة فى الحجاز إلى خرا سان ليتولى مراسم تجهيز ودفن أبيه الإمام الرضا عليه السلام. وكذلك الحال بالنسبة للإمام السجاد حينما ذهب من الكوفة إلى كربلاء لدفن الأجساد الطاهرة حيث عاونته قبيلة بنى أسد على ذلك. وليكن من ذلك أيضا انتقال عرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين، قبل ارتداد الطرف مع أن هذا العرش زمانى ومكانى. وليكن من ذلك أيضاً، قصة التقام الحوت ليونس، وبقائه فى بطنه برهة من الزمان، (ولولا أن كان من المسبحين للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون). ۶ ـ إذا كانت القضية ترتبط بالإعجاز الإلهى فلماذا يجب أن تبقى فى حدود القدرة البشرية المحدودة للنبى (ص)، فإن بقاءها كذلك يتنافى مع كونها معجزة الهية. ومن الذى قال: إن بشرية النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) تحدد قدرته إلى درجة يمتنع معها حصول مثل هذه الأمور له (ص)، حتى لو كان الإسراء بالجسد؟!. وهل يريد أن يقنعنا أن القول بصحة هذه التفاصيل يلازم القول بأن الإسراء كان بالروح،كما قالت عائشة وغيرها من بنى أمية؟!! وهل يريد أن يقنعنا بعدم قدرة البشر على فعل الخوارق

مع أن علياً(ع) قال عن عيسى (ع) فيما يرتبط بمشيه على الماء: لو ازداد يقينا لمشى فى الهواء، فهل كان مشيه على الماء بروحه أم بالروح والجسد؟!.

اهانات لا تحتمل لرسول الله

بداية

إننا نورد فى هذا الفصل فقرات من مقولات سجلها البعض حول النبى (صلى الله عليه وآله) سيتضح للقارئ العزيز: أن كثيراً منها يمكن أن تدخل فى عدد من الفصول الأخرى أيضاً.. ولكننا لم نحاول الإشارة إلى ذلك فى تلك الموارد لأننا نعلم: أن القارئ الكريم يدرك أن ما يقوله هذا البعض عن نبينا (ص) لا يمكن استثناء سائر الأنبياء منه، فإن ما يجوز على أكرم الخلق وأفضلهم لابد أن يكون جائزا على من عداه من أنبياء الله، الذين لم يدركوا مقامه، ولم يصلوا إلى درجته. كما أن القارئ الكريم قادر على الربط بين الأمور، والإستفادة من المقولة الواحدة فى المواقع المختلفة التى تناسبها. وعليه فإننا نقدم للقارئ الكريم الأمور التالية: لا تفعلوا مثل فعل النبى (ص). لا تكن منطلقاتكم منطلقات النبى محمد (ص). النبى (ص) لا يعرف المهم من الأهم. النبى (ص) يقوم بتجربة غير ذات موضوع. الله يربى رسوله تدريجيا بعد الوقوع فى الخطأ. النبى (ص) يحتاج إلى تكامل الوحى، وسعة الأفق، وعمق النظر للأمور. النبى (ص) يستغرق فيما فيه مضيعة للوقت. النبى يفوّت الفرص المهمة. النبى (ص) يخطىء فى التشخيص. النبى (ص) لا يعرف مسؤوليته المباشرة. ويقول البعض، إن آيات عبس وتولى قد نزلت فى النبى محمد(ص)، وكلماته حول هذا الأمر كثيرة، ونحن نختار منها ما يلى: يقول البعض": لكن الله أراد أن يبين طبيعة المسألة، وأن يخاطب الآخرين: إذا ابتليتم بمثل هذه القضية طبعا لا تكن منطلقاتكم منطلقات النبى (ص)، فلا تفعلوا مثل ذلك ["١٨٨] . يقول هذا مع أن الله سبحانه يقول: (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) [١٨٩] ، ويقول..(": أما من استغنى، فأنت له تصدّى، وما عليك ألاّ يزّكى)، للإيحاء له بأن عدم حصوله على التزكية، بعد إقامة الحجة عليه من قبلك مدة طويلة، لا يمثل مشكلة بالنسبة إليك، لأنك لم تقصر فى تقديم الفرص الفكرية بما قدّمته من أساليب الإقناع، مما جعل من التجربة الجديدة تجربة غير ذات موضوع لأنه ـ يعنى ذلك الغنى ـ يرفض الهداية من خلال ما يظهر من سلوكه، الأمر الذى يجعل من الإستغراق فى ذلك مضيعة للوقت، وتفويتا لفرصة مهمة أخرى، وهى تنمية معرفة هذا المؤمن الداعية الذى يمكن أن يتحول إلى عنصر مؤثر فى الدعوة الإسلامية ["١٩٠] . وذكر فى موضع آخر كيف أن النبى قد أخطأ فى تشخيص ما ينبغى عليه، فهو يقول(": فأنت عنه تلهّى) لأنك تحسب أن إيمان هؤلاء الصناديد قد ينفع الإسلام أكثر من نمو إيمان هذا الأعمى الذى يمكن أن يؤجل السؤال لوقت آخر، ولكن المسألة ليست كذلك.. لأن هذا الأعمى وأمثاله، يمثلون مسؤوليتك المباشرة كرسول يعمل على تنمية خط الدعوة بتنمية الدعاة حوله، من أجل أن يؤثروا عليك فى بعض الجهد، أو يوسعوا ساحة الدعوة فى مواقع جديدة. وهذا هو ما يريد الله أن يفتح قلبك عليه فيما يريد لك من تكامل الوعى، وسعة الأفق، وعمق النظرة للأمور. ولا مانع من أن يربى الله رسوله تدريجيا، ويثبت قلبه بطريقة متحركة الخ ["..١٩١] . ويقول عن ابن أم مكتوم": فأراد أن ينتهز فرصة وجود النبى مع المسلمين أن يأخذ من علمه فيما أنزله الله عليه من كتاب، وما ألهمه من علم الشريعة والمنهج والحياة.. ولكن النبى لم يستجب له لأن هناك حالة مهمة يعالجها فى دوره الرسالى المسؤول فى محاولة لتزكية هؤلاء الكفار من وجهاء المشركين، طمعا فى أن يسلموا ليتسع الإسلام فى اتباع جماعتهم لهم، لأنهم يقفون كحاجز بين الناس وبين الدعوة، ولذلك أجّل النبى (ص) الحديث مع هذا الأعمى إلى وقت آخر، فيما كانت الفرص الكثيرة تتسع للقاء به أكثر من مرة فتكون له الحرية فى إغناء معلوماته بما يجب فى جوّ هادئ ملائم، بينما لا تحصل فرصة اللقاء بهؤلاء دائما، فكانت المسألة دائرة، ـ فى وعيه الرسالى ـ بين المهم، فى دور هذا الأعمى، وبين الأهم، فى دور هؤلاء الصناديد. ولكن الله يوجه المسألة إلى ما هو الأعمق فى قضية الأهمية فى مصلحة الرسالة، باعتبار أن هذا الأعمى قد يتحول

إلى داعية إسلامى كبير، (وما يدريك لعله يزكى) فيما يمكن أن يستلهمه من آيات القرآن التى يسمعها، مما يُغنى له روحه، فتصفو أفكاره، وترقّ مشاعره، وتتسع آفاقه ["١٩٢] .

وقفة قصيرة

ونقول: إن آيات سورة عبس هى التالية: (عبس وتولّى. أن جاءه الأعمى. وما يدريك لعله يزّكى. أو يذّكّر فتنفعه الذّكرى. أمّا من استغنى. فأنت له تصدّى. وما عليك ألاّ يزّكّى. وأمّا من جاءك يسعى. وهو يخشى. فأنت عنه تلهّى) [١٩٣] . ونحن نشير هنا إلى ما يلى: ١ ـ إن الذى يلاحظ الآيات الشريفة لا يجد فيها أى شىء يدل على أن المقصود بها هو شخص رسول الله (ص) بل فيها ما يدل على أنها لا تليق به (ص)، فلماذا الإصرار على ذلك؟ من قبل البعض، وبشكل لا يقول به حتى من يدّعى نزولها فى النبى(ص) من العامة. ٢ ـ إنّ قوله تعالى: (وما يدريك) ليس خطابا لرسول الله، وإنما هو التفات من الغيبة إلى الخطاب، مع العابس نفسه. ٣ ـ إنّ قوله تعالى: (فأنت له تصدّى) لا يدل على أنّه كان يتصدى له لأجل الدين، فلعله كان يتصدّى للأغنياء لأهداف دنيوية، ولعل ذلك العابس يتظاهر بأنّه مهتمّ بنشر هذا الدين، وقد جاء مع أولئك الأغنياء مظهرا حرصه على إيمانهم، فكان يتلهّى بالحديث معهم، مظهرا الضّيق والإشمئزاز من ذلك الفقير. ٤ ـ وقوله تعالى: وما يدريك لعله يزّكى ليس فيه أن الغنى سوف يزّكى على يد ذلك العابس، فلعله يتزكى على يد شخص آخر غيره، ممن هم فى ذلك المجلس، كالنبى(ص).. ٥ ـ إن الآيات تشعر ـ إن لم نقل تدل ـ أنّه قد كان من عادة العابس أن يتصدّى للأغنياء ويتلهّى عن الفقراء، ولم يكن ذلك من عادة النبى(ص). ٦ ـ قد روى عن أهل البيت (ع) أن الآيات قد نزلت فى رجل من بنى أمية، وبعض الروايات قد صرحت باسمه [١٩٤] ، وروى الطبرسى أيضا عن الإمام الصادق عليه السلام: أن رسول الله كان إذا رأى ابن أم مكتوم قال: مرحبا مرحبا، لا والله، لا يعاتبنى الله فيك أبدا، وكان يصنع به من اللطف، حتى كان يكفّ عن النبى (ص) مما يفعل به. والظاهر أنه (ص) كان يريد بهذا الفعل التعريض بمن صدر منه ذلك فى حق ابن أم مكتوم.. كأنه يقول له: والله أنا لا أعاملك كما عاملك فلان.. هذا بالإضافة إلى أن دعوى نزول الآيات فى النبى (ص) إنما وردت فى روايات غير الشيعة. واغترار البعض بها، وقبوله لها وترك ما روى عن أهل البيت (عليهم السلام)، لا يعلم له وجه صحيح، علما أن بعض مفسرى العامة، ومنهم الفخر الرازى فى رسالته فى عصمة الأنبياء قد طرح هذه الروايات، وعلل ذلك بأنها أخبار آحاد ومخالفتها للقواعد العقلية. ٧ ـ إن الإعتذار عن نزول الآية فى النبى(ص): بأن ابن أم مكتوم كان أعمى، وليس فى العبوس إساءة له، لأنه لا يرى، إعتذار غير سديد، لأن الله سبحانه قد طالب العابس بهذا الأمر، واعتبره أمرا يستحق اللوم والعتاب.. وإذا كان ابن أم مكتوم لا يرى العبوس، فان الحاضرين قد رأوه وأدركوه، واستقر فى أنفسهم أن العابس غير مرتاح من ذلك الأعمى. ٨ ـ إن الإعتذار عن ذلك بوجود وحدة حال بين الأعمى وبين النبى(ص) هو الآخر اعتذار غير سديد، إذ لا يوجد ما يثبت وجود وحدة الحال هذه، وقصة دخوله على بعض زوجات النبى(ص) لا تدل على وجود وحدة حال.. وذلك لعدة أمور: أولاً: عدم وجود ما يشهد لتكرر ذلك، فالرواية لا تذكر أزيد من أنه جاء واستأذن، فقال النبى (ص) لزوجتيه قوما وادخلا البيت، فاحتجتا بأنه أعمى، فقال لهما أفعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه؟ [١٩٥] . ثانياً: إن وقوع مثل هذه الأمور لا يدل على وحدة الحال، فقد كان الكثيرون من الصحابة يدخلون على النبى (ص)، فى حين تكون زوجاته عنده، لا سيّما مع عدم تعدد الحجرات التى كانت تسكنها النساء مما قد بنى حول المسجد. ثالثاً: إذا كانت هذه الحادثة قد حدثت فى مكة وفى أوائل البعثة، فمن أين يثبت لنا وجود وحدة الحال هذه، فى تلك الفترة بالذات، فيما بين ابن ام مكتوم وبين النبى(ص).. رابعاً: إن وجود وحدة الحال المزعومة، لا يبرر تضييع حق ذلك الأعمى، ففى الخبر: لا تضيعن حق أخيك اتكالا على ما بينك وبينه، فإنه ليس لك بأخ من أضعت حقه [١٩٦] . خامساً: إن نفس صدور ذلك من النبى (ص) أمام المشركين يعطى انطباعا سيئا عن أخلاق الإسلام، ومنطلقاته فى التعامل مع الآخرين. سادساً: إنه لا معنى للنهى عن أن يفعل الناس مثل فعل النبى(ص)، وقد قال تعالى: (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة). سابعاً: كيف يمكن أن يقول أحد عن أفضل الرسل: إنه لا يعرف الأهم من

المهم، وإنه يستغرق فيما هو مضيعة للوقت، ويفوت الفرص، ويفرط فى تنمية المعرفة الإيمانية لدى المؤمنين، وإنه يجهل بحقيقة مسؤولياته، ويخطىء فى تشخيص تكليفه، وأى نبى هذا الذى أرسله الله وفيه كل هذه العلل؟!.. الخطأ غير المقصود للنبى (ص). ويتحدث ذلك البعض عن الخطأ غير المقصود لنبينا محمد(ص)، فيورد احتمالا ـ يقول(": عفا الله عنك) [١٩٧] وهذا أسلوب فى العتاب لا ـ يعنف فى المواجهة، بل يرق ليخفف من وقع الخطأ، انطلاقا من عدم الإطلاع على مواقفهم الحقيقية، مما يؤدى إلى تصديقهم فيما يقولون ["١٩٨] .

وقفة قصيرة

إن من المعلوم: أنه ليس ثمة من خطأ على الإطلاق، وأن النبى (ص) كان مطلعا على حالهم، ولا يصح احتمال الخطأ، وغيره مما ذكره فى حق النبى (ص)، بل المتعين أن يقال: إن النبى (ص) كان عالما بحقيقة نواياهم، ولكنه كان يظهر تصديقهم لأن عليه أن يعاملهم وفق الأمارات الظاهرية، لا ـ وفق علمه الخاص بحالهم، كما أشارت إليه الآيات، فإذا كان يعرف ذلك، ثم يعاملهم بمنتهى الإحسان والرفق، فانه يكون غاية فى الخلق النبوى الكريم.. وقوله: (عفا الله عنك) تعبير يستعمل عادة فى مقام إظهار استحقاق الطرف الذى يجرى الحديث عنه إلى العقوبة، ولكن استعمال هذا التعبير لا يعنى أن العفو عنه كان خطأ، فهو كقولك: سامحك الله لم عفوت عن فلان، فان العفو عنه حسن، لكن المطلوب هو إبراز استحقاقه للعقوبة، وهنا قد جاء التعبير الإلهى عنهم بذلك من أجل فضحهم، واظهار نواياهم، بل إننا إذا رجعنا إلى ما هو المتعارف عند الناس فى مجال التعامل، فإننا نجدهم لا يتسامحون مع هذا النوع من الناس، بل يعاملونهم بصرامة وحزم، حين يدركون خبث باطنهم وسوء نواياهم، ومكرهم، واحتيالهم، ويرون أن معاملتهم بهذا المستوى من الصفح واللين خطيئة وذنب، فيكون قوله: (عفا الله عنك) أيضا مشيرا إلى ما بلغته معاملة رسول الله (ص) لهم من نبل وكرامة وصفاء، مع وجود هذا الحجم الهائل من خبثهم، ومن إجرامهم الكبير، ولا ينبغى إغفال حقيقة كون نسبة الخطأ إلى النبى (ص) منافية لعصمته فى مذهب الشيعة الإمامية، لأنهم قائلون بعصمة الأنبياء(ع) عن الخطأ والخطيئة والسهو والنسيان قبل البعثة وبعدها فى التبليغ والإعتقاد والأفعال والأحكام. الزهراء (ع) عوضت النبى (ص) ما فقده من حنان. جوع النبى (ص) وهو فى القمة إلى الحنان. إن البعض يقول: .. "وإذا كانت كلمة" أم أبيها "تعنى الإحساس القوى باستعادة عاطفة الأم التى فقدها فى طفولته فعاش فراغها فى مشاعره من خلال ابنته فاطمة.. إلى أن يقول: إن النبى استعاد أمه فى ابنته، ومعنى ذلك، أنه عاش الإمتلاء الروحى العاطفى الشعورى الذى يحتاجه فى بشريته حتى وهو فى قمة الفعلية لأن الرسول بشر، يتألم ويفرح، ويحزن ويتعب، ويتحسس كل الأجواء التى تثبت موقفه وتثبت موقعه، وتطلق آفاقه ["..١٩٩] . ونجده يقول أيضا": بدأ النبى حياته وهو يشكو فقد حنان الأم، لأن حنان الأم ليس شيئا يمكن أن تتكفله مرضعة أو مربية، إنه شىء من عمق الروح، من عمق القلب، لأن الولد جزء من الأم، ولذلك فإن إحساسه كإحساس الإنسان بنفسه، ليس شيئا خارجا عن حياته، ولكنه شىء داخل فى حياته وكانت هى جزءا من الرسول، والجزء يتفاعل مع الأجزاء الأخرى، ولذلك أعطته أمومتها باحتضانها له، وقالها رسول الله وهو يشعر أن ذاك الفراغ الذى فقده بفقدان أمه استطاع أن يملأه من خلال ابنته، فابنته هى أمه بالروح وابنته بالجسد، ولذلك قال عنها إنها (أم أبيها)، كم تحمل هذه الكلمة من دلالات.. ألخ ["٢٠٠] . ويقول فى نص آخر": إن كلمة النبى (ص) عن الزهراء (ع) إنها (أم أبيها) توحى لنا: أن النبى (ص) عاش مع ابنته الزهراء (ع) حنان الأم وعطفها، بحيث عوضته عما فقده من حنان أمه وعاطفتها، حتى إنه (ص)، وهو يتمثلها كيف ترعاه، وتحنو عليه، وتبكى إذا مسّه سوء، كان يحس كما لو أن أمه كانت تفعل ذلك، وتعيش معه، وليس هذا عقدة نقص فى شخصيته (ص) وهو (ص) لم يشكُ عقدة نقص على الإطلاق. "إلى أن قال": فالنبى (ص) يمثل الكمال كله. وعلى هذا، فإن إحساس البشر بالجوع لا يعنى نقصا فيه، وليس هناك فرق بين الجوع إلى الطعام، وبين الجوع إلى الحنان. فنحن نعيش الجوع إلى الحنان كما نعيش الجوع إلى الطعام. فهل هناك نقص فى النبى (ص) عندما يحس بالجوع، إن كان جوعا للحنان، أو للطعام؟.. الخ ["٢٠١] . ونقول: إنه ليس فى كلام النبى (ص)، ما يشير إلى

وجود هـذا الجوع إلى الحنان فى داخل نفسه كما ينسبه إليه هـذا البعض. وإذا صح قياس الجوع إلى الحنان على الجوع للطعام، صح أيضا قياسه على الجوع الجنسى أيضا. فهل يصح أن يقال: إن عزوبة النبى التى استمرت سنوات، قد أوجدت عنده جوعا جنسيا يحتاج إلى تعويض؟ ثم يفسّر تعدد زوجاته (ص) على هـذا الأساس؟! وهل إن النبى (ص) قـد بقى جائعا إلى الحنان ما يقرب من خمسين سنـة، حتى أصبح جوعا (مزمنا) يكتوى (ص) بناره، وفراغا مستمرا، لا يجـد ما يدفع غائلته، أو يدفع عنه؟ إننا نقول: إنه لا يصح قياس الجوع إلى الحنـان على الجوع إلى الطعـام. فلو افترضـنا أن النبى (ص) قـد احتـاج فى طفولته إلى العطف، فـذلك لا ـ يعنى أن تستمر حاجته إليه إلى ما بعد خمسين سنة، ولا أن يكون لديه فراغ عاطفى يحتاج إلى ملء وتعويض، وذلك لأن بعض الأمور تفقد مبرراتها ومواقعها ومقتضياتها، ولا يبقى لها مجال، فتزول وتتلاشى.فمن حرم فى طفولته من الرضاعة فإنه لا يعوض عنها برضاعه بعد خمسين سنـة بحيث يحتـاج إلى أم يلتقم ثـديها، ويرتضع من لبنهـا. ولا ـ نـدرى لمـاذا يقيس هـذا البعض الحاجـة إلى الحنان فى الطفولـة على الـحاجـة للأكـل والشـرب، ولا ـ يقيسـها على الحاجـة إلى الرضاعـة، فإنها بها أنسب وإليها أقرب. فإن الكلام هو عن حاجات الطفولـة، وليس الكلام عن وسائـل بقـاء الحيـاة واسـتمرارها. وهـل إذا كان الطفل يحتاج فى حال طفولته إلى ثوب يلبسه ولم يحصل له ذلك، فهل يبقى بعـد خمسين سنة بحاجة إلى لبس نفس الثوب؟. واسـتبعاد كلمة عقدة نقص لا يدفع الإشـكال ولا يحل العقدة. فإن القول بوجود فراغ نفسـى فى الشخصـية الإنسانيـة للنبى (ص)، أمر مرفـوض.. تمـامـا كرفضـنا لمقولـة معاناتـه (ص) من عقـدة نقص.. ونحن نعتقـد: أنه (ص) هو الإنسـان الكامل فى عقله، وفى مشاعره، وفى تكوينه النفسـى والعاطفى. ونعتقـد: أنه (ص) حتى حين تعطف ابنته عليه، فإنهـا إنمـا تقوم بمسؤولياتهـا وتؤدى واجباتهـا، وتعبر عن رفيع أدبهـا تجاهه (ص). والزهراء هى الأسوة والقـدوة فى ذلك كله.. ويمكن تقريب هـذا المعنى إذا لاحظنا حـال أى إنسـان يكرم والـديه أو يحترم معلمه، أو يعبـد الله تعـالى فإنه إذا فعل ذلك وقبل يد والده أو معلمه، أو صـلّى لربّه لا يكون قد ملأ فراغا فى نفس والده أو لدى ذلك العالم، كما أن الله ليس بحاجة إلى صـلاته، ولا هى تملأ له فراغا، أو تحل له عقـدةً تعالى الله وأنبياؤه عن ذلك علوّا كبيرا. وأما معنى قوله (ص) فى حقّها سـلام الله عليها أنها أمّ أبيها فلا يعنى أن أباها كان بحاجة إلى عاطفتها، بل معناه أنها على صِغَرِ سـنّها قد ظهر منها من العطف والحنوّ والتفاعل الروحى والعاطفى معه (ص) كما لو كانت أمّا تتفاعل مع ولـدها، دون أن يكون النبى (ص) بحاجة إلى ذلك، ولا كان يعانى من فراغ ملأته عليه. فلماذا هذا الإصرار على أن ينسب للنبى(ص) فراغا فى تكوينه النفسى وفى شخصيته النبوية؟!!. قد يكون ما ألقاه الشيطان فى أمنية الرسول انفتاحاً فى الإنجـذاب العاطفى إليهم. ما ألقاه الشـيطان يؤدى إلى اهتزاز الموقف فى حركة الرسالة. ما ألقاه الشـيطان يؤثر على صـلابة الفكرة فى حركة المواجهة. ما ألقاه الشيطان يؤدى إلى إضـعاف المؤمنين. ما ألقاه الشيطان يوجب اهتزاز إيمان المؤمنين. أسلوب النبى (ص) (وهو ما ألقاه الشـيطان) قد يوحى بغير ما يريده. ألقى الشـيطان للنبى (ص) أن يحاول احتواء الساحة بالموقف المهادن. ألقى الشـيطان إليه (ص) أن يجامـل عقيـدتهم دون اعـتراف بهـا. القـاءات الشـيطان هى خطورات ذهنيـة تـبرز فى مظـاهر السـلوك. النبى يخطئ فى تشـخيص تكليفه الشـرعى. يزيل القاءات الشـيطان، حتى لا يبقى أثر سـلبى على حركة الرسالة فى الفكرة والأسـلوب. المجتمع المؤمن يتـأثر سـلباً بإلقـاءات الشـيطان. المجتمع المشـرك يتأثر إيجابا بإلقاءات الشـيطان. القاء الشـيطان يـدخل فى فكر النبى وقلبه. الآتى من الشـيطان داخل فى عمق الأمنية فى داخل الذات. القاءات الشيطان تطوف بذهن النبى وتتحرك بسرعة فى مظاهر سلوكه. هذه الأفكار كـانت تخطر فى أذهـان الانبيـاء والرسـل السـابقين ايضـاً. قـال الله تعـالى: (وما أرسـلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشـيطان فى أمنيته فينسـخ الله ما يلقى الشـيطان، ثم يحكم الله آياته، والله عليم حكيم، ليجعل ما يلقى الشـيطان فتنـة للـذين فى قلوبهم مرض) [٢٠٢] . ويقول البعض فى شـرح هذه الآيـة.. ": وقد فسـر المفسرون المعترضون على هذه الروايـة، الآيـة بطريقـة أخرى. فقد جاء فى الميزان أن معنى الآيـة " وما أرسـلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى "وقدّر بعض ما يتمناه من توافق الأسـباب على تقدم دينه وإقبال الناس عليه وإيمانهم به ألقى الشـيطان فى أمنيته وداخل فيها بوسوسة الناس وتهييج الظالمين وإغراء المفسدين فأفسد الأمر على ذلك الرسول أو النبى وأبطل سـعيه فينسـخ الله ويزيل ما يلقى الشـيطان ثم يحكم الله آياته بإنجاح سـعى الرسول أو النبى وإظهار

الحق والله عليم حكيم.. وقد نلاحظ على هذا التفسير، أنه حاول أن ينظر إلى مسألة إلقاء الشيطان فى الأمنية النبوية فى الواقع الخارجى لحركة الأمنية فى ساحة الصراع بين خط الله وبين خط الشيطان.. مما يجعل الآية جارية على أساس الأجواء التى تتحدث عن إغراء الشيطان للآخرين فى إبطال الأمنية فى خط الواقع ولم يحاول أن ينظر إليها من الداخل، فيما تختزنه كلمة" فيلقى الشيطان فى أمنيته" من معنى إدخال شيء فيها بحيث تكون ظرفاً له وموقعاً من مواقعه، لا حركة خارجية من الآخرين فى مواجهتها، ليكون النسخ ـ من خلال ذلك ـ نسخا فى حركة الواقع، لا نسخاً فى طبيعة خصوصيات الأمنية. إن هذا المعنى الذى ذكره صحيح فى الإعتبار، ولكنه لا ينسجم مع ظهور الآية فى كلماتها، كما نفهمه.. لأنها ظاهرة فى وجود شيء ما من الشيطان فى طبيعة الأمنية.. وقد لا يكون من الضرورى ظاهراً أن يكون هذا الشيء فعليا فيما يصدر عنه من قول أو فعلٍ.. أو يكون منافيا للمبادئ التى يبشّر بها، فقد يكون انفتاحاً فى الإقبال عليهم والإستماع لهم والإنجذاب العاطفى إليهم والإيحاء لهم بالتفكير فيما يقولونه مما قد يطمعهم فيه، أو يوحى إليهم بأن موقفه قد أصبح أكثر مرونة.. فيؤدى ذلك إلى اهتزاز الموقف فى حركة الرسالة، من حيث تأثيره على صلابة الفكرة فى خط المواجهة وتبيان الموقع فى ساحة الصراع.. وإضعافه للمؤمنين الذين قد تكون المرونة فى الموقف فى علاقة النبى بالمشركين، موجباً لتخفيف حالة التوتر النفسى لديهم، فيهتز إيمانهم من خلال ذلك. قد تكون المسألة متحركة فى خط الإيحاء فى الأسلوب الذى قد يوحى بغير ما يريده.. مما يدخل فى محاولة احتواء الساحة، بالموقف المهادن لهم، والمجامل لعقيدتهم، من دون إعطاء أى اعتراف بها أو أى انجذاب إليها، وذلك من باب السكوت عنهم، والاكتفاء بالإعلان عن وحدانية الله من الناحية الإيجابية التى ترتبط بعبادته، لا من الناحية السلبية التى ترتبط برفض عبادة غيره، ليكون ذلك بمثابة الهدنة التى تخف فيها حدة الصراع، من أجل إيجاد الجو الملائم لإدارة الحوار معهم فى جو هادئ.. قد تكون هذه الأفكار وأمثالها هى التى كانت تخطر فى ذهن النبى محمد (ص) فى بعض الحالات الصعبة كما كانت تخطر فى أذهان الأنبياء والرسل من قبله، عندما تشتد التحديات أمام الدعوة، ويتعرض المؤمنون للزلزال النفسى من خلال الضغوط التى تضغط عليهم بكل قسوة. ولكن هذه الإيحاءات لا ـ تترك أثرها فى الواقع، ولا تملك موقعا مستقراً فى عمق الذات، بل هى خطورات ذهنية تطوف بالذهن، وتتحرك ـ بسرعة ـ فى مظاهر السلوك، فيتأثر بها المجتمع المؤمن بطريقة سلبية، وينجذب إليها المجتمع الكافر، بطريقة إيجابية.. ولكنها سرعان ما تزول أمام الحاجة إلى الموقف الحاسم الذى يفصل بين الإيمان والشرك بفاصل واضح، لا ـ مجال فيها لأية مهادنة، أو لأى لقاء لأن المسألة تتصل بالأسس لا بالتفاصيل.. ولعل هذا هو المعنى الإيحائى الذى نستوحيه فى قوله تعالى: (وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره وإذاً لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً). إن هذه الآيات وأمثالها قد توحى بأن هناك شيئا ما يخطر بالبال، ولكنه لا يثبت فى النفس بل يطفو على سطح بعض الممارسات، ثم ينتهى بشكل حاسم.. من دون أن يسيء إلى فكرة العصمة فى الذات، أو العصمة فى التبليغ، لأن تأثر الإنسان بما حوله فى مسائل الخطورات الذهنية السريعة الطارئة، تماماً، كما هو تأثره بما حوله من الروائح الطيبة أو النتنة، أو بما تثيره الأطعمة اللذيذة القريبة منه، من افرازات جسدية فى حالة الجوع، أو الاشتهاء.. فان العصمة، لا تلغى العنصر الإنسانى الذاتى فى شخصيته، بل تلغى الحركة المنحرفة فى خط العقيدة التى يعتقدها، والفكرة التى يتبناها، والكلمة التى يقولها، والحركة التى يتحرك فيها.. ربما يكون هذا الذى عرضناه تفسيرا للآيات، فيما نستوحيه من معناها، لأنه يتناسب مع طبيعة الأسلوب والكلمات الذى يؤكد أن الشيء الآتى من الشيطان يدخل فى عمق الأمنية فى داخل الذات، لا ـ أنه يتحرك فى دائرة الآخرين الذين يعيشون أجواء الرسالة بحيث يكون الإلقاء حركة فى خط الأمنية فى خط الآخرين، كما أنه لا يتنافى مع الشخصية النبوية الرسالية فى التزامها بالتوحيد وإصرارها عليه، وابتعادها عن كل الإيحاءات والكلمات التى تتنافى معه، حتى بنحو الغفلة والسهو.. والله العالم بحقائق آياته. (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) ويزيله من فكر النبى أو الرسول وقلبه، حتى لا يبقى منه أى أثر سلبى على حركة الرسالة فى الفكرة والأسلوب، لأن الله يتعهد رسله بالرعاية فى مشاعرهم وأفكارهم، كما يتعهدهم فى حياتهم وحركتهم فى خط الرسالة، وذلك من خلال رعايته لرسالته من خلالهم (ثم يحكم الله آياته) ويثبتها فلا يدع

أى مجال للريب فيها، من أيـة جهـة كانت، وذلك من خلال ألطافه التى يغـدقها على رسوله، فيمنع ـ بذلك أى تحريف للكلمة، وأى زيـادة فيهـا، لأن ذلك هو السبيل لإحكام الآيات على أساس الثقـة الشاملـة بموافقتها للوحى الإلهى. "إلى أن يقول(": ليجعل ما يلقى الشـيطان فتنـة للـذين فى قلوبهم مرض) من الكفر أو النفـاق (والقاسـية قلوبهم) الـذين تحجرت قلوبهم بالجهـل والتخلف حتى لم تعد تنفتـح على شـىء من الفكر الحق، وتجمـدت مشاعرهـا بالغلظـة والقسوة، حتى لم تعـد تنبض بالرحمـة والخير. وذلك من خلال هـذه الأجواء التى تثيرها الأساليب المتنوعـة فى الطبيعة الإيحائية لحركة النبى فى الساحة.. حيث تأخذهم العزة بالإثم من جهة، باعتبار ذلك مظهر قوة لهم فيما يمثله من التنازلات الإيحائية لحسابهم، أو تحركهم فى طريق الفتنة ["٢٠٣] .

وقفة قصيرة

ونقول: إن لنا هنا وقفات عديدة نكتفى ببعض منها، روماً للاختصار، كماً وكيفاً، فنقول: ١ ـ إن هذا البعض يصر على أن إلقاء الشيطان قد كان على شكل خطورات ذهنية تبرز فى مظاهر سلوك النبى (ص) [٢٠٤] . وأن الشيطان قد ألقى فى فكر النبى (ص) وفى قلبه، مع أن الله سـبحانه يقول: (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين) [٢٠٥] . ويقول: (قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصـين) [٢٠٦] . وقـال تعالى: (انه ليس له سـلطان على الـذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) [٢٠٧] . وقد يقال: إن الخطور بالبال ليس من الغوايـة، فلا تشـمله الآية الشـريفة، غير أننا نقول: إن هذا البعض لا يقتصـر على مجرد الخطور بل هو يقول: إنه ينعكس على الممارسـة ويظهر فى سـلوك النبى (ص) أيضـا. ٢ ـ إن هـذا البعض يقول": إن مـا ألقـاه الشـيطان فى فكر النبى وقلبه قد انعكس على ممارساته، وتحول إلى سـلوك وتجسـد انجـذابا إليهم، واسـتماعاً لهم، وقـد أدى ذلك إلى إضـعاف المؤمنين فى ساحة الصـراع، وتقويـة الكـافرين، وإلى اهتزاز الموقف فى حركـة الرسالـة. كمـا انه قـد تمثل بالموقف المجامل لعقيـدتهم والمهادن لهم." ويقول هذا البعض أيضا": إن ذلك يحصل لجميع الأنبياء فى المواقف الصـعبة التى يواجهونها. "ولا ندرى كيف نوفق بين أقواله هذه وبين قوله الذى أورده تتمة له": من دون أن يسـىء إلى فكرة العصـمة فى الذات أو العصـمة فى التبليغ "إلى أن قال": فإن العصـمة لا تلغى العنصـر الإنسانى الذاتى فى شخصـيته، بل تلغى الحركة المنحرفة فى خط العقيدة التى يعتقدها، والفكرة التى يتبناها والكلمة التى يقولها، والحركـة التى يتحرك فيها. "فهل يتوافق هـذا مع قوله": إن الـذى ألقاه الشـيطان قد انعكس على بعض ممارسات النبى (ص) وتجسـد اسـتماعا وانجـذابا عاطفيا إليهم، وإقبالا عليهم، وموقفا مهادناً لهم، ومجاملا لعقيـدتهم، وأدى إلى تقوية الكافرين وإلى اهتزاز الموقف فى حركـة الرسالـة، وإلى إضـعاف المؤمنين. وإن الشـيطان قد ألقى ما ألقاه فى فكر النبى وفى قلبه. "؟!وأين هى العصـمة فى الحركـة الـتى يتحرك فيهـا هـذا النبى، وفى الأسـلوب الـذى ينتهجه ويمـارسه، لاـ سـيما وأنه يلتزم أحيانـاً كثيرة بمـا يسـميه بالعصـمة التكوينيـة، فأين العصـمة مع كل هذا، وأين تكوينيتها التى الزم نفسه بها!؟. وأى خلل أعظم من هذا الخلل الذى حصل بسـبب ما ألقاه الشـيطان؟! وبسـبب ممارسـات النبى التى نشـأت عن ذلـك؟! ٣ ـ ألاـ يعتبر كـل هـذا الـذى حـدث بسـبب مـا يطفو على سـطح بعض ممارسـات النبى (ص) مما نشأ عن إلقاء الشـيطان، ألا يعتبر ذلك كله ناشـئاً عن جهل النبى ـ والعياذ بالله ـ تكليفه الشـرعى، وخطأه فى تشـخيص الوظيفـة فى مقام التبليغ؟!. وإذا كان ذلك قـد أوجب كل تلك السـلبيات التى ذكرها هذا البعض، حسـبما ذكرناه آنفاً، فإن المصـيبة تصـبح بالنسبة لحفظ الدين ونشره أعظم وأخطر، وأدهى وأكبر. حيث لا يبقى وثوق بالنبى (ص) حتى من ناحية تبليغ الرسالة و حفظ رسوم الشريعة. لا سيما إذا كان ذلك سيحصل لجميع الأنبياء، ولا يتعلم لاحقهم من سابقهم، وآخرهم من أولهم!. ٤ ـ بقى أن نشير إلى أن المراد من الآية الشريفة هو: أن كل نبى من الأنبياء يحب ويرغب (لأن التمنى هو الرغبة فى الأمر المحبوب) ما يتناسب مع وظيفته كرسول. وأعظم ما يتمناه هو ظهور الحق والهـدى، وطمس الباطل، ورد كيـد الأعـداء. فيلقى الشـيطان فى أمنيته (ولم يقل: فى فكره ولاـ فى قلبه) وأمنيته هى ظهور الحق. يلقى فيهـا مـا يفسـدها ويوجب عـدم ظهورهـا. فالأمنيـة هى: الشـىء الـذى يتمنـاه الإنسـان ويرغب فيه، كما تقول: أمنيتى شـفاء ولدى، أو نجاحه فى الإمتحان، ثم يحصل ما لم يكن بالحسبان مما يمنع من شفائه أو من نجاحه،

كخطأ الطبيب فى الدواء، وغيبة معلمه، فنقول: إن الشيء الفلانى ضيّع علىّ أمنيتى تلك وأفسدها، ولا يعنى ذلك أن ذلك الشيء وهو خطأ الطبيب مثلا قد دخل فى فكرك وقلبك، وأفسد التمنى والرغبة. بل هو قد افسد الأمنية والمتمنى. فالرغبة باقية، ولا تزال قائمة، والمتمنى لم يزل يحب شفاء ولده ونجاحه بالامتحان. ولأجل ذلك فإن كل نبى يتمنى أمراً وذلك الأمر هو أمنيته، فيلقى الشيطان فى تلك الأمنية وفى ذلك الأمر بالذات (لا فى نفس التمنى والرغبة) ما يفسده ويضيعه، فيراه الناس ويفتتن الذين فى قلوبهم مرض بفعل الشيطان هذا. فتتدخل الإرادة الإلهية لتبطل كيد الشيطان، ويظهر نور الهدى، ويتجلى بطلان الباطل. والقرينة على أن المراد بالأمنية هو ظهور الحق وزهوق الباطل هو قوله تعالى بعد هذا (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) أى من شبهات وغوايات (ثم يحكم الله آياته) ويظهر نور الحق و الله عليم حكيم. وبذلك أيضاً يعرف السبب فى أن الله سبحانه قال: ألقى الشيطان فى أمنيته ولم يقل فى تمنّيه.۵ ـ إن هذا البعض قد رفض ما ذكره العلامة السيد الطباطبائى من أن إلقاء الشيطان فى الأمنية النبوية إنما هو فى الواقع الخارجى وان الآية تتحدث عن إغواء الشيطان للآخرين. نعم لقد رفض هذا القول مدعياً أن هذا يخالف دلالة الآية على وجود شيء ما من الشيطان، فى طبيعة الأمنية أى فى الداخل عليشكل خطورات فى البال أو فى الذهن.. الخ.. حيث قال تعالى: (ألقى الشيطان فى أمنيته) ثم فسر قوله تعالى: (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) بالإزالة من فكر النبى وقلبه. ولكنه هو نفسه قد عاد وادعى أن هذه الخطورات تنعكس على السلوك والممارسة، وتنشأ عنها آثار سلبية فى الواقع الخارجى، فيضعف المؤمنون ويقوى الكافرون بسبب ذلك. وذلك ليتمكن من تفسير قوله تعالى: (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض). لأن مجرد الخطورات الذهنية لا توجب الافتتان من أحد ما لم تظهر على صعيد الواقع حركة وسلوكا وموقفا. وبذلك يكون هذا البعض قد قرّر للآية معنى يسيء إلى العصمة، حيث تستقر هذه الخطورات فى النفس وتترجمها بالممارسة كما أنه قد خالف ظاهر الآية أيضا لأن الآية تقول إن نفس ما ألقاه الشيطان هو الذى يكون فتنة للذين فى قلوبهم مرض، فإذا كان هو هذه الخطورات الذهنية وحسب، فإنها لا ـ يعرفها الناس ولا يرونها. فكيف يفتتنون بها!؟ فلا بد من التأويل فى الآية لتنطبق على الحركة والسلوك الخارجى للنبى (ص). بادعاء أنها هى الخطورات الذهنية بسبب تجسدها فيه. والنتيجة هى: أن ما ألقاه الشيطان له معنيان: احدهما: الخطور فى البال والقلب فى قوله تعالى (ألقى الشيطان فى أمنيته) وفى قوله تعالى (فينسخ الله ما يلقى الشيطان). الثانى: الحركة الخارجية والسلوك والممارسة: وذلك فى قوله تعالى: (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض). ثم هو يقصد بالأمنية معنيين: أحدهما: الرغبة والتمنّى، وذلك فى قوله تعالى: (فى أمنيته). وقوله (فينسخ الله ما يلقى الشيطان). الثانى: ما نشأ عن الرغبة من حركة وسلوك، ومن مشاكل وآثار فى الواقع الخارجى. وهو الذى افتتن به الذين فى قلوبهم مرض، فى قوله تعالى: (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض). والذى ذكرناه نحن فى معنى الآية، وكذلك الذى ذكره العلامة الطباطبائى لا يلزم عليه شيء من ذلك.حيث قلنا: إن المراد بالأمنية هو الشيء الذى يتمناه الإنسان، وليس المراد بها الرغبة والتمنى.. وهذا هو الظاهر المتبادر. أما ما ذكره ذلك البعض فهو مخالف لظاهر القرآن من اكثر من جهة ولا مجال للأخذ به وليس كلام صاحب الميزان.۶ ـ وقد أورد هذا البعض فى سياق كلامه الآيات الكريمة التالية، مستشهدا بها على ما يذهب إليه: (وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره، وإذاً لاتخذوك خليلا ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا. إذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات، ثم لا تجد لك علينا نصيرا) [۲۰۸] . ونقول: إن هذه الآيات لا تؤيد ما ذهب إليه، لا ـ من قريب ولا ـ من بعيد، لأنها تقول: انه (ص) لم يركن إليهم، بل ولم يقترب من الركون، لأن الله سبحانه قد أعطاه من العزيمة والثبات ما جعله فى منأى عن ذلك كله. وذلك بقرينة كلمة (لولا) الدالة على أنه لم يكد يركن، ولم يطف فى ذهنه أىّ خيال، ولا خطر فى باله من هذا الفعل حتى الإحتمال، فضلًا عن أن ينعكس ذلك على سلوكه، وممارسته، ويتسبب بخلق مشاكل، وتنشأ عنه آثار، أو ما إلى ذلك. فلا معنى للإستشهاد بهذه الآية بأىّ وجه. إمكانية أن تثير التحديات ضعفاً فى النبى. قد يكون النبى يبحث دائماً عن الهروب. قد يحطم هذا الضعف شخصية النبى. قد يسيء هذا الضعف إلى موقع النبى. إمكانية أن يتعقد النبى بسبب ضعف تثيره التحديات. إمكانية أن يتحول النبى إلى مخلوق مختنق بأزمته. يقول البعض": فى تفسير قوله تعالى:(فلعلك

تـارك بعض ما يوحى اليك و ضائق به صـدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك، إنما أنت نـذير والله على كل شـيء وكيل ["(٢٠٩"] . وهنـا يكمن سؤال: مـاذا تعنى هـذه الآيـة فى تقييم شخصـية النبى محمـد (ص) فهل كان يضـعف أمام التحـديات، لتجيء هذه الآية وأمثالها من أجل أن تقوّى ضـعفه، أو تُسند له موقفه، أو تخفف عنه أحزانه، وتطيب به نفسه، وتزيل عنه آلامه؟ وهل جـاءت فى أجواء التأنيب الإلهى له، أو ماذا؟. والجواب عنه: إن الآيـة ليست فى مورد الحـديث عن الحالـة الواقعيـة الفعليـة التى كانت تحيط بموقف النبى (صلى الله عليه وآله) أو تمثل شخصيته، بل كانت فى مورد تقييم الطبيعة الموضوعية لما يمكن أن تثيره التحديات التعجيزيـة فى الحالـة الإنسانيـة من ضـعف يبحث دائماً عن الهروب، مما يمكن أن يحطم شخصـيته أو يسـيء إلى موقعه، أو يتعقد من ذلك، فيتحول إلى مخلوق مختنق بأزمته، وربما كان هـذا السبب هو السـر فى الإتيان بكلمة (لعل) التى توحى بإمكانية الموضوع، لما تختزنه مثل هـذه الأمور من نتائـج على مسـتوى الإنفعالات الإنسانيـة، فى مواجهـة عوامل الإثارة. وبـذلك يمكن أن تكون الآية عاملاً وقائياً يريـد الله به حمايـة النبى (ص) من الوقوع فى مثل هـذه التجربة، أو الخضوع لهذا الإنفعال، أو تكون عملية إيحائية للعاملين ـ من خلال النبى ـ ألا يستسـلموا لهـذه الحالـة، لو واجهوا مثلها، انطلاقا من فهمهم لطبيعـة الـدور الذى اوكله الله إليهم من الدعوة إلى سبيله بالوسائل الواقعيـة المألوفة و مما يجعلهم لا يعيشون الضـعف فى مواجهة هذه التحديات، لأنهم لا يعتبرونها تحدياً لدورهم أو لقدرتهم الطبيعية، بل كل ما هنالك، أنها التحدى لما يتوهمه أولئك من دور، دون ارتكاز إلى علم أو إيمان ["٢١٠"] .

وقفة قصيرة

ونقول: ١ ـ إن دلالات كلمات هـذا البعض ترسم للقارئ طرفاً من الصورة التى تعيش فى ذهنه لأنبياء الله ـ صـلوات الله وسـلامه عليهم أجمعين ـ وليس هـذا المورد الـذى نحن بصدد الحديث عنه إلا أحد المفردات الكثيرة التى تجسد هذا المعنى، وتؤكده. فقد اسـتهل كلامه بالإشارة إلى أن الآيـة الشـريفة: لا تتحـدث عن حالـة واقعيـة فعليـة.. لكنه أكد على أن الآية تتحدث عن إمكانية حدوث ذلك لنبينا الأعظم (صـلى الله عليه وآله)، أى أنه يمكن أن يتعقـد أو أن يختنق بأزمته، واعتبر أن هـذا هو السـبب فى الإتيان بكلمـة لعل، فى قـوله تعـالى: (فلعلـك تـارك بعض مـا يـوحى إليـك). ولكن من الواضـح: أنه حـتى احتمـال حصـول ذلـك للأنبيـاء مرفـوض جملة وتفصيلاً.. فالنبى لا يتعقد، ولا يختنق بأزمته، ولا يضعف إلى درجة أن يبحث دائماً عن الهروب إلى آخر ما هنالك مما ذكره.. ٢ ـ إنه قـد ذكـر أخيراً احتمـال أن يكون ذلك عملاً إيحائياً للعاملين من خلال النبى (صـلى الله عليه وآله)، الا يستسـلموا لهـذه الحالـة فيما لو واجهوا مثلها. ونقول له: إنه إذا كان هـذا الإحتمال كافياً فى إعطاء الخطاب فى الآية قيمته، وحيويته، فلماذا تثار احتمالات فيها انتقاص لمقام النبى الكريم صـلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين؟! ٣ ـ بل إنه حتى لو لم يهتـد هذا البعض إلى هذا المعنى الذى تشـير إليه الآيـة فإنه لا يحق له إبـداء احتمالات لا يشك عاقل فى أنها تتنافى مع حقيقـة النبوة، ومع مقام النبى المعصوم.. بل عليه أن يعترف بـالعجز عن فهم المراد من الآيـة، ويرجع علمهـا إلى أهله، وهم الراسـخون فى العلم من أهـل بيت النبـوة (صـلوات الله وسـلامه عليهم أجمعين). ٤ ـ ولماذا لم يلتفت هذا البعض إلى ما ذكره العلامة الطباطبائى، من أن هذه الآية تريد أن توبخ الكفار على اسـتمرارهم فى العناد، والتحـدى.. وضـرب مثلاً لذلك، بملك تمرد عليه بعض ضـعفاء رعيته، فبعث إليهم عاملاً له برسالة يقرؤها عليهم تدعوهم إلى السـمع والطاعـة، وتلومهم على تمردهم، واسـتكبارهم، فيردون على رسوله مـا بلغهم إيـاه، فيكتب إليهم رسالـة ثانيـة، ويـأمره بقراءتها عليهم، وإذا فيهـا: (لعلـك لم تقرأ كتـابى عليهم خوفاً من أن يقترحوا عليك أموراً تعجيزيـة، او أنهم زعموا أن الكتاب ليس من قبلى، وإنمـا هو مفترى منـك؟!. فـإن كان الأول، فإنما أنت رسول ليس عليك إلا البلاغ. وإن كان الثانى، فإن الكتاب بخطّى، كتبته بيـدى، وختمته بخـاتمى).. والآيـات القرآنيـة التى هى موضع البحث هى تماما فى هـذا السـياق.. والآيات هى التاليـة: (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليـك، وضـائق به صـدرك أن يقولوا: لولاـ أنزل عليه كنز، أو جـاء معه ملـك، إنما أنت نـذيرٌ، والله على كل شـيءٍ وكيل. أم يقولون افتراه؟ قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم يستجيبوا لكم، فاعلموا إنما

أنزل بعلم الله، وأن لا إله إلا هو، فهل أنتم مسلمون) [٢١١] . لعل انفعال النبى لشخصه يتجاوز انفعاله لأجل الله. التسلية للنبى لعلها لتخليصه من حالة ذاتية ترهقه. قد يحزن النبى لمسألة شخصية ككون التكذيب موجهاً إليه كشخص. قد يواجه النبى الموقف بالمشاعر الذاتية بدلاً من العقلية الواقعية. قد يواجه النبى الموقف بالمشاعر الذاتية بدلاً من الذهنية المرنة. تسلية النبى بالإيحاء إليه أن التكذيب موجه إلى الله لا إلى شخصه هو. محاولة تأكيد الفكرة فى ضمير النبى لكى يفرغ ذاته من الإنفعال. النبى يواجه صدمات انفعالية صعبة ـ شخصية ـ تثقل حركته فى الدعوة. ردة الفعل لدى النبى يجب أن تبتعد عن الذات والذاتيات. التكذيب لله وهو فوق الإنفعال لا للنبى الذى ليس كذلك. النبى قد يرى العمل مرتبطاً بذاته لا بمسؤوليته. لو أن النبى اعتبر العمل مرتبطاً بمسؤوليته لا بذاته لعمل بموضوعية، وهدوء. النبى قد يفهم القضية أمراً شخصياً له.. ولا يفهمها مرتبطة بالنطاق العام للرسالة. هناك حالة بشرية فى النبى تحب التمرد. هناك حالة بشرية فى النبى تحب الهروب من المسؤولية. مواجهة حالة التمرد والهروب بمنطق الواقع. الواقع يفرض الهدوء النفسى، وحالة النبى البشرية ليست كذلك. الواقع يفرض الإتزان العاطفى، والحالة البشرية فى النبى خلاف ذلك. الواقع يفرض الثبات العقلى، والحالة البشرية فى النبى ليست كذلك. يقول البعض": هل كان الرسول يشعر بالحزن الروحى على ما يواجهه به قومه من تكذيب؟ وهل كانت المسألة تمثل بالنسبة إليه حالة ذاتية ترهقه ليحتاج إلى التسلية التى تبعد الموضوع عن التحدى الذاتى، وتجعله بمنأى عن النتائج السلبية المؤثرة على المشاعر الخاصة، وذلك بالإيحاء له بأن التكذيب ليس موجهاً إليه، بل موجه إلى الله من خلال ما يكذب به الظالمون من آيات الله؟ وهل إن مثل هذا الأسلوب يريح النبى محمداً (ص)؟ وإذا كان الأمر على هذا الشكل، فهل يمكننا أن نفهم أن انفعاله الشخصى يتجاوز انفعاله لله؟ وأخيراً، هل ينسجم مع شخصية النبى فى ما نعرفه عن إخلاصه لرسالته لربه؟ هذه هى علامات الاستفهام التى قد ترتسم أمام القارئ لهذه الآيات عندما يواجه معانيها من خلال الفهم الحرفى لألفاظها. ولكننا نفهم منها أسلوباً قرآنياً يتحدث عن تحليل الموقف الرسالى للرسول، ولكل الرساليين الذين يتبعون خطاه، فى ما يمكن أن يخضع له البشر من نوازع ذاتية أمام التحديات، فهو يوحى بوجود شىء من هذا القبيل، كفرضية قابلة للحدوث، ولكن ليس من الضرورى أن تكون قد حدثت بالفعل، لينتقل من خلال ذلك إلى الإيحاء بأن الموضوع لا يتحمل أية صدمة انفعالية صعبة، تثقل حركة الذات فى الدعوة. فإذا كانت صفة الرسالة هى التى تطبع شخصية الرسول فإن كل ردة فعل سلبية أو إيجابية ترتبط بتلك الشخصية يجب أن تكون بعيدة عن الذات والذاتيات. وبهذا تكون القضية متعلقة بالله الذى لا يضيره شىء من تكذيبهم، وجحودهم كما لا ينفعه شىء من إيمانهم وتصديقهم، لأنه الغنى عن ذلك كله، فلا مجال لأى انفعال لأن الذات لا علاقة لها بالموضوع، والرسالة المنزلة من الله لا تتأثر بذلك، إن الله فوق الإنفعال، فماذا يبقى فى الساحة؟ إن المسألة ـ بكل بساطة ـ هى أن يواجه الرسول الموقف بعقلية واقعية، وذهنية عملية مرنة، بعيداً عن كل الحالات الشعورية الذاتية، وبذلك تستمر القافلة الرسالية فى سيرها الطبيعى، لتصل إلى أهدافها الكبيرة فى نهاية المطاف. وفى ضوء ذلك، تتحول هذه الآيات إلى خطة تربوية للعمل الرسالى، يواصل من خلالها ذاك العمل طريقه بكل موضوعية وهدوء، تماماً كأى عمل يرتبط بمسؤوليته ولا يرتبط بذاته، حيث يتحرك الداعية على أساس المعطيات الواقعية، ومدى انسجامها مع خط المسؤولية فى عمله، فيعيش التجرد من كل ما لا يرتبط بالعمل، مما يجعل للحركة فاعلية قوية، ويقود الموقف إلى خطوات الواقع. وهكذا تخرج القضية من النطاق الشخصى، لتتصل بالنطاق العام للرسالة، وللرسول، فلا تعود شيئاً شخصياً للنبى، بل تتحول إلى قاعدة عامة لكل الرسل، والرسالات، ومن هنا تتساقط كل علامات الاستفهام أمام شمولية القاعدة وثباتها. إن القرآن يريد أن يؤكد الفكرة ـ الخط ـ فى ضمير النبى الداعية، ليفرّغ ذاته من الإنفعال، فهناك حالة بشرية تحب التمرد والمواجهة، والهروب من المسؤولية، فلا بد من مواجهتها من منطق الواقع الذى يبحث فى الأرض عن الإمكانيات الحاضرة، والمستقبلية لانتصار الدعوة فى حركتها الفاعلة، مما يفرض المزيد من الهدوء النفسى والإتزان العاطفى، والثبات العقلى. فالدعوة تمثل رسالة الله، والتكذيب يواجه هذه الرسالة، فهو يواجه الله فى النهاية ["٢١٢] .

وقفة قصيرة

ونقول: لقد طرح ذلك البعض أسئلته أولاً ـ حول سبب حزنه (ص) لتكذيب قومه له، وأنه هل هو حالة ذاتية له، أو هل أن انفعاله الشخصي يتجاوز انفعاله لله وغير ذلك..؟ ثم قرر في إجابته عنها: أن ليس من الضروري أن يكون ذلك كله قد حدث بالفعل، ولكنها تبقى فرضية قابلة للحدوث عنده، واحتمال كونها كذلك يساوق القول بإمكانها، وذلك يعني أنه لا مانع من وقوعها.. ثم أفاض في تفاصيل عناصر هذا الأمر القابل للحدوث لكل من النبي، والداعية على حد سواء.. فجاء هذا السيل من التصريحات التي حاولنا أن نشير إلى أكثرها في العناوين التي صدّرنا بها الفقرات المنقولة منه حرفياً فاقرأ، واعجب ما بدا لك!! ـ فهل يصح احتمال ذلك كله في حق الأنبياء؟ ـ وهل يجتمع احتمال هذه الأمور مع الاعتقاد بعصمتهم؟ ـ وإذا كانت عصمتهم إجبارية فما معنى احتمال أمور كهذه في حقهم؟! ـ وأي نبي هذا الذي يخلط بين التكذيب لشخصه والتكذيب لله؟! ـ وأي نبي هذا الذي يسلّيه، ويريحه أن يكذّب الناس الله؟ ويحزنه أن يكون التكذيب موجهاً لشخصه..؟!. إلى غير ذلك من الأسئلة التي لا بد أن تدور بذهن كل منصف عاقل.. وهل يصح بعد هذا كله أن يدعي هذا البعض أنه يعتقد بعصمة الأنبياء، وبكفاءتهم العلمية والإيمانية لتحمل شمولية الرسالة؟!. المشاعر السلبية للنبي ربما تتحول إلى عقدة. المشاعر تتحول إلى تساؤل دائم عن سبب إعراض المشركين عن القرآن. المشاعر السلبية تتحول إلى تساؤلات عن أشياء كثيرة تضغط على وجدانه. يقول البعض(": فلعلك باخع نفسك على آثارهم) الخطاب لرسول الله (ص) الذي كان يعيش الألم والحسرة أمام بعد المشركين، وإعراضهم عن القرآن، وعن الدعوة إلى الله، وهذه المواقف تمثل خطوات المشركين العملية على صعيد خط الرسالة، تماماً كما هي الآثار التي تتركها أقدامهم على الطريق في حالة السير. وربما تؤدي به هذه المشاعر السلبية الضاغطة إلى الهلاك، عندما تتعاظم أو تتحول إلى عقدة، وتساؤل دائم عن السبب في هذا الموقف المضاد، وعن الضعف الذي يحيط بشخصه، وبالساحة أمام قوة هؤلاء، وعن أشياء كثيرة قد تطوف في نفسه، وتضغط على وجدانه.. إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً.. الخ ["٢١٣] .

وقفة قصيرة

ونقول: إننا نجل مقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن أن ينسب إليه إمكانية الإبتلاء بالعقد النفسية نتيجة لمشاعر سلبية ضاغطة، ولا بد أن نعطف كلامه هذا على حكاية الجوع العاطفي للحنان، فإن هذا يوضح ذاك، ويظهر عدم صحة ما يحاول أن يتخلص به من سلبيات ذلك القول العجيب، والغريب، وسيأتي توضيح ذلك حين الحديث عن مقولاته حول الزهراء (عليها السلام). في بعض فصول هذا الكتاب. كما أننا نجل مقام النبي (صلى الله عليه وآله) عن أن يكون ـ والعياذ بالله ـ جاهلاً إلى درجة ابتلائه بالتساؤل الدائم عن أسباب الموقف المضاد للمشركين، وجاهلاً بأسباب ضعف الساحة الإسلامية أمام قوة أولئك. وبعد ما تقدم نقول: إن إيغال هذا البعض في الخيال الذي لا مبرر له جعله يحتمل هذه الأمور الغريبة والعجيبة، مع أن الآية صريحة في أن حزن رسول الله (صلى الله عليه وآله) الناشئ عن صدود الناس عن الحق كان حزناً عظيماً جداً، ولا غرو في ذلك فهو يرى الكفر والشرك من أعظم الموبقات بمقدار معرفته بسلبيات هذا الشرك وآثاره البغيضة. قد يكون آباء النبي (ص) كفاراً. المهم أن لا يكونوا أبناء زنا. العقل لا يقبح كفر آباء النبي (ص) بشرط أن يكون النكاح شرعياً لا زنا. سئل البعض: السؤال: يدور كلام كثير حول ضرورة أن يتولد النبي عموماً، أو نبينا محمد (ص) خصوصاً من آباء مؤمنين موحدين، فما رأيكم بهذه المسألة؟ فأجاب": هناك كلام للشيخ المفيد بإجماع الشيعة، على أن آباء النبي إلى آدم (ع) كانوا موحدين على الإيمان بالله.. ويستند الشيخ المفيد في كتابه تصحيح الإعتقاد في الإحتجاج لذلك إلى قوله تعالى (..الذي يراك حين تقوم، وتقلبك في الساجدين) (الشعراء: ٢١٨ ـ ٢١٩) قال: يريد به تنقله في أصلاب الموحدين. ولكننا نلاحظ: أن الآية لا تدل على نفي تقلبه في غير الساجدين من آبائه لأنه يكفي في صدق ذلك أن يكون بعضهم

من الساجدين. مع ملاحظة أخرى، وهى أن ظاهر الآية هو الحديث عن قيام النبى (ص) لعبادة الله، وتقلبه فى الساجدين من عباد الله، باعتبار استغراقه فى السجود لله سبحانه. وإذا كانت بعض الأحاديث تدل على إرادة خلاف الظاهر، مما ذكره الشيخ المفيد، فإنها تتحدث عن تقلبه فى أصلاب النبيين، كما جاء فى رواية محمد بن الفرات عن الإمام الباقر (ع)، وفى رواية أبى الجارود، عن الباقر (ع) قال: (سألت أبا جعفر (ع) عن قول الله ـ عزوجل ـ: (وتقلبك فى الساجدين) قال: يرى تقلبه فى أصلاب النبيين، من نبى إلى نبى، حتى أخرجه من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم). ومن المعلوم أنه ليس المقصود بذلك ـ على تقدير صحة الحديث ـ أن أجداد النبى بأجمعهم أنبياء، فيكون المقصود به أنه تقلب فى أصلاب الأنبياء، من دون أن يكون نافياً لتقلبه فى غيرهم "..إلى أن قال: "أما الإجماع فقد يكون مدركه كلام المفيد، فلا يكون تعبدياً. ولا قبح من ناحية العقل فى كونهم كفاراً، إذا كان النكاح شرعياً، لا زنا ["٢١٤] .

وقفة قصيرة

ونقول: ١ ـ إننا لا نريد أن نتصدّى فى هذه العجالة لبحث هذا الموضوع فنأتى بالروايات التى رويت فى كتب الفريقين، مما دل على إيمان آباء رسول الله (صلى الله عليه وآله).. فإن هذا الكتاب ليس كتاب بحث واستدلال، وإنما هو مخصص لبيان أقاويل جاء بها البعض.. لا مجال لقبولها فى نفسها، أو فى سياقها الذى وضعت فيه. ويكفى أن نشير هنا إلى أنه حتى أهل السنة، فإنهم قد ألفوا كتباً فى هذا الموضوع، وذكروا فيها الروايات التى تفيد فى بيان هذا الأمر.. ومنها: الف: مسالك الحنفا فى والدى المصطفى. ب: الدرج المنيفة فى الآباء الشريفة. ج: المقامة السندسية فى النسبة المصطفوية. د: التعظيم والمنة فى أن أبوى رسول الله (ص) فى الجنة هـ: السبل الجلية فى الآباء العلية. وكلها مطبوعة بعنوان الرسائل التسع ـ للسيوطى فى الهند ـ حيدر آباد الدكن سنة ١٣٨٠هـ ٢ ـ إنه إذا كان هذا البعض يلتزم بأن النفى يحتاج إلى دليل، كما الإثبات يحتاج إلى دليل.. فأين هو دليله على النفى، فإن غاية ما جاء به هو أن علق على بعض أدلة المثبتين.. ولم يأت بدليل يثبت مقولته هذه.. ٣ ـ إن الدليل المطلوب من هذا البعض ـ على الخصوص ـ لابد أن يكون مفيداً لليقين، ولا ـ يكفيه الإستدلال بالظواهر الظنية، وبالأدلة المعتبرة فى خصوص الأحكام.. لأنه هو نفسه يقرر لزوم هذا النوع من الأدلة فيما يرتبط بالتاريخ، وبالأشخاص، وبالتفسير، وفى مختلف شؤون الحياة، وسائر المعارف.. ويرفض الاستدلال عليها بالأدلة المعتبرة فى الأحكام الشرعية الفقهية ويقول: هى حجة فيها دون سواها. ٤ ـ إن هذا البعض قد ناقش الاستدلال بالآية، على أساس أنه يكفى فى صدق تقلبه أن يكون بعض آبائه من الساجدين. ولكن من الواضح: إنها مناقشة لا تصح. فأولاً: ان الظاهر هو أن هذه الآية واردة مورد الإمتنان على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فحملها على العموم والشمول يكون هو الأظهر، والأنسب بمقام الإمتنان الإلهى.. وبيان الرعاية الإلهية له (صلى الله عليه وآله).. ثانياً: إن الجمع المحلى بالألف واللام يفيد العموم بإجماع العلماء كما هو مقرر فى علم الأصول [٢١٥] . وكلمة الساجدين جمع محلى بالألف واللام، فهى تدل على العموم. ٥ ـ إن دعواه أن ظاهر الآية هو تقلب النبى (صلى الله عليه وآله) بين عباد الله الساجدين باعتبار استغراقه فى السجود لله سبحانه.. لا مجال لقبولها.. فإن غاية ما هناك أن يكون ذلك محتملاً فى معنى الآية بصورة بدوية.. فإذا جاء التفسير عن المعصوم ليعيّن أحد الإحتمالين.. فإنه يتعين، وينتفى الإحتمال الآخر.. لأن الأئمة أعرف بمقاصد القرآن من كل أحد.. فلا تكون الرواية المروية عنهم مخالفة لظاهر القرآن لمجرد أنها عينت هذا الإحتمال وأكدت أنه هو المقصود دون ذاك. فلا يصح قوله": إذا كانت بعض الأحاديث تدل على إرادة خلاف الظاهر.. الخ "٦ ـ بقى أن نشير إلى قوله": ليس المقصود أن أجداد النبى (ص) بأجمعهم أنبياء.. بل يكفى فى صدق الآية أن يتقلب فى أصلاب بعضهم، دون أن تنفى تقلبه فى أصلاب غيرهم "..فقد ظهر: أن إرادة هذا المعنى لا ـ تنسجم مع مقام الإمتنان، كما أن نفس الرواية ظاهرة فى العموم والشمول لجميع أجداده (صلى الله عليه وآله)، حيث تقول: يرى تقلبه فى أصلاب النبيين، من نبى إلى نبى حتى أخرجه من صلب أبيه. فإن التعبير بحتى التى جاءت لبيان الغاية، قد أظهر.. أن تقلبه فى الأنبياء قد استمر من نبى إلى نبى حتى أخرجه

من صلب أبيه.. ولا يتناسب هذا التعبير مع إرادة الموجبة الجزئية.. ٧ ـ إن من الواضح: أن النبوة لها حالاتها، فهناك نبی مرسل إلی الأمة وهناك من أرسل إلی قوم، وإلی عشيرة، وإلی حیّ، وقد يكون نبياً يكلمه الملك، ويخبره عن الله، وليس مرسلاً لأحد.. بل يعيش هو حالة الصلاح فی نفسه، ويكون الكمال المتجسد الذی يری فيه الناس ـ دون أن يكون مأموراً بشیء تجاههم ـ الإنسان الإلهی المتوازن، والمرضی فی كل حالاته.. فيهيؤهم ذلك لأجواء الإيمان، ويثير فی فطرتهم كوامن الخير والصلاح، والإيمان والتقوی.. وعلی هذا الأساس، فلا ضير فی أن يكون جميع آباء النبی الذين خرج من اصلابهم أنبياء إلی آدم، وإن لم تكن لهم دعوة، ولا رسالة تختص بهم، فيكون عبد الله والد النبی (صلی الله عليه وآله)، وعبدالمطلب وكذلك آباؤه جميعاً لهم هذه الصفة، وإن اختلفت مقاماتهم، ومهماتهم.. حسبما ذكرنا. ٨ ـ ويؤيد ذلك أيضاً: ما ورد من أن الأرض لا تخلو من حجة، إما ظاهر مشهور، أو غائب مستور، ومَن أولی من آباء رسول الله (صلی الله عليه وآله) بهذا المقام؟! ٩ ـ ويبقی إجماع شيعة أهل البيت (عليهم السلام)، الذی لم يقبل هذا البعض بأن يكون تعبدياً، لأن من المحتمل أن يكون مستندهم فيه هو أدلة الشيخ المفيد.. ونقول: إن حديثه عن تعبدية الإجماع هنا غريب وعجيب، فإن هذا الإجماع ليس علی حكم شرعی، ليوصف بالتعبدية تارة وتنفی عنه أخری.. بل هو إجماع يكشف لنا عن أن هذا الأمر الذی لا يُعرف إلا من أهله ولا طريق إلی معرفته بالعقل، قد قرره أهله وهم الأئمة الطاهرون المعصومون، وتحدثوا عنه وذكروه للناس وصرحوا به، وقالوا: إن آباء النبی كلهم مؤمنون من آدم (عليه السلام) إلی عبدالله أبی رسول الله (صلی الله عليه وآله)، لأن العلماء لا يقولون ذلك من عند أنفسهم، فهو علم من ذی علم. وواضح أن من يريد التعرف علی أی مذهب، فإنه يرجع إلی الأتباع الذين هم أعرف بقول إمامهم. أضف إلی ما تقدم: أنه لو كان الإجماع تعبّدياً للزم أن يكون الإجماع علی الإمامة تعبّدياً أيضاً، فهل يحكم هذا البعض برده لكونه مستنداً إلی الأدلة؟!.. فهل هذا المنهج الإستدلالی صحيح أيضاً؟!.. ١٠ ـ وقال هذا البعض فی آخر كلامه": لا قبح من ناحية العقل فی كونهم كفاراً، إذا كان النكاح شرعياً لا زنا. "وظاهر كلامه هذا: أن القبح موجود فيما إذا لم يكن النكاح شرعياً.. فهل يريد أن يقول: إن شرك الآباء لا قبح فيه من ناحية العقل، أما الزنا ففيه قبح من هذه الناحية العقلية؟! والسؤال هو: ما هو الفرق بين الأمرين؟ من الناحية العقلية البحتة؟! ولماذا قبح هذا ولم يقبح ذاك؟! التقلب فی أصلاب الآباء الأنبياء لا يدل علی أن أولئك الأنبياء كانوا مؤمنين!! يقول البعض": استدل الشيعة الإمامية علی أن هذه الآية من سورة الشعراء: (وتقلبك فی الساجدين) تدل علی أن جميع آباء النبی موحدون وأن معناها تقلبك فی الساجدين الموحدين من نبی إلی نبی حتی أخرجك نبياً. وقد روی عن الإمامين أبی جعفر وأبی عبد الله عليهما السلام أنهما قالا: يری تقلبه فی أصلاب النبيين من نبی إلی نبی حتی أخرجه من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم(ع). ولكن ذكرنا فی تفسيرنا (من وحی القرآن)، أن المراد من الآية بحسب الظاهر من السياق، وقد ذكره جمع من المفسرين: يراك فی تقلبك فی الساجدين المصلين الذين يصلون معك، أو يراك فی تحركك فی أجواء السجود مع الفريق الذی يسجد لله خشوعاً، فی ما يمثله مجتمع الساجدين العابدين الذی تتقدمه أنت فی الموقع الطليعی فيه، والله العالم. أما الرواية، فلا دلالة فيها إلا علی طهارة الآباء من الولادة بالزنا ["٢١٦] .

وقفة قصيرة

ونذكر هنا: ١ ـ إن ما قدمناه فی الفقرة السابقة يكفی لبيان عدم صحة ما ذكره هذا البعض هنا.. ولسنا بحاجة إلی التذكير بأنه إذا كان أهل البيت قد فسروا الآية الشريفة بأن المقصود بها: أن الله سبحانه يری تقلب نبيه فی أصلاب النبيين من نبی إلی نبی حتی أخرجه من صلب أبيه. فلا بد من قبول ذلك منهم؛ فإن أهل البيت أعرف من كل أحد بمعانی القرآن، وبأهدافه ومراميه.. وكما قال الإمام الصادق(ع): (فليذهب الحسن يميناً وشمالاً فوالله ما يوجد العلم إلا هاهنا) [٢١٧] . ولن نصغی ولن نقبل من أحد أن يقول لنا: قال الإمام الصادق عليه السلام. وأقول، فما ذكره هذا البعض فی تفسيره لا بد أن يردّ عليه، وأن يؤخذ فقط بكلام أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم. ٢ ـ والأعجب من ذلك قول هذا البعض هنا": وأما الرواية فلا دلالة فيها إلا علی طهارة الآباء من الولادة بالزنا. "مع أن

الروايـة صـريحة فى أن الرسول لم يزل يتقلب فى أصـلاب النـبيين: من نـبى إلى نبى حتى أخرجه من صـلب أبيه. ممـا يعنى: أن جميع آبائه صـلى الله عليه وآله قـد كانوا مؤمنين أتقياء أبراراً. بل كانوا من الأنبياء، حتى والده عبد الله.. ولا مانع من أن يكونوا كذلك، فقد كان ثمة أنبياء تقتصـر نبوتهم على أنفسـهم، وعلى المحيط المحدود الذى يعيشون فيه، وقد تمتد نبوتهم إلى العشـيرة أو الحى أو البلد الصـغير أو الكبير.. من أجل أن يحفظوا الحق والخير فى الناس بالمقدار الممكن لهم، بحسب ما يوجههم الله سـبحانه إليه، ويأمرهم به. نفى النبوّة عن النبى (ص) قبل سنّ الأربعين. ومن الواضح: أن هناك روايات رواها السنة والشيعة تدل على أن النبى (ص) قد كان نبيّا منذ ولد يكلمه الملك ويسـمع الصوت ثم أرسـله الله رسولا للناس كافّة بعد أن بلغ الأربعين، وكلمه الملك معاينة، ونزل عليه القرآن، قـال المجلسـى رحمه الله: إن ذلك ظهر له من الآثار المعتبرة والأخبار المسـتفيضة [۲۱۸] . لكن البعض يقول": النبوّة الفعليـة لا بد لها من الوحى، ومن التكليف الإلهى، ولم يكلفه الله بالنبوّة إلا بعد أربعين سنة ["۲۱۹] . وقد كنا نتمنى أن يشير إلى تلك الآثار، والأخبار المسـتفيضة، ومن بينها ما هو معتبر وصحيح، التى اعتمد عليها المجلسى وغيره، خصوصا وأن هذا الأمر يحتاج إلى التعريف والتوقيف، و ليس هو من الامور التى يمكن ان تنالها العقول والأفهام..

پاورقى

[۱] من وحى القرآن: الطبعـة الأولى، ج ۱۰ ص ۳۴. [۲] نفس المصدر ص ۳۲. [۳] من وحى القرآن: الطبعـة الأولى، ج ۱۵ ص ۱۷۱. [۴] الندوة ج۱ ص ۳۱۵. [۵] الموسم عدد ۲۱ ـ ۲۲ ـ ص ۲۹۳ ـ ۲۹۴ وعن كونها دورة تدريبية وكيف ذلك؟ راجع من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج۱۵ ص ۱۷۶ ـ ۱۷۷ والندوة ج۱ ص ۳۱۴ ـ ۳۱۵. [۶] راجع كتاب بحث حول المهدى ص۴۲ وما بعدها. [۷] من وحى القرآن: الطبعـة الأولى، ج ۱۰ ص ۲۲و۲۳. [۸] من وحى القرآن: الطبعـة الأولى، ج ۱۰ ص ۲۸ و ۲۹. [۹] مـن وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج ۱۰ص۳۲و۳۳. [۱۰] من وحى القرآن: الطبعـة الأولى، ج ۱۰ص۳۹. [۱۱] من وحى القرآن: الطبعـة الأولى، ج ۱۰ص۳۷. [۱۲] من وحى القرآن: الطبعـة الأولى، ج۱ص۱۸۱و۱۸۲. [۱۳] مـن وحى القرآن: الطبعـة الأولى، ج ۱۵ ص ۱۶۹ ـ ۱۷۷. [۱۴] من وحى القرآن: الطبعـة الأولى، ج۱ص۱۸۸ ـ ۱۹۱. [۱۵] من وحى القرآن: الطبعـة الأولى، ج ۱۰ ص ۳۷و ۳۸. [۱۶] سورة الأعراف الآيـة ۲۳. [۱۷] تفسير البرهان ج۱ص ۸۱ ـ ۸۹عن مصادر كثيرة. [۱۸] من وحى القرآن: الطبعـة الأولى، ج ۱۰ ص ۳۶. [۱۹] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج ۱۰ ص ۳۶. [۲۰] من وحى القرآن: الطبعـة الثانيـة دار الملاك، ج۱ ص ۲۵۰ ـ ۲۵۲. [۲۱] البحار ج ۱۱ ص۱۸۷ عن العياشـى وتفسير البرهان ج۲ ص۶. [۲۲] وقـد يحجب الله سـبحانه عن آدم (ع) معرفته بمن يخـاطبه حين يخـاطبه من وراء الحجـاب، وذلك لكى يظهر آدم (ع) على حقيقته السامية التى استحق بها مقام النبوة، تماماً كما كان الحال بالنسـبة لموسـى (ع) مع الخضر (ع) حسـبما أشـرنا إليه، إذ قـد كـان يمكن أن يعرّف الله نبيه موسـى (ع) بـالكنز الـذى تحت الجـدار، وبالملك الغاصب للسـفن، وبحقيقة معاملـة ذلك الشاب مع أبويه. [۲۳] سورة الأعراف الآيـة: ۲۰. [۲۴] البرهان فى تفسير القرآن ج۳ ص۴۶ وج۱ ص۸۳، والبحار ج۱۱ ص۶۴ عن عيون أخبـار الرضا(ع) ص۱۰۸ و۹۰۱. [۲۵] راجع تفسـير القمى ج۱ ص۴۳، وتفسير البرهان ج۱ ص۸۰ وج۲ ص۸۰ وج۲ ص۶، والبحار ج۱۱ ص۱۶۱. [۲۶] تفسير البرهان ج۱ ص۸۴، والبحار ج۱۱ ص۱۸۳ عن تفسير العياشى. [۲۷] البحار ج۱۱ ص۲۱۷ عن الكافى. [۲۸] سورة الأعراف الآية ۲۶. [۲۹] تفسير الإمام العسكرى ص ۲۲۲ و۲۲۳ وتفسير البرهان ج۱ ص۸۰، والبحار ج۱۱ ص۱۹۰ و۱۹۱ وراجع: تعليق العلامة المجلسى ص۱۹۳ ومستدرك الوسائل ج۲ ص ۲۸۶ ح۶۰۷. [۳۰] تفسير البرهان ج۱ ص۸۱ و۸۳، وراجع تفسير القمى ج۱ ص۴۴ والبحار ج۱۱ ص۱۶۱ و۱۶۳ و۱۸۸ و۲۰۶ و۱۶۴، وعيون أخبـار الرضا ص۱۰۸ و۱۰۹ وعلل الشرائع ص۱۴۸ وعن الكافى (الفروع) ج۱ ص۲۱۵. [۳۱] الموسم العددان۲۱و۲۲ ص۳۱۹. [۳۲] الندوة ج۱ ص ۷۳۷. [۳۳] تنزيه الصفوة، ص۱۵ و۷ و۸ و۲۳ و۵ و۱۷ ـ ۱۹. [۳۴] تنزيه الصفوة ص ۲۱ و ۲۲ و ۱۰ و ۱۱. [۳۵] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج۱۲ ص۷۹و ۸۰. [۳۶] الحوار فى القرآن ص ۲۳۰ ط سنة ۱۳۹۹هـ ق. [۳۷] راجع تفسـير الميزان ج۱۰ص۲۳۲. [۳۸] سورة هود الآيـة ۴۲و۴۳. [۳۹] سورة هود الآية

۴۶و۴۷. [۴۰] سورة هود الآية ۴۷. [۴۱] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج۹ ص۱۱۲ ـ ۱۲۳. [۴۲] تفسير البرهان ج۱ ص۵۳۱. [۴۳] الزهراء المعصومة: ص ۴۸. [۴۴] من وحى القرآن: الطبعة الثانية دار الملاك، ج۹ ص ۱۲۲ و ۱۲۳، وراجع: خلفيات: ج۱، ص ۸۰. [۴۵] راجع من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج۹، ص۱۱۲ ـ ۱۲۳. [۴۶] الزهراء المعصومة: ص ۵۰ ـ ۵۲. [۴۷] نشرة فكر وثقافة: عدد ۱۶۷، ص۳. [۴۸] من وحى القرآن: الطبعة الثانية دار الملاك، ج۱۲ ص۹۷. [۴۹] المقصود: عقولهم. [۵۰] تفسير الميزان: ج۱۶، ص ۱۲۸. [۵۱] من وحى القرآن: الطبعة الثانية دار الملاك، ج۱۸، ص ۴۶ و ۴۷ و ۴۸. [۵۲] سورة هود: ۷۴ ـ ۷۶. [۵۳] سورة القلم: الآية ۳۵، وسورة النساء: الآية ۴۰. [۵۴] سورة القصص: الآية ۵۹، والعنكبوت: الآية ۳۱ و ۳۴ و ۴۰، وسورة الأعراف: الآية ۱۰۰، وسورة النحل: ۱۱۲ و ۱۱۳، وسورة الإسراء: ۱۶، وسورة الانبياء: ۱۱، وسورة الحج: ۴۵ و ۴۸. [۵۵] سورة الأعراف: الآيات ۱۶۳ ـ ۱۶۶. [۵۶] علل الشرائع: ص۲۲ وعيون أخبار الرضا: ج۱، ص۲۳۱ – والبحار: ج۵ ص۲۸۳. [۵۷] علل الشرائع: ص۲۲ ـ والبحار: ج۵، ص۲۸۳. [۵۸] بحار الأنوار: ج۵، ص۲۸۶، عن قصص الأنبياء. [۵۹] المصدر السابق: ج۵، ص ۲۸۶ و ۲۸۷. [۶۰] البحار: ج ۱۴، ص ۳۹۳، عن تفسير العياشى، والبرهان: ج ۲، ص ۲۰۰ و ۲۰۲. [۶۱] بحار الأنوار ج۱۸، ص ۱۵۹. [۶۲] سورة الأنفال: الآية: ۲۵. [۶۳] بحار الأنوار: ج ۷۰، ص ۳۸۳ عن الاختصاص، ص ۳۰. [۶۴] سورة الصافات، الآية ۱۳۳. [۶۵] النص الحرفى لكلام البعض مسجلا بصوته على شريط موجود عندنا برقم ۳۲ وقد بثتها إذاعة محلية تابعة لذلك البعض. [۶۶] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج ۱۴ ص ۳۹۳ ـ ۳۹۴. [۶۷] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج۱۴ ص۳۹۵. [۶۸] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج۱۴ ص۳۹۳. [۶۹] فكر وثقافة عدد ۳ بتاريخ السبت ۲۹ـ۶ـ۱۹۹۶م. [۷۰] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج۱۴ ص۳۸۷. [۷۱] من وحى القرآن ج۱۴ ص ۳۹۱و۳۹۲. [۷۲] سورة الكهف الآيات ۶۶ ـ ۷۹. [۷۳] سورة الكهف، الآية ۷۶. [۷۴] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج۱۷ ص۳۱۰. [۷۵] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج۱۹ ص۳۰۱و۳۰۲. [۷۶] سورة القصص ۱۳ ـ ۱۹. [۷۷] سورة القصص، الآية ۱۴. [۷۸] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج۱۰ ص ۱۷۸و۱۷۹. [۷۹] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج۱۰ ص ۱۷۶ ـ ۱۷۹. [۸۰] مجلة الموسم عدد۲۱ ـ ۲۲ ص۳۲۱. [۸۱] سورة طه الآية ۲۹ ـ ۳۱. [۸۲] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج۱۰ ص۱۶۵ ـ ۱۶۷. [۸۳] نشرة بينات ۲۱ـ۲ـ۱۹۹۷. [۸۴] نفس المصدر السابق. [۸۵] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج۱۷ص۱۰۸و۱۰۹. [۸۶] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج۱۴ ص۳۸۶ ـ ۳۸۹. [۸۷] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج۱۷ص۳۱۱. [۸۸] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج۱۵ص۱۳۵و۱۳۶. [۸۹] سورة طه الآية ۶۸. [۹۰] نهج البلاغة، الخطبة رقم ۴. [۹۱] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج۱۵ ص۱۵۶. [۹۲] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج۱۷ص۱۰۲و۱۰۳. [۹۳] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج ۱۵ ص۱۰۸ ـ ۱۱۰. [۹۴] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج ۱۵ص ۱۱۰و۱۱۱. [۹۵] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج۱۷ ص ۳۲۶ ـ ۳۲۸. [۹۶] سورة طه الآية ۴۵. [۹۷] من وحى القرآن ج۱۵ ص۱۱۹. [۹۸] تفسير الميزان ج۱۴ص۱۴۷. [۹۹] تفسير البرهان ج۳ص۳۱ وتفسير الثقلين ج۳ص۳۷۶. [۱۰۰] حركة النبوة فى مواجهة الإنحراف: ص ۲۵۳. [۱۰۱] حركة النبوة فى مواجهة الانحراف ص۳۴۱. [۱۰۲] بحار الأنوار: ج۴۵ ص ۳۱۳وراجع علل الشرائع ص ۲۶۴ ومصباح المتهجد، وغير ذلك. [۱۰۳] الأمالى للصدوق ص ۱۱ المجلس ۲۷ ح ۲ والبحار: ج۴۴ ص ۲۸۴. [۱۰۴] مقتل الحسين للمقرم ص ۲۶۴ـ۲۶۵ عن الإرشاد، وتهذيب الأحكام للشيخ الطوسى ج۸ ص ۳۲۵ والذكرى ص ۷۲ طبعة حجرية. [۱۰۵] بحار الانوار: ج ۱۱ ص ۲۰۴ وج ۱۲ ص ۳۱۱ وراجع ص ۲۴۴ و۲۶۴ و ۳۰۵ وج ۷۹ ص ۸۶ وج ۴۳ ص ۳۵. [۱۰۶] بحار الانوار: ج ۴۷ ص ۲۴۹ و ۲۵۰. [۱۰۷] بحار الانوار: ج ۱۱ ص ۲۴۰ و ۲۶۴. [۱۰۸] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج۱۲ص۱۷۸. [۱۰۹] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج۱۲ص۱۷۹. [۱۱۰] دنيا الشباب ص۳۶ وراجع الندوةج۱ص۳۰۴. [۱۱۱] هذا الكلام مسجل بصوته، والشريط موجود لدينا. [۱۱۲] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج ۱۲ ص ۲۰۶ ـ ۲۰۸. [۱۱۳] الندوة ج۱ ص ۶۴۰. [۱۱۴] هذا القول قد جاء على لسان هذا البعض فى شريط مسجل بصوته، والشريط موجود أيضا لدى مؤلف هذا الكتاب. [۱۱۵] سورة الحجر الآية ۴۰. [۱۱۶] سورة الحجر الآية ۴۲. [۱۱۷] سورة يوسف الآية ۲۴. [۱۱۸] سورة يوسف الآية ۲۲. [۱۱۹] راجع رد ذلك البعض على المرجع الدينى الشيخ

التبريزى ـ الرد على السؤال السابع. [۱۲۰] هذه النقاط مقتبسة مما ذكره علم الهدى فى كتابيه تنزيه الأنبياء ص ۸۰ ـ ۸۵ ط الأعلمى، وأمالى المرتضيج ۱ص ۴۷۷ ـ ۴۸۱. [۱۲۱] سورة النور الآية: ۲۰. [۱۲۲] أمالى المرتضى ج ۱ ص ۴۸۱. [۱۲۳] من وحى القرآن: الطبعة الثانية دار الملاك، ج ۱۲، ص ۲۳۴. [۱۲۴] من وحى القرآن: الطبعة الثانية دار الملاك، ج ۱۲، ص ۲۳۵. [۱۲۵] وكذلك بنيامين، بناء على كونه نبيا. [۱۲۶] الموسم عدد ۲۱ ـ ۲۲ ص ۳۲۲. [۱۲۷] أضفنا هذه الكلمة لينسجم الكلام ويتم المعنى. [۱۲۸] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج ۱۹ ص ۲۴۱. [۱۲۹] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج ۱۵ ص ۲۸۴. [۱۳۰] راجع كتاب مأساة الزهراء ج ۱ ص ۱۰۶ ـ ۱۱۷. [۱۳۱] راجع قواميس اللغة. [۱۳۲] محيط المحيط ص ۲. [۱۳۳] المصدر السابق. [۱۳۴] من وحى القرآن: ج ۱۵، ص ۲۵۸ و ۲۵۹. [۱۳۵] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج ۲۳ص ۷۰. [۱۳۶] راجع: من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج ۵ الصفحات ۸ ـ ۱۴ ـ ۱۵. [۱۳۷] سورة الإسراء الآية ۵۵. [۱۳۸] من وحى القرآن ج ۱۴ص ۱۵۷. [۱۳۹] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج ۱۹ ص ۲۷۸. [۱۴۰] سورة ص الآية ۱۷ ـ ۲۶. [۱۴۱] فكأنه قال له: أرأيت لو كنا واحتكمنا اليك.. فقال له انك مظلوم لو لم يأت خصمك بحجة بينة. [۱۴۲] راجع: تفسير الميزان ج ۱۷ ص ۱۹۳ ـ ۱۹۴، وراجع تنزيه الأنبياء ص ۱۲۷ ـ ۱۳۰. [۱۴۳] الميزان فى تفسير القرآن ج ۱۷ ص ۳۰۴. [۱۴۴] نفس المصدر ص ۳۰۷. [۱۴۵] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج ۱۹ ص ۲۸۹ ـ ۲۹۴. [۱۴۶] سورة ص الآية ۳۰ وما بعدها. [۱۴۷] تنزيه الأنبياء ص ۱۳۲ والبحار ج ۱۴ ص ۱۰۲. [۱۴۸] تنزيه الأنبياء ص ۱۳۲ والبحارج ۱۴ ص ۱۰۲. [۱۴۹] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج ۱۵ ص ۱۶ ـ ۱۸. [۱۵۰] المائدة الآية ۶۴. [۱۵۱] سورة مريم الآية ۵۸ ـ ۶۳. [۱۵۲] من حى القرآن: الطبعة الأولى، ج ۱۵ص ۶۰ ـ ۶۱. [۱۵۳] سورة آل عمران الآية ۳۹. [۱۵۴] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج ۱۵ص ۳۷. [۱۵۵] راجع الكافى ج ۱ ص ۳۲۲ و ۴۹۴ و ۳۸۴ و ۳۸۲ و ۳۸۳ وبحار الانوار ج ۵۰ ص ۲۳ و ۲۴ و ۳۴ وراجع ص ۲۱ و ۳۵. [۱۵۶] الكافى ج ۱ ص ۳۸۲ و ۳۸۳. [۱۵۷] المعارج: ص ۶۵۶ و ۶۵۷، والحوار فى القرآن، ص ۱۰۵. [۱۵۸] الندوة: ج ۱ ـ ص ۳۶۰. [۱۵۹] سورة الجمعة: الآية: ۲. [۱۶۰] سورة الحديد: الآية: ۲۵. [۱۶۱] سورة سبأ: الآية: ۲۸. [۱۶۲] سورة النساء: الآية: ۵۹. [۱۶۳] سورة الأنفال: الاية: ۱. [۱۶۴] سورة المجادلة: الآية: ۲۱. [۱۶۵] سورة المزمل، الآية: ۱۵. [۱۶۶] سورة الأحزاب، الآية: ۴۵، وسورة الفتح، الآية: ۸. [۱۶۷] المعارج: ص ۵۵۸ و ۵۵۹. [۱۶۸] المعارج: (مجلة) ص ۵۴۵. [۱۶۹] المعارج: ۶۰۴ و ۶۰۵. [۱۷۰] سورة النحل: الاية: ۱۲۳. [۱۷۱] أسئلة وردود من القلب ص ۶۳. [۱۷۲] نهج البلاغة الخطبة ۱۹۰ وهى الخطبة القاصعة. [۱۷۳] سورة الشورى آية ۵۲. [۱۷۴] قد ذكرنا شطراً من كلام هذا البعض فى موضع آخر من هذا الكتاب، فراجع. [۱۷۵] الصحيح: غير المقصود. [۱۷۶] الكلينى، الكافى، دار الكتب الإسلامية ـ طهران، ج ۷، ص ۴۱۴، رواية ۱. [۱۷۷] من وحى القرآن: الطبعة الثانية دار الملاك، ج ۱۱ ـ ص ۱۲۴ و ۱۲۵. [۱۷۸] تفسير الميزان: ج ۷، ص ۹۷. [۱۷۹] نهج البلاغة: الخطبة ۱۲۸. [۱۸۰] من وحى القرآن: الطبعة الثانية دار الملاك، ج ۹، ص ۱۱۴ و ۱۱۵. [۱۸۱] مناقب آل أبى طالب ج ۳ ص ۳۱۰ والبحار ج ۳۹ ص ۸۴. [۱۸۲] سورة الإسراء الآية ۹۵. [۱۸۳] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج ۲۱ ص ۳۲۳ ـ ۳۳۱. [۱۸۴] سورة الأنفال الآية ۳۲ ـ ۳۳ ـ ۳۴. [۱۸۵] سورة الاسراء ـ ۵۹. [۱۸۶] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج ۱۴ ص ۶. [۱۸۷] ومناقشة البعض فى هذا الأمر لا أهمية لها، لأنها تدخل فى سياق نظرته العامة لمثل هذه الامور إلى حدٍ ادعى معه لزوم تحصيل التواتر القطعى فى هذه الأمور وأمثالها. [۱۸۸] الموسم العددان ۲۱ ـ ۲۲ ص ۲۹۵ وراجع ص ۸۶. [۱۸۹] سورة الأحزاب الآية ۲۱. [۱۹۰] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج ۲۴ ص ۶۷. [۱۹۱] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج ۲۴ ص ۷۶. [۱۹۲] من وحى القرآن: الطبعة الأولى، ج ۲۴ ص ۷۳. [۱۹۳] سورة عبس الآيات ۱ ـ ۱۰. [۱۹۴] راجع تفسير القمى ج ۲ص ۴۰۵ وتفسير البرهان ج ۴ص ۴۲۷و ۴۲۸ وتفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۵۰۸ و ۵۰۹ ومجمع البيان ج ۱۰ص ۴۳۷. [۱۹۵] مجمع البيان ج ۱۰ص ۴۳۷ وتفسير البرهان ج ۴ص ۴۲۸ وتفسير نور الثقلين ج ۵ص ۵۰۹. [۱۹۶] الوسائل كتاب الحج ابواب العشرة باب ۱۲۲ حديث ۱۲. [۱۹۷] سورة التوبة الآية ۴۳. [۱۹۸] من وحى القرآن ج ۱۱ ص ۱۲۹. [۱۹۹] مقابلة مع إذاعة النور بتاريخ ۲۲ ـ ۱۱ ـ ۱۹۹۷. موجود لدينا فى شريط رقم ۵. [۲۰۰] الندوة ج ۱ ص ۵۸. [۲۰۱] نشرة بينات عدد ۳۵ بتاريخ ۳۰ ـ ۵ ـ ۱۹۹۷. [۲۰۲] سورة الحج الآية ۵۲و ۵۳. [۲۰۳] من وحى القرآن: الطبعة الأولى،

ج۱۶ص۱۰۸ ـ ۱۱۳. [۲۰۴] إننا قد نجد بعض المفسرين يفسر إلقاء الشيطان بالمرور بالخاطر، ولكنه مجرد خطور ذهنى، وليس خطور مراودة ولا انعكاس فيه على تصرفات النبى (ص)، كما يقول هذا البعض. [۲۰۵] سورة الحجر الآية ۴۲. [۲۰۶] سورة ص الآية ۸۲. [۲۰۷] سورة النحل الآية ۹۹. [۲۰۸] سورة الإسراء الآيات ۷۳ ـ ۷۵. [۲۰۹] سورة هود: الآية: ۱۲. [۲۱۰] من وحى القرآن: الطبعة الثانية دار الملاك، ج۱۲، ص۳۱. [۲۱۱] سورة هود، الآية: ۱۲ ـ ۱۴. [۲۱۲] من وحى القرآن: الطبعة الثانية دار الملاك، ج۹ ـ ص۸۲ و ۸۳. [۲۱۳] من وحى القرآن: الطبعة الثانية دار الملاك، ج ۱۴ ـ ص ۲۷۱. [۲۱۴] المسائل الفقهية: ج۲ ,ص ۴۴۹ و ۴۵۰. [۲۱۵] راجع: مفاتيح الأصول. [۲۱۶] بينات عدد ۱۵۷ بتاريخ ۱۱ شعبان ۱۴۲۰هـ ۱۹ تشرين الثانى ۱۹۹۹م. [۲۱۷] الكافى ج۱ ص ۵۱. [۲۱۸] البحار ج۱۸ ص۲۷۷، وراجع كتابنا الصحيح من سيرة النبى الأعظم(ص) ج۲ ص۱۹۵ ـ ۱۹۸. [۲۱۹] نشرة فكر وثقافة بتاريخ ۳ ـ ۸ ـ ۱۹۹۶، ص۲.

تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱). قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷). مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللّهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللّهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لَم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم. مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة... الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت – عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و... – مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جهةٍ أُخرَى. – من الأنشطة الواسعة للمركز: الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبيّة، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و... د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ أُخرَ ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴) ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و... ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية

المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان" ومُفترَق "وفائی/"بنایة "القائمیّة "تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة) رقم التسجیل: ۲۳۷۳ الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶ الموقع: www.ghaemiyeh.com البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱) الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱) ملاحَظة هامّة: المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لإعانتهم – فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.

مركز القائمية اصفهان للتحريات الكمبيوترية
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹